هدية من المؤلف إلى مولانا فضيلة الشيخ محمد المكي نياس

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

كلية الدعوة الإسلامية

قسم الدراسات العليا

شعبة القرآن الكريم و علومه

الشيخ إبراهيم نياس ومنهجه في التصوف والدعوة إلى الله

قدمت الرسالة

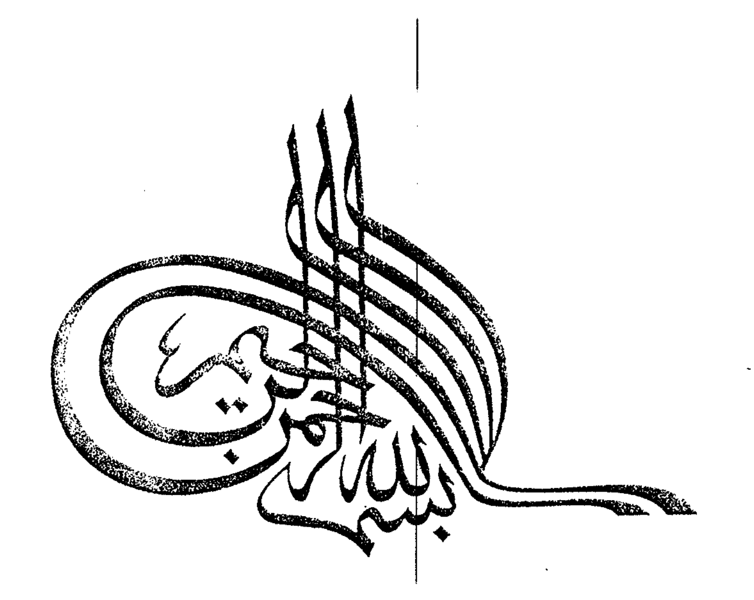
استكمالا لمتطلبات درجة التخصص العالي [الماجستير]

إعداد الطالب / صغير حسن عيسى

إشراف الأستاذ الدكتور / عبد السلام محمد أبو سعد

1371 – 1372 من وفاة الرسول ﷺ

2003 – 2004 مسيحي


بسم الله الرحمن الرحيم

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)

الأحزاب: 23

الإهداء

إلــى والــدي ، معلمي الأول ، حبّب إليَّ العلم ، وضحى بنفسه وماله في سبيل تكويني ، ورباني تربية إسلامية صافية نقية ....

إلــى والدتــي الكــريمة ، رمز العطف والحنان ، ربتني على التشبث بالعلم والمعرفة ، وعلى مكارم الأخلاق ...

إلــى جمــيع أهلــي وذريتي وأقربائي وأحبابي وأصدقائي الأوفياء

إلى المرحوم الشيخ محمد طن مراطي، مربي والدتي

إلى أسرة الشيخ إبراهيم نياس الكريمة ، وإلى كل بني نياس وبني سيسي

إلى أستاذي العلامة الشيخ إبراهيم محمود جوب

إلى كافة مريدي الشيخ إبراهيم نياس الصادقين المخلصين ، خلفاء وتلامذة ، أينما كانوا وحيثما سكنوا ...

إليكم جميعا أهدي هذا الجهد

كلمة الشكر

قال تعالى:(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (1)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم:(لايشكر الله من لا يشكر الناس) (2)

وانطلاقا من ذلك ، فإني مَدين بالشكر والامتنان إلى :

ـ جمعية الدعوة الإسلامية وعلى رأسها الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف ، رمز الوفاء والإخلاص والصدق ، خديم الأمة الإسلامية ، وخاصة في مجال المعرفة والعلم الذي هو أشرف الأمور.

ـ كلية الدعوة الإسلامية، وعلى رأسها الأستاذ الدكتور المختار أحمد ديرة، الذي مافتئ يولي إهتماما بليغا بأبنائه الطلاب ، من حيث العناية والرعاية والتحفيز بكل ما يدفعنا إلى الأمام والرقي والتقدم في التحصيل المعرفي والتكوين التربوي الأصيل الراقي...

ـ قسم الدراسات العليا ، وعلى رأسه الأستاذ الدكتور محمد فتح الله الزيادي، الذي يمضي قُدُما إلى تطوير القسم، وله عناية خاصة بأبنائه الطلاب ، على الرغم من مسؤولياته ، يوجهنا ويدفعنا دائما إلى مواصلة البحث والتنقيب والتثقيف ومواكبة العصر الذي يتطلب منا التسلح بعمق المعرفة وكثرة الإطلاع ، للتصدي للتيارات الفكرية المناوئة التي لاتزال تضر بالأمة الإسلامية ، إذا رجعنا إلى بلادنا ، دعاة متميزين ...

ـ إلى أستاذي المشرف ، الأب الرحيم المخلص، الذي أكن له كل حب وتقدير وتوقير، الأستاذ الدكتور عبد السلام محمد أبو سعد ، فقد وجدته

1: البقرة : 152

2: صحيح ابن حبان ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ج8 ص: 199 ، ح340 ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1993 م .

مربيا أنموذجيا مثاليا ، يحب الخير والتقدم لكل مسلم ، وسّع لي صدره ، ونوّر قلبي بنور توجيهاته القيمة ومعلوماته المباركة ، وضحى بأوقاته النفيسة في سبيل المتابعة الدقيقة لعملي ، على الرغم من كبر سنه وكثرة مسؤولياته ...

– إلى الأستاذ الدكتور مسعود عبد الله الوازني، صاحب مكارم الأخلاق، فقد أفادني كثيرا بتوجيهاته الرشيدة ، على الرغم من كثرة انشغالاته وتقدم سنه...

– إلى الأستاذين الكريمين اللذين سيتفضلان بمناقشة هذه الرسالة ، لما سيبذلانه من جهد مضن في تقويمها .

– إلى جميع أساتذتي من بداية تعليمي حتى هذه المرحلة ، وفاء لهم وعرفانا بالجميل...

– إلى مسجل الدراسات العليا الأستاذ سعيد حديدان الذي يسهر على خدمة أبنائه الطلاب .

– إلى مكتبة الكلية وعلى رأسها شاكر عبد الله الذي يسعى دوما إلى خدمة طلاب العلم ورواد المكتبة.

– إلى كل من ساعدني وساندني في هذا العمل ، ماديا أو معنويا ، عن قريب أو بعيد ، والذين لا يتسع لي المجال لسرد أسمائهم .

وللجميع شكري وامتناني وعرفاني ، داعيا لهم كل خير ، والله يتولى جزاءهم ويحقق لهم أمانيهم ويظلهم في ظله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فهرس الموضوعات

الباب الثاني

منهج الشيخ إبراهيم في التصوف

الباب الثالث

منهج الشيخ إبراهيم نياس في الدعوة إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمـــد لله الذي هداني لهذا لولا هدى منه ما اهتديت. والصلاة والسلام على القائل : " من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا إلـــى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليســتغفرله مـــن في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضـــل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"([3]).أما بعد :

فـــنظراً لاختلاف وجهة نظر الناس في التصوف ، حيث يوجد مـــنهم مـــن يستحسنه ومنهم من يعارضه ، ونظراً لإشكالية هذه القضية أردت أن أكـــون مـــن المساهمين في محاولة إلقاء الضوء والبحث عن الحقـــيقة السامية، فاخترت هذا الموضوعَ المعنون بالشيخ إبراهيم نياس ومنهجه في التصوف والدعوة إلى الله، لأثبت أن التصوف السني وسيلة لحســـن أداء المـــرء العبادات والمعاملات من جانب ، ومن جانب آخر وســـيلة للمشـــاركة في بناء المجتمع، وذلك عملاً بمقتضى قوله تعالى : (وَابْـــتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [2] ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يلي :

---

3 - أخرجه الترمذي في سننه ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، ج 5 ، ص: 49 ، حديث رقم :(2682) ،: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د ـ ب م ن . وأبي داود في سننه ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج 3 ، ص : 317 ، حديث رقم : (3641): دار الفكر ، د ـ ب م ن .

2 - القصص من الآية 77

ـ إيضاح أن من الصوفيين رجالاً وُفقوا للجمع بين المادة والروح وبين الزهد عن الدنيا والعمل لخدمة الأمة الإسلامية ، من خلال هذه الشخصية النموذجية .

ـ محاولــة الوقــوف على أسرار نجاح الشيخ إبراهيم نياس في دعوته وتمسكه الصوفي السليم ، حتى يستفيد الناس بتجاربه.

ـ توضــيح منهج سليم للصوفيين المنحرفين عن مقصود التصوف حتى يعودوا إلى الطريق المستقيم .

وتــتجلى أهمــية هذا الموضوع في أنه يبرز شخصية صوفية مثالـية ، استفادت بماضيها وعاشت عصرها ، فقد كانت أنموذجاً رائعا في التصوف لا غبار عليه ، كما أنه يوضح مواقف مهمة لهذه الشخصية في مواجهة التيارات المضادة للدعوة وما قدمته من حلول لحماية الإسلام والمسلمين من تأثيرات أجنبية لاسترجاع وحدة الأمة وسؤددها ومجدها.

ولقد استخدمت المنهج الشمولي لإعداد هذه الدراسة بما فيه من المــنهج الوثائقــي لتوثيق النصوص والمنهج الوصفي لوصف الظواهر والقضــايا والمــنهج الاستنباطي لاستنباط بعض المعاني من النصوص والاســتقرائي لاستقراء بعض القضايا ، كما أنني قمت بالدراسة الميدانية وأجريت مقابلات شخصية مع بعض أبناء وأحفاد الشيخ وبعض تلامذته فــي كل من السنغال وموريتانيا ونيجيريا والنيجر والكمرون وفي داخل الجماهــيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ... لتحقيق بعض الأمور المتعلقة بالبحث .

أيضــا ، اســتخدمت بعض الرموز في الإحالات وغيرها عند اللزوم ، وذلك للاختصار وهي :

* د-ان: دون ذكر اسم الناسخ .

*د- ب : دون ذكر البلدة.

* د- ب : دون ذكر البلدة.

* د- ب م : دون ذكر باقي المعلومات .

*د- ب م ن : دون ذكر باقي معلومات النشر.

*د- ت : دون ذكر التاريخ .

* د- ر: دون رقم.

* د- رط : دون ذكر رقم الطبعة.

*ذ- م ن : دون ذكر معلومات النشر .

* الشيخ : الشيخ إبراهيم نياس .

هذا ، وقد واجهتني صعوبات كبيرة وخاصة ما يتعلق بالدراسة الميدانية والحصول على مصادر ووثائق البحث ، وما يتعلق بصياغة الرسالة، نظراً لعمق الموضوع وتشعب مواده وتنوع مصادره ، إلا أنني بالصبر والمثابرة وبتوفيق من الرحمن استطعت أن أتغلب عليها .

أما عن الدراسات السابقة فأذكر أهمها :

- " الشيخ إبراهيم السنغالي آراؤه وتعاليمه [4] لـ " طاهر ميغري من نيجيريا : كان الباحث تناول بعض آراء الشيخ في دراسته إلا أنه لم يتخذ الموضوعية أساسا في دراسته، فتعرض لردود منها : كتاب " إنذار وإفادة إلى بائع دينه بشهادة [5] " للحاج عبد الله بن محمد المشري الموريتاني العلوي التجاني ، وكتاب " الرد بالحديث والقرآن على ما في كتاب ميغري النيجيري من الزور والبهتان [6] لـ " الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله الموريتاني .

4 - مطبوع ، ط1 ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981 م .
5 - مطبوع ، ط2 ، 1980 م ، د-ب م ن .
6 - مطبوع ، د- م ن .

ـــ "جمع ودراسة وتحقيق الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ إبراهيم" لـــ" محمد بن سيد بن دحان الموريتاني لنيل الإجازة العالية (الليسانس) بالمدرسة العليا للأساتذة والمفتشين بنواكشوط في موريتانيا ، لنيل شهادة الكفاءة التربوية (7)، قام الباحث بتحقيق هذه الخطب والرسائل تحقيقا علميا دقيقا وعلق عليها موضحا المواقف التاريخية والمناسبات التي واكبت هذه الخطب والرسائل .

ـــ " الشيخ إبراهيم نياس المدرس(8) " لـــ " معاذ أحمد بطي" السنغالي وقد تناول الجانب التعليمي له ، وهو بمثابة بحث لنيل الإجازة العالية بجامعة دكار .

ـــ " شخصية الشيخ إبراهيم نياس ودعوته " لـــ " نعمة بن عبد الله الموريتاني ، وقد أثبت الباحث أن الشيخ إبراهيم نياس هو صاحب الفيضة التجانية وأن القيادة الروحية للطريقة التجانية آلت إليه بأدلة علمية واضحة .

ـــ " من أخبار الشيخ إبراهيم نياس (9) " لـــ " الشيخ محمد عبد الله بن السيد العلوي الموريتاني " وقد تحدث عن جوانب من مميزات أخلاق الشيخ وشخصيته الصوفية الرفيعة المستوى ، وأثبت أيضاً أنه صاحب الفيضة التجانية كما تحدث عن جهوده في الدعوة إلى الله .

أما عن هيكلية الرسالة ، فإن طبيعة البحث اقتضت أن تكون مكوّنة من تمهيد وثلاثة أبواب تندرج تحت كل باب ثلاثة فصول وفي ظل كل فصل مباحث .

---

7 - مطبوع ، لكنه لم ينشر، وهو موجود في المدرسة المذكورة ، وفي مكتبة المؤلف، في مدينة باي ، في السنغال، ولي منه نسخة .
8 - مطبوع ، لكنه لم ينشر ، وهو موجود في جامعة دكار ، وفي مكتبة المؤلف،في مدينة باي ، في السنغال.
9 - مخطوط ، موجود في مكتبة المؤلف في انواكشوط ، موريتانيا .

تـــناول التمهيد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عصر الشيخ إبراهيم نياس والظروف الخاصة بأسرته .

والـــباب الأول يضم حياة الشيخ إبراهيم نياس وجهاده ، وله ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حياته وآثاره العلمية

الفصل الثاني : أفكاره وجهوده في الإصلاح

الفصل الثالث : جهوده في مقاومة الاستعمار

والـــباب الثانـــي يـــدور حول منهج الشيخ إبراهيم نياس في التصوف ، وتحته ثلاثة فصول:

الفصـــل الأول : مفهـــوم التصوف ونشأته وتطوره وموقف العلماء منه

الفصـــل الثانـــي : منهج الشيخ إبراهيم نياس في بناء الفكر التجاني

الفصل الثالث : التجديد في الطريقة والفكر

والـــباب الثالث يخص منهج الشيخ إبراهيم في الدعوة إلى الله وتندرج تحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : نشاطاته وارتباطاته الدعوية

الفصل الثاني : جهاده ضد الصهيونية والتنصير

الفصل الثالث : الدعوة إلى الله من خلال مؤلفاته

ثم الخاتمة ، وفيها أوردت نتائج البحث .

هذا ، وإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فإني عاجز ، والكمال لله ، ورحـــم الله العماد الأصفهاني حيث يقول :" إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد

كذا لكان يستحسن ، ولوقُدّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

الباحث

التمهيد

الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية

في عصر الشيخ إبراهيم نياس

ينبغي قبل الدخول في صلب الموضوع ـ أن أعرّف بالسنغال ، وهي البيئة التي نشأ فيها الشيخ إبراهيم نياس والظروف التي واكبت هذه النشأة .

(أ)-السنغال في سطـــــور

تقعُ السنغال في الزاوية الغربية ، من إفريقيا الغربية ، مساحتها 76000 ميل مربع.

تحدهـــا فـــي الشرق جمهورية مالي ، وفي الغرب المحيط الأطلس، وفـــي الشـــمال موريتانيا ، وفي الجنوب جمهورية غينيا الديموقراطية وغينيا بساو[1]. ولها فصلان : فصل الأمطار وفصل الجفاف .

وأقالـــيمها هي[2] : كافيرـــ جوربل ـــ كولخ ـــ فاتيك ـــ تامباكوندا ـــ كازمـــاس ـــ ســـان لوي ـــ جيس ـــ ماتم ـــ كلدا ـــ وعاصمتها دكار ، وعدد سكانها ـــ حسب إحصائية 1999م ـــ 9200000 نسمة[3]. وتوجد بها عدة قبائل :

1- الولوف : وتشتق منها قبائل : والو - جانبورـــ كايور - با ول .

2- الفلانية

3- سيرير

4- ماندنغ

5- جولا

---

[1]- Essai sur la contribution du senegal a la litteratúre d ex presssion arabe, amar samb., p : 11, l f a n , dakar , 1972.

[2]- أفادني بهذه المعلومة الشيخ قريش بن إبراهيم نياس في تاريخ 24 / 9 / 1371 و ، ر ./ الموافق 2003 م .

2-les atlas de l afrique , direction scientifique mamoudou moustapha sale et autres,p:28, eds j a , 57 bis paris.

6 – سو ننكي

ويشتغل السكان غالبا في الزراعة والتجارة والحرف اليدوية .

وعلى الرغم من دخول الإسلام إلى إفريقيا ، على يد عقبة بن نافع ، في القرن الأول الهجري، القرن السابع الميلادي فإنه لم يظهر في السنغال إلا في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي بفضل جهود المرابطين الذين قضوا على مملكة غانا القديمة ، فكانت فوتا تورو هي أول دولة إسلامية في بداية 1776 م . وانتشر الإسلام في جميع أنحاء الأقاليم منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي[4]، بواسطة الطرق الصوفية[5] التي يشكل أتباعها نسبة 92% من عدد السكان.

(ب)-الحياة السياسية في عصر الشيخ إبراهيم نياس

حل الاستعمار محل الأمراء الوطنيين الذين كانوا يتقاسمون السلطة والنفوذ في البلاد ، فخضعت السنغال خضوعا تاماً للحكم الاستعماري منذ سنة1807 م ، وأصبحت العاصمة" سين لوي " في شمال البلد ، محل الإدارة المركزية للخكم الفرنسي .

والحق إن الفرنسيين قد سيطروا على كل أنشطة الحياة وأصبحوا يعدّون أرضية تمكنهم من استغلال خيرات البلد ، فقرّبوا كل من يرون فيه استعدادا لخدمتهم والتعاون معهم على أداء مهمتهم ، وفتحوا المدارس لتكوين مساعدين في الأجهزة المختلفة لإدارتهم ، وحاولوا إغراء الشعب بكل الوسائل وإذلاله بكل أنواع الضغوط، فانتهت المقاومة نهائياً مع بداية القرن العشرين، وظل الشعب تحت سيطرة الاستعمار إلى بداية الستينات ، حيث أعلنت السنغال استقلالها يوم 20

---

[4] - LE TEMP DES MARABOUTS, EDS DAVID ROBINSON ET JEAN LOUIS TRIAUD, P :63, I F A N DAKAR.

[5] - القادرية والتجانيه والمريدية .

أغسـطس 1960م بعـد خـروجها مـن اتحاد مالي[6] . وأول رئيس للجمهوريـة هو "لوبول سيدار صنغور. " الذي قضى عشرين عاماً في السـلطة[7] ثم تركها لرئيس وزرائه "عبد جوب"وظل هو الآخر يحكم الدولـة طـوال عشرين سنة [8] ثم خلفه " عبد الله واد" الرئيس الحالي لجمهورية السنغال.

(ج) ـ الحياة الاقتصادية

يعـتمد الاقتصاد السنغالي على المواد الزراعية ثم على التجارة ، بفضـل إمكانـية قـيام الموانئ ، والتوسط بين إفريقيا الشمالية وجنوب الصحراء . وبوجود الاستعمار في البلد ، أصبحت التجارة وموارد البلد الاقتصادية تسيطر عليها القوى الأجنبية ، وأن المزارع الوطنية مستغلة اسـتغلالا مباشراً من قبل الفرنسيين ، إلي جانب الضرائب التي فرضها المستعمر لصالحه .

وبرحيل الاستعمار ، عاد الأمر إلى مجراه الطبيعي وبإشراف من الحكومة المحلية ، وعرفت البلاد شيئا من النمو الاقتصادي.

(د) ـ الحياة الاجتماعية

لقـد أثرت الحياة السياسية والاقتصادية على المجتمع السنغالي، ذلـك أن البنـي الاجتماعية القديمة انهارت ، لكن هذا الانهيار أدى في الوقـت نفسه إلى قوة التجمعات الدينية التي كانت تحمل مشعل المقاومة إبان دخول الاستعمار ، فقويت المراكز التجانية ، وأخذ ت طرق أخرى تظهر كالمريدية التي ظهرت على يد السيد أحمد بمبا (ت 1927م) .

---

[6] – كانت السنغال – في البداية ـ عضواً في اتحا د مالي وحصل هذا الاتحاد إبان الاستقلال العمومي في 4 أبريل 1960م ثم انشق هذا الاتحاد فأعلنت السنغال استقلالها في التاريخ المذكور .

[7] – من سنة 1960م ـ 1980م

[8] – من سنة 1980 م ـ 2000م

يقول هر برت في كتابه التاريخ العام لإفريقيا السوداء :" إن انهيار وضعف البنى القديمة أدى إلى التجمع داخل الطرق الدينية الإسلامية ، التجانية (دكار ـ تواون ـ كولخ) ، والمريدية في جربل التي أنشأها " أحمد بمبا" السنغالي، وكان يدعو إلى الإصلاح عن طريق العمل الزراعي" [9] .

(هـ) ـ الظروف الأسرية الخاصة بالشيخ إبراهيم نياس

تنخرط أسرة الشيخ إبراهيم نياس في سلك الأسر التي قامت بدور فعال وبارز في الجهاد في سبيل الله ، ذلك أ ن عقبة بن نافع ، المجاهد الكبير ، وفاتح إفريقيا هو الجد الأعلى له . وقد أثبت المؤرخون ، أن حفيده الرضي العربي نزح من ليبيا[10] إلي السنغال لأجل الدعوة إلى الله،وتزوج بإحدى ملكتها " جيل نياس " وهذا الاسم هو الذي صار لقبا لأسرته .

وكان محمد جد الشيخ إبراهيم لبى نداء السيد " مابا جاخوبا[11]" للجهاد ضد الكفار والوثنيين سنة ألف ومأتين وتسعة وسبعين هجرية . فانتقل هو وابنه عبد الله _ وكان عمر هذا الأخير وقتئذ إحدى وعشرين سنة –من جولوف إلى إقليم سين سالم ، وقد أيدهم الرحمن بالنصر حيث "رفعوا راية الدين وهزموا جنود الكفار والسلاطين وطردوا جموع المنافقين والشياطين وجمعوا شمل الموحدين" .[12]

ولكن المستعمرين ، نظراً لما يشاهدونه من انتصارات " مابا" وخوفاً منه تحالفوا وتآمروا مع أعدائه المحليين فقتلوه في إحدى المعارك

9- histoire generale de l afrique noire,- hubert des champs , t 2, p: 388-389, eds pd f bordas .

10 - انظر :.مطرب السامعين والناظرين في مناقب الحاج عبد الله ،محمد بن عبد الله العلوي التشيتشي ، تلخيص الشيخ إبراهيم نياس ، ورقة: 2، مخطوط ،مكتبة الشيخ ماحي سيسى ، مدينة باي، السنغال ، بتصرف .

11 – ولد حوالي 1810م في "رف" بالسنغال ، أخذ الطريقة التجانية على يد الحاج عمر الفوتي سنة 1850م ، جاهد كثيراً في إعلاء كلمة الله ومحاربة الكفار توفي 1960م

12 – انظر : مطرب السامعين ،المصدر السابق، ورقة 6 .

التـــي كان يخوضها ضد المستعمر سنة 1867م فاختلف أنصاره بيـــن مؤيدين لاستمرار الجهاد مع ابنه وخليفته، وبــــين من لا يرون ذلك، وكـــان محمد من الصنف الأخير، لذلك رجع إلي قريته نياسيـــن الـــتي أسســـها ،أما ابنه الحاج عبد الله ـــ والد الشيخ إبراهيم ـــ فقد استمر في الجهـــاد مع سار ماتى، خليفة" مابا" ثم رجع إلى طيبة نياسين التي هو مؤسسها ، وتفرغ للزراعة ونشر العلم(13) فاجتمع عنده كثير من التلاميذ حتى كتب حاكم المنطقة تقريراً ينص على أن الحاج عبد الله أكثر علماء المنطقة عدداً من الطلاب(14) .

وأقر فرنسي آخر" مرتي" أنه أكبر التجانيين عدداً من المريدين خارج فوتا(15) فوشي به إلي الإدارة الفرنسية الاستعمارية على أنه يحرض الناس ضدهم سنة 1901 م فكان جزاءه أن دمروا مدينته فهاجر إلى غمبيا حتى سنة 1910م حيث تصالح معهم بفضل جهود الحاج "مالك سي" أخيه في الله . ثم رجع إلي كولخ، واستمرت نشاطاته الدعوية ولم يدخل أحدا من أولاده المدرسة الفرنسية خلاف الشيوخ الآخرين . وكان دعاؤه دائماً: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) (16). ولقد أجاب الله دعاءه، لأن جميع أولاده علمـــاء مشهورون .

13- Le temps des marabouts ,document cité, p: 301-302 .

14 -islamique and imperialism, kleinK. p :224, archives nationales du sénegal, non classé.

15- étude sur l' islam au senegal, marty, p: 136.

15 – آل عمران : 38 . معلومة من ا لشيخ ماحي نياس وهي مسجلة في شريط عندي في مقابلتي معه بتاريخ 10/ 8/ 2002 م .

الباب الأول
حياة الشيخ إبراهيم نياس وجهاده

* الفصل الأول : حياته وآثاره .
*الفصل الثاني : أفكاره وجهوده في الإصلاح
* الفصل الثالث: جهوده في مقاومة الاستعمار

الفصل الأول

حياته وآثاره

مدخل :

كانـــت حياة الشيخ إبراهيم نياس حياة جد وفيها دروس وحركات ونشاطات . ولقد لاحظته عناية الله فوفق في حركاته وساكناته منذ بداية نشأته إلي انتقاله إلي الرفيق الأعلى .

ســـخر أوقاتـــه فـــي الخير، في الاستفادة والإفادة ، طهر القلوب وسقى ريـــاض الأخـــوة فـــي الإســـلام ، وأحيا سنة التعارف والتعاون على البر والتقوى بين مختلف القبائل والشعوب سودا وبيضاً في قارات العالم، وانتقل إلي رحمة مولاه مكرماً وموفقاً وبقيت نتائج أعماله جارية .

وسأضع بين يدي القارئ وقائع هذه الحياة من الميلاد إلى الوفاة .

المبحث الأول

حيـــــــاته

أولا : مولده ونشأته

ولد الشيخ إبراهيم نياس في طيبة انيسين[17] سنة 1318هـ[18]،وهي قـرية بإقليم سين سالوم ، يفصل بينها وبين كولخ 58كيلو مترا تقريباً. والشـيخ هـو المولود الوحيد لوالده في تلك المنطقة،إذ أن إخوانه ولدوا أثـناء الهجرة ، وقد كان اسمها " ته به " باللغة الو لوفية ومعناها " من سـئم ترك " وبدله الشيخ باسم طيبه اقتداء بطيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم(19) .

نشـأ في بيت علم ودين وزهد(20) ، يُحكى عن آبائه وأجداده أنهم كلهـم حـافظون للقرآن ومفسرون له، فهي أسرة تهتم بالقرآن منذ قديم الزمان نشراً وتدريساً ، يتوارثونه أباً عن جد ، فلم يخرجوا إلى غيرهم لـتعلمه ودراسـته ، والدعـوة إلـى الله والجهاد في سبيل نشر العلم ومحاربـة الجهل ميزتهم ودينهم، فلا غرابة أن يظهر منهم فطاحل من العلمـاء، أبـرزهم الشـيخ إبراهيم نياس" الذي نشأ وشب في أحضانها ذوعفاف وديانة وتقى ومروءة وصيانة وأدب وورع "(21).

قرأ على والده القرآن، فحفظه حفظاً جيداً قبل العاشرة من عمره، ولازمـه مـنذ صغره حتى آخر لحظة من حياته، يختمه مرتين في كل أسبوع ، إحداهما عن ظهر قلب بالليل و الأخرى نَظَراً في المصحف

17- هي قرية من قرى السنغال.

18 ــ انظر: الملحق رقم: 1،

19 ــ انظر : مذكرة كدونية في حياة الشيخ إبراهيم نياس ، الشيخ نذير ، ورقة:.6 ؛ مخطوط ، نسخ يوسف أبي بكر محمد البكوي ، بمكتبة المؤلف ، مدينة ، السنغال،بتصرف.

20 ــ انظر : مطرب السامعين والناظرين ، المصدر السابق ، ورقة :12أ ،بتصرف .

21 ــ كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس ، إبراهيم نياس ، ص: 4 ، ط1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 1371 هـ ــ 1952م .

بالنهار[22] .

"وقد ظهرت منه النجابة في صغره ثم شمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تحصيل العلوم الرسمية المنطوق منها والمفهوم، حتى استفاد وأفاد، وبلغ فيها المنى والمراد ، وتبحر فيها وتفنن بجميع فنونها ، حائزاً قصب السبق في أقرب مدة، وأقامه الله رحمة للعباد ونفعا لكل حاضر وباد . وتولى تعليمه والده المذكور،ذو القدم الراسخة والصيت المشهور ، حتى تلقى منه بحمد الله فرائد الفوائد وصلات الأسرار والأذكار ، ثم فتح الله عليه فتحاً مبيناً تاماً، وأعطاه علوماً وهبية لدنية حتى تضلع فيها ، ولم يقرأها على أحد ، بل علمه إياها الذي بكل شيء عليم" (23) .

وكان يلازم والده الحاج عبد الله ، ويستغرق جميع أوقاته في قراءة الكتب ومطالعتها عنده . وذات يوم بحث عنه والده ولم يجده في البيت ، فصادفه في باب داره فوبخه ولامه قائلا "خسارة يا بني إبراهيم إني ما كنت أرجو سواك من الأولاد وأنت أيضاً بدأت تخرج من الدار؟"فاعتذر الشيخ له مخبراً أنه خرج للبحث عن القنديل لأنه انتهى وهو في المطالعة . ولحرصه في التعلم كان إذا أرسله والده لمراقبة البستان ، يذهب في الصباح الباكر ويصعد فوق الشجرة ويراجع دروسه بأعلى صوته حتى الغروب[24] . فالشيخ إذا، جمع بين الجد والموهبة في تبحره في العلوم وتفننه فيها.

---

22 ـ انظر : جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من كتب ورسائل الشيخ إبراهيم ، محمد بن سيد ، ص: 49 ، المدرسة العليا للأساتذة والمفتشين ، انواكتشط ، 1982م ، بتصرف .

23 ـ كاشف الألباس ، المصدر السابق ، ص:4 .

24 ـ انظر : مذكرة كدونية في حياة الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ورقة: 7 - 8 ، بتصرف .

ثانياً : مكانته العلمية

صرح الشيخ بنفسه بأن أستاذه الأكبر في القرآن وعلومه وفي مختلف المعارف هو والده [25]، ولما توفي، تصدر الشيخ للإفتاء في النوازل والتعليم عموما [26]، فطار صيته وانتشر ذكره فأمه الطلاب وقصده طلاب المعرفة من كل حدب وصوب .

ولقد ساعده في ذلك سعة علمه ودقة فهمه وقوة ذاكرته وجودة حفظه وإحاطته بالمعاني وتحكمه في العبارة[27] إلى جانب الموهبة الإلهية التي يتمتع بها ، فأصبح تلامذة والده– ومنهم بعض إخوانه– تلامذته، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وذلك بعد وفاة والده سنة 1340هـ .

وكان يفسر القرآن باللغة المحلية عند قوم ، وعند العرب بالعربية. ولعل شهادة محمد عبد الله بن السيد[28] أحد تلامذته الموريتانيين توضح مستواه الرفيع في هذا المجال ، فقد ذكر أنه" يفسر القرآن بالقرآن وبالحديث ، لا يكرر حكاية ولا أعاد حديثا ولا جاء بحشو ولا جاوز آية حتى أروى كل غليل وأشفى كل عليل ، واستخرج منها الدقائق ، وأتى بصنوف وعبر لم يأت بها في المرة الأولى . وكان موضع إعجاب الناس وتقديرهم لما يأتيهم به من حكم وأحكام ومعان عجيبة ولطائف وأسرار وعلومٍ حقانية" [29] .

وللشيخ إبراهيم مواقف علمية أذكر منها اثنينَ على سبيل المثال لا الحصر.

---

[25] ـ انظر : كاشف الألباس ، المصدر السابق ، ص: ل بتصرف. وانظر : آباني في الدين ، إبراهيم نياس ، ورقة :1، مخطوط ، مكتبة الشيخ إبراهيم محمود جوب ، مدينة ، السنغال ،بتصرف.

[26] ـ انظر: جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص:48 بتصرف .

[27] ـ انظر : من أخبار الشيخ إبراهيم ، محمد عبد الله بن السيد ، ورقة 95 ، مخطوط ، مكتبة المؤلف ، أنوا كشط ، موريتانيا ، بتصرف .

[28] ـ هو تلميذه من الشرفاء العلويين الموريتانيين وشاعره المفلق ، مازال على قيد الحياة . وقد زرته في انواكشط في شهر تسع ، سنة 2002م انظر: الملحق رقم : 2 .

[29] ـ من أخبار الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص:96. .

1- أفتى العلامة الشيخ سكيرج[30] بوجوب إخراج زكاة الفول السوداني، وكانت مدرسة الحاج عبد الله نياس ممن لا يرون ذلك ، والشيخ إبراهيم ـ حينئذ ـ يعمل تحت إشراف أخيه الأكبر الخليفة الحاج محمد ، فألف كتابه "إرشاد السارين في عدم وجوب زكاة الهارين[31] بموافقة أخيه ، فلما رآه العلامة سكيرج واطلع على اعتراضه المهذب عاد عن فتواه .

2 - وافقت رابطة العالم الإسلامي على اقتراح مفتي المملكة الغربية السعودية بتنحية مقام إبراهيم ونقله من مكانه باسم توسعة المطاف، وكان الشيخ إبراهيم يرى إبقاء المقام في مكانه وألف في ذلك كتابه الموسوم بـ "سبيل السلام في إبقاء المقام "، ذكر فيه حججه وأدلته مدعما ذلك بالآثار فترجح بذلك موقفه وأبقي المقام في مكانه[32].

أما مستواه العلمي فيظهر في حصوله على إجازات علمية من عدة جهات ، ذلك أنه التقى بكثيرمن كبار علماء عصره في مختلف البلاد الإسلامية ، وتناقش مع كل منهم في كثير من المسائل العلمية الكبرى ، ومن خلالها أدركوا أنه متعمق في كثير من العلوم المختلفة ، وأن مستواه العلمي رفيع جدا ، فأعطوه ما تحصلوا عليه من إجازات علمية ، ولكثرتها أكتفي بذكر ثلاث منها :

(أ)- إجازات من طرف الشيخ أحمد سكيرج [33] أكبرها تأليفه المعنون بـ "قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ" ، وقد أجازه بمثل ما أجازه

30- هو قاضي سطات با لمغرب ، كان بدرا في سماء المغرب والعالم الإسلامي ، له 144 مؤلفا ، طبع البعض منها ، ومن بين هذه المؤلفات قصيدة تشتمل على ثلاثة آلاف بيت ضمنها87 فنا من الفنون العلمية سماها " الوصية الشافية " ،توفى 1362 هـ . انظر : الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية ، د . عبد الرحمن طالب ، ص:64 ، الجزائر 1999 ،د. ب م ن ،بتصرف .

31- الفول السوداني .

32- اكد ذلك أمين سره الشيخ إبراهيم محمود جوب في شريط عندي ،وكان معه أثناء المناقشة في داخل قاعة المؤتمر.

33- سبقت ترجمته .

جميع شيوخه ، ويقدرون بنحو ستمائة شيخ، وذلك في المنقول والمعقول والمروي ، وذكر أنه الوحيد الذي نال شرف هذه الإجازة الكبرى (34).

(بَ) ــ إجازتــه من خادم السنة الشيخ محمد عبد الحي ابن أبي المكارم عــبد الكبــير الحســيني الحســني الإدريسي الكتاني(35) جاء فيها ، أنه أجازه(36) بجميع ما له من مرويات ومقروءات ومسموعات ومجازات عــن قريــب من خمسمائة نفس، بالمغرب الأقصى والأوسط والحجاز ومصر والشام واليمن والعراق، وأجازه بكل ماله من مؤلفات بلغت نحو مئتيــن، وكذلــك مؤلفات والده وأخيه وجده وخاله وسائر ما لأسلافهم، إجازة عامة مطلقة تامة، يحدّث عنه بها كيف شاء ولمن شاء(37).

(ج) ــ إجازتــه مــن طــريق الأزهــر عن العلامة عبد الله بن الطيب الشافعي، أجازه بجميع ماله من إجازات ، نحو عشرين إ جازة، وأبرزها التي أتت عن طريق الشيخ عبد الرحمن الشر بيني الشافعي الأزهري(38)، فــي كــل حديث وأثر وفروع وأصول ، ومعقول ومنقول كما أخذها هو الآخر عن الأئمة السادة والأكابر القادة .(39)

ويــبدو لي عن طريق هذه النماذج الثلاثة من الإجازات التي حصل علــيها الشــيخ ، أنــه يتمتع بثقافة واسعة ومعلومات عميقة في الدين، ومســتواه عــال فــي العلم ،وأنه معترف به من طرف بعض السادات

34 ـ انظر : قدم الرسوخ ، الشيخ أحمد سكيرج ، آخر قائمة الملاحق ، د. ر ، مخطوط ، مكتبة الشيخ إبراهيم محمود جوب، مدينة ، السنغال، بتصرف . وانظر: أبائي في الدين ، المصدر السابق ، ورقة: 4 ، بتصرف .

35 ـ هو عالم بالحديث ورجاله ، مغربي حج فتعرف على رجال الفقه والحديث في مصر والحجاز والشام والجزائر وتونس والقيروان ، وعاد بأحمال من المخطوطات وكان جماعا للكتب ، ذخرت خزائنه بنفائس ، ضمت إلي خزانة الكتب العامة في الرباط . كان صدرا من صدور المغرب ، وله تآليف كثيرة ،توفي سنة 1962م.انظر: الأعلام ، خير الدين الزركلي، ج6 ص:188، ط 6 ، دار العلم للملايين، لبنان ، 1984م بتصرف.

36ـ هذه الإجازة حررت في اثنين من جمادى الأولى ، عام 1358هـ بفاس . انظر : أبائي في الدين، المصدر السابق ،ورقة: 9.

37 ـ انظر : أبائي في الدين، المصدر السابق، ورقة :13 - 20 ،بتصرف.

38 هو فقيه شافعي أصولي مصري ولي مشيخة الأزهر سنة 1322هـ إلي 1324هـ وكان ورعا زاهدا ، لم يتزلف لكبير ، له مؤلفات منها تقرير على جمع الجوامع في الأصول وفيض التاج في البلاغة ، توفي في القاهرة سنة 1908م. انظر: الأعلام ، خير الدين الزركلي ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص: 334 .

39 ــ انظر : أبائي في الدين ،المصدر السابق ،ورقة : 20-22 ، بتصرف .

العلمـــاء أهل زمانه إذ أنه نال ثقتهم . أضف إلي ذلك تآليفه في مختلف الفنون ، وسيأتي ذكرها بالتفصيل في هذا الفصل .

ثالثا: شيوخه

سبق أن ذكرت أن له شيخاً واحداً هو والده ، ولم يتتلمذ على غـيره بعـد وفاته، وهو في عنفوان شبابه ، بل اعتمد على نفسه في البحـث والمطالعة ، مؤيداً بذكائه الفائق وموهبة من عند الله حتى تبحر في كثير من العلوم والفنون الشرعية واللغوية وغيرها .

رابعاً: تلامذته[40]

انقـاد إلـيه كثير من التلاميذ وأتوه من البلاد الأفريقية المختلفة للانتفاع بعلومه والاقتداء بهديه ، وبعضهم آسيويون وأوربيون ، وكثير منهم قبل اتصالهم بالشيخ كانوا من الوثنيين أو من المسيحيين .ولا توجد إحصـائيات دقـيقة لأتباعه وكل ما في الأمر أن عددهم تقديري ، وقد قدرهـم الشـيخ سـنة 1379هـ بـ" عشرة ملايين ، جلهم كانوا كفاراً وعـبدة أصـنام ومسيحيين فعرفوا الله وفتح عليهم" [41].أما مجلة " آخر ساعة " المصرية فقدرتهم بما يزيد على 30 مليون نسمة [42].

وقد اختلفت وسائل اتصال هؤلاء التلاميذ بالشيخ ، فبعضهم اتصل بـه في" مدينة باي"[43]، وبعضهم أثناء رحلاته في مختلف أقطار العالم ، والبعض الآخر كان اتصاله به عن طريق مقدميه وأصحابه الذين حملوا دعوتـه إلى مختلف البلاد ، وما زال العدد يتزايد يوماً بعد يوم إلى ما شاء الله . وليس لهم شعار يميزهم عن غيرهم في السلوك الظاهري فلا تقشـف ولا انعـزال فـيهم .وقـد ثبت وجودهم الإيجابي في المساجد والجوامـع وفـي المزارع والمدارس والجامعات والأسواق والأحزاب

40- انظر: الملحق رقم : 3 .

41- شخصية الشيخ إبراهيم نياس ودعوته ، النعمة بن عبد الله ، ورقة: 37 . مخطوط ، مكتبة المؤلف ، نواكشوط ، موريتانيا .

42- انظر: مجلة "آخر ساعة " المصرية عدد 2128 ،بتاريخ 8/5 / 1975م ، بتصرف .

43- هي القرية التي أسسها الشيخ .

السياســية والــبرلمانات والحكومــات والمحاكم والمصانع وفي سائر الميادين .[44]

ولا يهــم الشيخ كثرة العدد من التلاميذ وإنما أن يهدي الله فردا أوأفــراداً إلــي ديــنه الحق،على يديه أو على يد غيره [45] . لذلك، فهم مدربــون على الإخلاص في العبادة والاعتقاد السليم ،اعتقاد أهل السنة والجماعــة ، وحــب الرسول صلى الله عليه وسلم والإكثار من الصلاة علــيه، وذكر الله أناء الليل وأطراف النهار، وحسن الظن بالله وبعباده، والكسب الحلال دون البطالة [46] .

وقد وصفهم نعيم قداح بقوله:" وهناك جماعة الشيخ إبراهيم نياس بكولخ وهذه الجماعة تسعى إلي نشر الثقافة الإسلامية العربية والدعوة إلــى الإسلام سعياً جديا" [47]. وذكرت جريدة الأنباء المغربية أن الشيخ ترك وراءه رجالا أكفاء يحملون مشعل الدعوة في غرب إفريقيا بعد أن تحمــل فــذاً جميع الأعباء الناجمة عن التصدي للمكائد والدسائس التي يحوكها الأعداء ضد الإسلام والمسلمين .[48]

وأرى أن آتي ببعض العينات من تلاميذه مع اختلاف تخصصاتهم .

خامسا: بعض الأعلام من تلامذة الشيخ إبراهيم نياس

1- الإمــام الشــيخ حســن سيسي : نال إجازة عالمية في الشريعة، في جامعة عين شمس بمصر، ودكتوراه بالإنجليزية في لندن، أسلم على يديه خلــق كثــير فــي بعض البلاد الإفريقية وأمريكا وأوروبا وآسيا ، أسس معهــدا عصــريًا بمدينة كولخ السنغالية، وهناك معاهد ومدارس وزوايا التجانــية تابعــة له في كثير من البلدان وخاصة في أمريكا ، شارك في كثير من الملتقيات والمؤتمرات الإسلامية الدولية ، وله علاقات مع كثير

---

44 ـ انظر:جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ ابراهيم ، المصدر السابق ص:91، بتصرف .

45ـ هذا جواب الشيخ لمراسل جريدة البلاد بمكة في الحديث الصحفي . انظر: المصدر السابق ص:51، بتصرف .

46 ـ انظر : شخصية الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق، ورقة:55 ، بتصرف .

47 ـ حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، نعيم قداح ، ص: 132، نشر مكتبة أطلس دمشق ،1965م.

48 ـ انظر: إنذار وإفادة إلي بائع دينه بشهاده ، ص:29 ، ط2 ، 1980 ، د- ب م ن، بتصرف .

من الرؤساء والوزراء وشخصيات من رجال الدولة في مختلف البلاد في العالم، وكثير منهم يزورونه في السنغال ، وله مؤلفات بالعربية والإنجليزية، وما زال إماما بالمسجد الذي أسسه الشيخ إبراهيم بمدينة في السنغال(49) .

2- الشيخ إبراهيم صالح الحسني : ولد في نيجيريا سنة 1938م، حصل على إجازات كثيرة في مختلف فنون العلم ، وتقلد مناصب عديدة منها : رئيس هيئة الإفتاء بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في نيجيريا منذ 1992م، والأمين العام المساعد للشؤون الإفريقية في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية بليبيا، ومؤسس ومرشد منظمة النهضة الإسلامية وغيرها من المناصب ، وقد حصل على أوسمة وشهادات تقديرية كثيرة في ليبيا ومصر وسوريا ونيجيريا ، كما أنه وكل بمهام كثيرة منها : عضويته في لجان المصالحة في النزاعات المختلفة في نيجيريا وغيرها، وشارك في كثير من المؤتمرات الإسلامية الدولية ، واستضاف الملتقى الصوفي العالمي بميدغري في نيجيريا عام 1997م ، وله مؤلفات كثيرة، أطال الله بقاءه (50).

3 -الشيخ إبراهيم محمد جوب : هو أمين سر الشيخ إبراهيم نياس ، نال شهادة عالمية في اللغة العربية وإجازة في التفسير وعلوم القرآن ، وتدرج في كثير من المناصب أبرزها : أمين عام لرابطة جمعيات أنصار الدين، ورئيس التحرير لمجلة إفريقيا المسلمة، ورئيس القسم العربي في معهد جامعي بغانا، ورئيس جمعية الدراسات والبحوث في الإسلام والتنمية في السنغال ، وأمين عام لمنظمة رابطة علماء المغرب والسنغال للتعاون الإسلامي حتى الآن ، وشارك في معظم المؤتمرات والندوات والملتقيات

---

49 - وقد لاحظت ذلك أثناء إقامتي في مدينة بالسنغال عام 2002 م حيث مكثت فيها 9 أشهر .وانظر: الملحق رقم : 4 .

50 - انظر: حقيقة الطريقة التجانية ، إبراهيم صالح ، ص : 61 -63 ، ط.1 ، مصر ، 2000م ، وانظر: الملحق رقم:5 .

الإسـلامية والفكـرية التي نظمت في الثلاثين سنة الماضية في إفريقيا الشـمالية وفـي الشرق الأوسط وآسيا وفي غرب إفريقيا ، وقد وفقه الله للمشـاركة في العمل الإسلامي في الأربعين سنة الأخيرة ، حيث تشرف بإلقاء عدد من المحاضرات والدروس ، كما شارك في تغذية عدة لقاءات وذلـك في بعض البلدان الإفريقية الغربية والشمالية ، وحتى في القاهرة وفـي الكويـت وفـي بريطانيا وفي أمريكا ، وله مؤلفات كثيرة . وُشح بأوسمة وطنية وأكاديمية في السنغال وفي المغرب وفي أمريكا وهو في العقد السابع من عمره ، أطال الله بقاءه (51) .

4- الشيخ أبو بكر هاشم : هو مؤسس قرية جوتا في جمهورية النيجر ، هـدى الله علـى يديه خلقا كثيرا ، أكرمه الله بالعلم والمعرفة والتقوى ، وممـا قـال له الشيخ إبراهيم عندما أذن له بالعودة إلى وطنه بعد التتلمذ على يديه : " أذنت لك بالعودة إلى الوطن للقيام بمهام منصبكم داعيا إلى الله تعالى آخذا بأيدي الإخوة ورفع راية الإسلام والطريقة" . يأتيه زوار كثـيرون من المدن والقرى النيجرية ، ومن نيجيريا وغانا وساحل العاج وغـيرها من البلاد الإفريقية ومن بين الزوار شخصيات مرموقة رفيعة المسـتوى ، تأتيه الأرزاق والأموال، ولكنه لا يدخر لنفسه شيئا منها بل يصـرفها للفقراء والمحتاجين، كما أن له حقولا وبساتين هي أيضا حظ ونصيب للفقراء ، أسس مسجدا كبيرا ومدرسة كبيرة شملت كل مراحل التعلـيم مـن الروضـة إلى الثانوية ومن مدرسيّها الأزهريون ، وهناك مساجد ومدارس فرعية تابعة له وهو على قيد الحياة ،أطال الله بقاءه (52).

5-الشيخ عيسى : ولد في بورنو بنيجيريا ، وحاليا يسكن في تشاد، وهو

---

[51] ـ انظر : السيرة الذاتية للشيخ إبراهيم محمود جوب ، مكتب أمانة رابطة علماء المغرب والسنغال ، دكار ، السنغال .وانظر : الملحق رقم : 6 .

[52]ـ مجلة المولد النبوي الشريف ، العدد : 1 ، ص : 27 ، مدينة جوتا ، 2002 بتصرف .وانظر : الملحق رقم : 7

الــذي نشــر الطريقة التجانية في ليبيا بشكل جلي ، ومسجل في وزارة الأوقاف ، وله تلاميذ كثيرون ومقدمون فيها .

6- الشيخ محمد الأمين : هو سنغالي وداعية كبير حصل على ماجستير في الأزهر، كان قنصلا عاما للسنغال في السعودية ، ولم يشغله منصبه السياسي عن نشاطاته الدعوية ، له تلاميذ في مختلف البلاد الإفريقية ، وله مؤلفات عديدة .[53]

7-الشــيخ محمــد المشري من الشرفاء العلويين الموريتانيين وأحد السابقين في الطريقة التجانية ، عارف بالله ، عالم متبحر ، ومحدث ســني ، له مؤلفات وديوان شعري محقق بجامعة انواكشوط ، توفي سنة 1975م ، ورثاه الشيخ إبراهيم بقصيدة شعرية ومما ورد فيها :

محمدنا المشري أتاك حمام ... وأرجو من المولى أتاك مرام
وعشت عزيزا عابدا متنسكا ... و في خدمة المولى أتاك حمام

إلى أن قال :

وأين له سن وأين شبيهه ... له جاء مرخي الأنام مقام
صفيا حفيا نافعا ومقربا ... جوادا كريما بل تراه إمام
فثلمة دين الله موتك فجأة ... وإن له والحزم وهو همام[54]

8 ـ الشــيخ محمد النحوي : هومن الشرفاء العلويين ، وهو أديب وفقيه وزاهــد ، وهــو أول مــن تعلق بالشيخ إبراهيم من الموريتانيين ، نشر الطــريقة التجانــية في السعودية وفي كثير من الدول العربية، له تلاميذ كثيرون في موريتانيا وغيرها ، توفي سنة 2003م [55].

53- انظر: الملحق رقم: 8 .

54 انظر: جمع وتحقيق ، المصدر السابق ، ص: 72 .

55 - معلومة مسجلة في شريط بصوت ابنه محمد الحافظ وذلك في مقابلتي معه بنواكشوط، بتاريخ9/9/ 2002م ، وانظر: الملحق رقم: 9 .

9 – الشيخ محمد الهادي : هو من آل مولود فال الأسرة الشريفة العلوية المعروفة بالعلم والمعرفة والصلاح ، وهوسفير الشيخ إبراهيم في إفريقيا، له تلاميذ وأتباع كثيرون في موريتانيا ونيجيريا وتشاد وغيرها [56] .

10– الشـــيخ هـــادي : هو داعية كبير، له تلاميذ في السنغال، وغامبيا وموريتانيا وأوروبا وأمريكا ، كان يقطع البحر[57] لأجل الدعوة إلى الله، ولـــه فـــي أمواله نصيب للفقراء والمساكين ، أنشأ مدارس في كثير من القرى السنغالية مثل : مدرسة "كَبرين" وغيرها .

11– محمد عمر : هو نيجري ، تقلد مناصب عديدة في الحكومة ، أبرزها رئيس البرلمان ، وأول رئيس للوزراء في النيجر ، وحاليا سفير النيجر بالسعودية ، وهو صوفي كبير.

وأفادنـــي أحد الموريتانيين أنه ما من حكومة من حكومات موريتانيا إلا وفيها تلامذة الشيخ [58].

فتلامذة الشيخ إبراهيم كثيرون وموجودون في جميع طبقات البشر، منهم فقراء ومنهم متوسطون ومنهم أغنياء ومنهم موظفون ومنهم رجال الأمن ومنهم سياسيون، ومنهم علماء ...

سادسا: شخصيته العلمية

لقد اشتركت عوامل كثيرة في تكوين شخصية الشيخ إبراهيم نياس ، بعضها ناتج عن الحياة التي تحياها أسرته عامة ، وبعضها بيئي .

وفيما مضى وَرد أن أسرته متعلمة ومتدينة، ومعروفة بالجهاد في سبيل الله،فهـــي في تسلسل علمي حتى إن والده الحاج عبد الله كان يدعى شيخ الإسلام وقاضي القضاة ، ومن ناحية أخرى كان أجداده من سلالة أميرية ورثـــوا ذلك عن والدتهم " جيل نياس " التي يطلق اسمها على الأسرة ،

---

56 - انظر: جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ ابراهيم ، المصدر السابق ، ص: 78، بتصرف.

57 - إني لشاهد على ذلك لأني سافرت معه إلى قرية معزولة عن المدن ، قطعنا البحر لمدة ثلاث ساعات تقريبا ، وذلك للدعوة إلى الله ، وكان في شهر يونيو عام 2002 م، وانظر: الملحق رقم : 10 .

58 - معلومة مسجلة في شريط عندي في مقابلتي مع أ. يحيى بتاريخ 20/ 10./ 2002 م.

وبذلـــك تكون الأسرة قد جمعت بين فرعي المجد : العلم والملك ، وإلى جانـــب ذلـــك، كـــان والده الحاج عبد الله عالما وقائدا من قواد الطريقة التجانـــية ومربـــيا مشـــهورا في البلاد الإفريقية الغربية إلى جانب كونه مجاهدا ضد الاستعمار والوثنية والتبشيربالنصرانية، وداعية للإسلام .

ثم إنه اعتمد على نفسه بعد والده، فتبحر في العلوم الشرعية واللغوية والثقافـــية ، وقـــد أعانـــه علـــى ذلك وجود مكتبة والده الزاخرة بالكتب النفيسة، وسعيه لاقتناء الكتب مهما كانت قيمتها باهظة .

والمجـــتمع السـنغالي مجتمع يحب الدين ، ويعظم العلماء والشرفاء والصـــالحين ، ويقـــدر القـــيادة ، وهو معرض لغزو المذاهب المضادة للإســـلام ، مـــثل التبشير والصهيونية والاستعمار وغيرها ،الأمر الذي يفرض على قادة المسلمين أن يستعدوا لمجابهة هذه الأخطار [59].كل هذه العوامل السالفة الذكر قد أثرت في الشيخ إبراهيم فجعلت منه قائداً مؤمناً بالله ومعتمداً عليه اعتمادا ظهر على سلوكه.

سابعا: ركائز هذه الشخصية

ركائـــز شخصـــيته هـــي العقيدة والعبادة والأخلاق التي تتجلى في سلوكه : أما عقيدته[60] فهي عقيدة أهل السنة والجماعة ، فهو في عقيدته – كما يعلن عن نفسه– سنيّ .ويبدو ذلك جلياً في مؤلفاته فيما كتب وفي خطـــبه ، وفي تحركاته في السنغال وفي العالم الإسلامي حيثما توجه ، وفـــي إلقائـــه للـــدروس على تلاميذه، فهو ثابتَ رَاسخ كالجبل على هذه العقيدة لا يساوم فيها ولا يسامح أحداً يتساهل في شأنها ،هذا ما شهد به أمين سره إبراهيم محمودِ جوب. .[61]

[59] - انظر: شخصية الشيخ إبراهيم نياس ، المرجع السابق ،ورقة : 14 ،بتصرف .
[60] - انظر: جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب الشيخ، المصدر السابق ، ص:49 ن بتصرف.
[61] - الشريط رقم(1) ،إبراهيم محمود جوب ، بتصرف

وفـــي عبادته ، يعبد ربه عبادة عارف به ، فهو من العلماء العاملين الحريصـــين علي العبادة بالذات ، ويراها واسطة المجال ابتداء بالأركان، وبالصلاة بالذات ،عاش حياته مثلاً رائعاً في رعاية الوقت وأداء الصلوات فـــي الجماعات إماماً، والتردد بين بيته وبين مسجده سجله التاريخ، ويؤكد ذلك قول "الشيخان " (62) الموريتاني :

حيث فاض الخليل يمشي هوينا تقتفـــــــــيه أئمة أعلام
لم يظل مقبلاً علـــــيه فإذاما دخـل المسجد الصلاة تقام

لـــه عناية بالعبادة ،في الصوم ،في الحج ، في الذكر، في الصدقات، في الإنفاق ،في الجهاد في سبيل الله ،في نشر المحبة قي قلوب عباد الله، في استقبال الضيوف ،في زيارة المسلمين في بلادهم ، في إصلاح ذات البين بين الأفراد وبين الجماعات.

وقـد شهد ذلك أمين سره عند ما كان في صحبته في كرا تشي سنة 1963م وهوينهـــي زيارته بباكستان بمؤتمر صحفيّ، تحدث أثناءه عن العلاقـــة بين مصر والسعودية وهي يومئذ علي غير ما يرام ،داعياً إلي الصـــلح و مذكّـــراً بأواصــــر الأخوة بين المسلمين. (63) ومما يتصف به خلقـــياً: الحياء وحسن المعاشرة مع الخلق في الصفح والعفو، يعفو وهو مقـــتدر ، يجـــود وهـــو مفتقر ،يعلّم صحيحاً وأحياناً مريضاً، وأقر بذلك خـــازن ســـره وأميـــنه العام الشيخ علي سيسي مضيفاً عددا من صفاته الأخرى منها السخاء والصبر والعدل والصمت والوّقار والمحبة والأمانة والعـــبادة والوفـــاء والشـــفقة وحســـن الخلق مع كل مخلوق لله تعالي ، والاســـتنان بسنة خير البرية، وتقوى الله في السر والجهر ،وعدم معاملته

62- هو الشيخان من آب بن الطلب العلوي الشنقيطي من سلالة الشيخ محمد الحافظ المصدر الأول للطريقة التجانية في غرب إفريقيا ،وهو من السابقين الأولين عند الشيخ ،وكان يحبه كثيرا ويجله ،توفي سنة 1405هـ

63 - الشريط رقم (1) ، صوت إبراهيم محمود جوب.

لغير الله وحسن الظن بالله وتفويض أموره إلى الله .(64) فشخصية الشيخ إبراهيم شخصية إسلامية متكاملة.

وقد كانت حياة الشيخ مليئة بالكرامات ، فمنذ نشأته إلي انتقاله إلي رحمة الله، كانت تظهر علي يديه خوارق العادات وعجائب الكرامات ولكنه غير مهتم بها لأنها ليست مقصده.وقد سأل الله أن يرزقه كرامة حفظ القرآن كما في البيت التالي :

فلتجعلنّ حفظ كتابك الكريم   كرامتي إلى لقائك العظيم(65)

ولا شك أن المجيب أجاب دعاءه ،فكان القرآن كرامته ،لأنه كان يَختمه مرتين في كل أسبوع منذ صغره حتى وفاته ، وجل أبنائه وأحفاده حفظة للقرآن ، ومن توجيهاته إلى تلامذته الاهتمام بقراءته وختمه، فمعظمهم تراهم متشبثين به دائماً .

ثامناً: مكانته الاجتماعية

نال الشيخ شهرة عظيمة وتقديرا فائقاً في المجتمع ، فالتلاميذ الذين يفدون إليه من شتى أنحاء إفريقيا يكرمونه ويبجلونه ويفتخرون بالانتساب إليه والتتلمذ على يديه، ويؤكد ذلكَ قول الحاج عبد الله (66) المشري العلوي الموريتاني؛ أن انتسابه وتعلقه بالشيخ منة (67) من عند الله، وكون محمد عبد الله بن السيد العلوي الموريتاني يشكر ربه بأن هداه ومنّ عليه ووفقه لاتباع شيخ الإسلام إبراهيم نياس(68).

يتمتع الشيخ بتقدير واحترام المجتمع السنغالي شعبا وحكومة له ، فالعلماء سراج الأمة، وهم — في السنغال — إذا أجمعوا على أمر جامع

64- انظر: كاشف الإلباس، مصدر سابق ص:9 ، بتصرف.
65 جامع جوامع الدواوين ،الشيخ إبراهيم نياس ،ص:202 ، المكتبة الشعبية، بيروت ،د.ت .
66- تلميذ الشيخ ما زال على قيد الحياة، وهو موريتاني. انظر : الملحق رقم : 11.
67 - انظر: إنذار وإفادة ، الحاج عبد الله المشري،ص: 11، ط 1980م، د. ب م ن ، بتصرف.
68- انظر : الملحق رقم : 12 .

من أمور الدين، أو ما يمس الحياة الاجتماعية، جعلوه أمينا لهم لصياغة التقرير النهائي عن إجماعهم ، وهو المنفذ له نيابة عنهم).(69)

شاهدت شريطا مرئيا(70)عُرض فيه زيارة رئيس نيجيريا الأسبق يعقوب غون للشيخ (71) ؛ وكذلك رئيس البرلمان السنغالي وبعض الوزراء المرافقين له لأحد حقول الشيخ ، وتوالت الكلمتان الرسميتان، الأولى من الشيخ والثانية من الحكومة .

وللشيخ صلة وثيقة جدا بالحكومة تعترف به وتقدره، ولما تُوفي، شاركت في تقديم التعازي لأسرته ، وقد مثلها في ذلك رئيس الوزراء عبد جوف آنذاك ورافقه رئيس البرلمان أحمد سيسي وكثير من الوزراء والشخصيات الدبلوماسية ،كلهم تنقلوا إلى مدينته في كولخ، ومما ذكره رئيس الوزراء في كلمته باسم الحكومة ، أن الشيخ إبراهيم شخصية غالية ونفيسة لدى الحكومة ، وأن وفاته عندهم خلل لا يصلح ولا يعوض، لأنه هو المرجع الموثوق به لديهم ، فكلما طرأت لهم مشكلة واتصلوا به ، وجدوا خلا مناسبا لها . ولئن فارقهم جسميا ، إنما نوره يظل معهم يهتدون به . وأن علاقتهم ستستمر مع أسرته(72).

وعلى الصعيد العالمي، فشخصية الشيخ معروفة ومشهورة دوليا. ومنذ أن زار بيت الله الحرام بدأ يكتسب شهرة وتعارفا مع الشخصيات الدينية والقيادية ، ونال ثقة واحترام العالم العربي والإسلامي ، ودامت المودة وحسن التفاهم بينه وبينهم ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله .فهو عضو في كثير من المؤسسات والهيئات الإسلامية العالمية، وله علاقات مع كثير من رؤساء العالم الإسلامي، كل ذلك يأتي تفصيله في الباب

---

[69]- انظر : إتحاف الإخوان بمآثر غوث الزمان ، يعقوب أبو بكر ،ص: 303،ط1، مطبعة الشمال ،كنو ، نيجيريا ، د: ت،بتصرف.

[70] - في دار الشيخ محمد ياسين إبراهيم نياس ، يوم 5 ديسمبر 2002م .

[71]- انظر : الملحق رقم : 13 .

[72] - انظر : ملف خاص بالشيخ إبراهيم نياس ، وثيقة رقم: 1581 ، إدارة الوثائق الوطنية بالسنغال، الأربعاء 30 يوليو 1975م، بتصرف، انظر: الملحق رقم: 14.

الأخير من هذه الرسالة .وقد اشتهر في السنغال وفي غرب إفريقيا بأنه صديق العرب ونصير لقضية الشعب الفلسطيني[73] .

وهو أول إفريقي غير أزهري نال شرف إمامة الجمعة بالجامع الأزهـــر[74] وبحضور رئيس الجمهورية وقتئذ جمال عبد الناصر رحمه الله . وعلق إمامه ، محمد الغزالي، مثنيا عليه بقوله:"إننا مطمئنون على مســتقبل الإســلام مادام في المسلمين أمثال ضيفنا العظيم شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس..." [75]

وتارة يّستقبل الشيخ استقبال الرؤساء، ويتمثل ذلك في غانا عندما استـــقبله الرئيس د. كوامي انكروما في المطار، وفرشت سجادة حمراء ونصبت لافتات في الشوارع ترحيبا بالشيخ. [76]

وممـــا حازه الشيخ، القيام بحفلات تكريما لشخصيته، أورد مثالين من ذلك:

1 ــ أقـــام الســـيد كمال الدين حسين ، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة المصـــرية ووزيـــر التعليم في الجمهورية المصرية في عهد جمال عبد الناصر ، مأدبة عشاء، بالمؤتمر الإسلامي، تكريما للشيخ إبراهيم نياس. وحضـــر الحفـــل ، شيخ الجامع الأزهر وأمين الجامعة العربية، وسفير أفغانســـتان بالقاهـــرة، ورئيس مؤتمر الشعوب الإفريقية، وزعماء وفود المؤتمر،والمعنـــيون بالشـــؤون الإســـلامية . ومما ورد في كلمة الشيخ رســـميا تقديمـــه الشـــكر لجمال عبد الناصر وشعب الجمهورية العربية المتحدة على الحفاوة التي قوبل بها .[77]

2 ــ أقام شيخ الأزهر حفل تكريم بنادي الشرطة بالجزيرة لسفراء الدول الإســـلامية ، والشـــيخ إبراهيم هو الذي تكلم باسم جميع المشاركين في

---

[73] - انظر : إتحاف الإخوان ، المرجع السابق، ص:318 ، بتصرف .

[74] - يوم 9 صفر 1381هـ.

[75] - :مجلة " آخر ساعة " المصرية عدد :128، بتاريخ 15 أغسطس 1975م .

[76] - معلومة في شريط بصوت إبراهيم محمود جوب، مصدر سابق .

[77] - انظر: 25 سنة على رحيل الشيخ،إبراهيم تيام ، ص: 47 ، ط1، النهار للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 2002.م،

الحفل .ومما جاء في كلمته، التنويه بتعاون رؤساء الدول الإسلامية والعمل على مكافحة الاستعمار في صف واحد وتأييد حق الشعوب في تحررها(78) .

واهتمت الصحف والمجلات الدولية بإجراء المقابلات مع الشيخ ونشر أخباره ومتابعة نشاطاته ، يتمثل ذلك في مقابلة مراسل جريدة البلاد بمكة المكرمة ، عبد الكريم نيا زي، مع فضيلته. ويدور مضمونها حول دعوة الشيخ إلى الله (79) .

أما " الوحدة" ، المجلة الليبية ، فمما ذُكر في عددها الصادرفي مايو 1974م، أن الشيخ إبراهيم من الشخصيات الدينية العظيمة المرموقة في إفريقيا الغربية كلها لا في السنغال وحده ، وله مواقف مشرفة جدا في الدفاع عن الإسلام ضد الملحدين والمبشرين وأصحاب البدع (80) .

وفي جريدة الشعب الرسمية الموريتانية، في عددها الخامس والعشرين ، مقابلة مع نجل الشيخ الأستاذ محمد الأمين، خريج الأزهر بشهادة الماجستير في الشريعة والقانون،وأنها كتبت مقالا وافيا عن حياة الشيخ مع الثناء عليه والإشادة بمآثره (81) .

وللشيخ سمعة طيبة كانت وراء ذيوع صيته ونيله المحبة الخالصة من البيض والسود في العالم الإسلامي ، ونتيجة لذلك نال أوسمة رفيعة من رؤساء الدول الإسلامية وغيرها، إعرابا عن تقديرهم لشخصيته الكريمة كمساهم فعال في محاولة توحيد كلمة الأمة الإسلامية، ومن ذلك، الوسام الرفيع الذي وشحه به ملك المملكة المغربية الحسن الثاني، وكذلك

---

[78] – انظر: 25 سنة على رحيل الشيخ،إبراهيم تيام، ص: 48، ط1، النهار للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 2002.م، بتصرف .

[79] - انظر :جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ، المصدر السابق ، ص:48 ، بتصرف .

[80] - انظر: إنذار وإفادة ، المرجع السابق، ص:28 ،بتصرف .

[81] - انظر : المرجع السابق، ص:30 ،بتصرف .

الأوسـمة التي منحتها إياه الحكومات منها: جمهورية تونس والجماهيرية الليبية، ونيجيريا، وفرنسا، والسنغال وغيرها من الدول المختلفة(82).

أرى أن ما أكسب الشيخ هذه الشهرة العالمية هو صدق التوجه وإخلاص النية والجد .

82 - انظر :المرجع السابق،ص:30 ، بتصرف .

المبحث الثاني

آثـــاره العلمية

لقـد بـدأت علاقة الشيخ بالكتابة منذ صباه،ولم يتخلل هذه العلاقة فـتور حـتى آخر لحظة من حياته، فهو مداوم على البحث والتنقيب في الكتب ومتبحر في الفنون .

وهذا ما أهله للكتابة كثيرا، وفي فنون مختلفة، إلى جانب الفتاوى التي يجيـب علـيها، والمقـالات التـي ينشرها في بعض الصحف العالمية، والمحاضرات التي يلقيها في المؤتمرات الدولية، والخطب المنبرية التي يعدها ويلقـيها في كل جمعة وفي الأعياد والمناسبات العلمية والدينية، والمنشورات التي يوجهها إلى تلاميذه . كل ذلك، على الرغم من انشغالاتـه الكثيرة، في استقباله للضيوف والوفود الذين يأتونه دائما، والأسفار التي يقوم بها في العالم الإسلامي، كثيرا .

وفـيما يلي ما وقفت عليه من هذه الآثار مع التعليق على بعض منها إذا دعت الحاجة وذلك لأهمية ذكر مناسبتها .

أولاً : في أدب الرحلات .

1 – تذكـرة مـن كانو : مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الإمام الشيخ عليّ سيسى ، مدينة باي [83] ، السنغال، د–ت، ولا– ر .

2–الـرحلة الحجازيـة الأولى : مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الإمام الشيخ عليّ سيسى ، مدينة باي ، السنغال،1936، د– ر .

3 –رحلة كوما شي (غانا) : مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الإمام الشيخ عليّ سيسى ، مدينة باي ، السنغال، د– ت ، ولا – ر.

4 –رحلتي إلى موريتانيا : مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الإمام الشيخ عليّ سيسى ، مدينة باي ، السنغال . 1952، د– ر

83- هي قرية الشيخ.

5 –نفحات الملك الغني في السياحة في أرض بمكو وغيني : مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ عليّ سيسى ، مدينة باي، السنغال د–ت، ولا– ر .

6 – نـيل المفـاز بالعودة إلى أرض الحجاز : الطبعة الأولى ، مطبعة "ينغي"، إبادن ، نيجيريا ، 1951، د– ر.

وقـد طـبع الشـيخ محمـد المأمون ابن الشيخ إبراهيم نياس الكتب الأربعـــة (الرحلة الحجازية الأولى ، رحلة كوما شي ، رحلتي إلى موريتانـيا ، نـيل المفاز) في مجلد واحد سماه "مجموع رحلات الشيخ إبراهيم" ، طبع في مطبعة دار النهار، د. ب، ولا– ت .

ثانياً : في التصوف الإسلامي .

أ– النثر

1–إفـادة المريد في الإجابة عن أسئلة محمد بن محمد العيد : مخطوط ، خـط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي ، السنغال، د– ت، ولا – ر .

2– الـتقاط اللؤلـؤ المكـنون في بيان السر المصون : مخطوط، خط المؤلف، مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي، السنغال، د–ت، ولا –ر.

3–الأنوار السطع : مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي ، السنغال، د– ت ، ولا– ر.

4–البـيان والتبيين عن التجانية والتجانيين : طبع ونشر اللجنة التنفيذية لمنظمة فتيان الإسلام بكانو في نيجيريا ، د– ب م ن.

5 –تحقـيق المعانـي في سنية الورد التجاني : مخطوط، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي ، السنغال، د– ت، ولا– ر .

6– تنبيه الأذكياء في كون الشيخ أحمد التجاني خاتم الأولياء طبع ونشر الحاج ثاني يعقوب: مطبعة ltd ، كانو، نيجيريا، ، د– ت.

ويقصــد بــه أن الشيخ أحمد التجاني نال مقاماً خاصاً في الولاية لم يحظ به غيره من الأولياء، وليس المقصود بختمه سلك الولاية،لأن بابها مفتوح مطلقا.

7- الســر الأكــبر والنور الأبهر: مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو مراقي ، النيجر، د- ان ولا- ت، ولا- ر.

8-كاشــف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 1371هـ-1952م .

وهو كتاب مهم جداً عالج فيه حقيقة التصوف الإسلامي وبعض المسائل المــتعلقة بــه ، وأنه زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة وهو مشيّد بالكتاب والسنة ، كما عالج موضوع الفيضة التجانية ، وسيأتي الحديث عنها في الباب الثاني من هذه الرسالة.

ب- النظم

1 -روح الأدب ، ط1، دار المدينة المنورة ، 1409 هـــ 1988م .

2 -روح الحب في مدح القطب : مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي ، السنغال، د- ت، ولا- ر .

3 -طيب الأنفاس في مدائح الختم أبي العباس ، مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي ، السنغال، د- ت، ولا- ر .

4- النور الرباني في مدح السيد أحمد التجاني ، مخطوط ، خط المؤلف، مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي ، السنغال، د- ت، ولا- ر .

ثالثاً : في السيرة والمدائح النبوية

1-إكســير الســعادات فــي مدح سيد السادات ،مخطوط ،خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي ، السنغال، د-ت، ولا- ر .

2-أوثــق العــرى فــي الاســتغاثة بمدح سيد الورى ، مخطوط ، خط المؤلف، مكتبة الشيخ علي سيسى، مدينة باي ، السنغال ، د-ت، ولا-ر.

3-تيســير الوصول إلى حضرة الرسول، مخطوط ،خط المؤلف، مكتبة الشيخ علي سيسي، مدينة باي ، السنغال، د- ت، ولا- ر .

4- ســلوة الشجون في مدح النبي المأمون،مخطوط ،خط المؤلف،مكتبة الشيخ علي سيسى ، مدينة باي،السنغال، د-ت ولا- ر.

5-شــفاء الأسقام في مدح سيد الأنام،مخطوط،خط المؤلف،مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ، السنغال، د-ت، ولا- ر .

6- كــنز العارفيــن فــي مــدح سيد الأولين والآخرين، مخطوط ،خط المؤلف، مكتبة الشيخ علي سيسي، مدينة باي ، السنغال، د- ت،ولا -ر.

7-مناســك أهل الوداد في مدح خير العباد،مخطوط، خط المؤلف،مكتبة الشيخ علي سيسي، مدينة باي ، السنغال ، د- ت ولا- ر.

8- نور الحق في مدح الذي جاء بالصدق،مخطوط ،خط المؤلف ،مكتبة الشيخ علي سيسي، مدينة باي ، السنغال، د- ت، ولا- ر.

وقد جمعت هذه المخطوطات الثمانية في مجلد واحد ، مخطوط عنوانه: نــزهة الأسماع والأفكار في مديح الأمين، إشراف الحاج أبي بكر عتيق الكنوي ، د- ان.

9-جامع الجوامع الدواوين : مطبوع ، المكتبة الشعبية ، بيروت ، لبنان، د - ت .

10- ســير القلب : مخطوط ، نسخ محمد الأمين طاهر انجاي ، مكتبة الشيخ محمد الأمين ، مدينة ، السنغال ، د- ت، ولا- ر.

11- الفيض الأحمدي في المولد المحمدي ،مخطوط ،خط المؤلف ،مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ، السنغال، د- ت، ولا- ر.

12- نــور البصر في مدح خير البشر، مخطوط ،خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ،السنغال، د- ت ، ولا- ر

وقـــد جمعت هاتان المخطوطتان الأخيرتان في مجلد واحد باسم: مجموع قصائد المولد النبوي . مطبوع، نشر الشيخ محمد المأمون، د- ب م ن .

رابعاً : في الفقه والفكر الإسلامي

1- إرشـــاد الســـارين إلى عدم وجوب زكاة هارين، نسخ ونشر الشيخ التجاني سيسى ، مدينة باي، السنغال، د-ت ، ولا- ر .

2- بحـــث فـــي ثبوت رؤية الهلال ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، 1996م .

3- تبصـــرة الأنام في أن العلم هو الإمام ،طبع ونشر الحاج محمد ثاني يعقوب ، كانو ، نيجيريا ، د- ب م ن

4- تحفـــة أهل الحاضر بما ينفع الحاج سيما في الطائرة ،ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1996م .

5- تعـــدد الـــزوجات في الشريعة الإسلامية ، مخطوط ،خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسي، مدينة باي، السنغال ، د-ت ولا- ر.

6- الجـــواب الشافي عن حلق المرأة رأسها ، مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسي، مدينة باي ، السنغال، د-ت ، ولا- ر .

7- الجـــواب الموسع عن نازلة السلم ، مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسي، مدينة باي، السنغال، د-ت، ولا- ر .

8- الحجة البالغة في كون إذاعة القرآن سائغة ، ط1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، 1375 هــ ــ 1956م .

9- رفـــع المـــلام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام ، مخطوط ، خط المؤلف، مكتبة الشيخ علي سيسي،مدينة باي، السنغال، د-ت، ولا-ر..

10- سبيل السلام في إبقاء المقام ،مطبعة northern maktabat press ltd ، كانو ،نيجيريا ، د- ت .

11- الصـــارم الأحمدي في قطع تلبيسات بن أحمدي ، مخطوط ، نسخ الشيخ علي سيسي، مكتبة الناسخ، مدينةباي، السنغال ، د- ت، ولا- ر.

12-كشف الغمة في رفع مراء علماء الأمة ، مخطوط ،خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي، السنغال، د- ت، ولا- ر .

13-مســـرة المجامع في مسائل الجامع ، مخطوط ،خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينةباي ، السنغال، د-ت ، ولا- ر .

14- نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله ، مخطوط ،.خط المؤلف، مكتبة الشيخ علي سيسي، مدينة باي، السنغال، د- ت، ولا-ر.

15-وجــه التحقــيق في كون جامع مدينة هو العتيق ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1996م .

خامسا:في المراسلات

1- إفريقـــيا إلـــى الإفريقيين [84]، مخطوط ، نسخ الشيخ إبراهيم محمود جوب، مكتبة الناسخ ، مدينةباي ، السنغال، د-ر .

2-جواهـــر الرســـائل ؛جمـــع ونشـــر الشـــيخ أحمد أبي الفتح بن علي النيجيري، د- ب م ن.

3- رســـالة نيامي ، مخطوط ، نسخ ثاني آدم أغيغي النيجيري ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيجر، د-ت ، ولا- ر.

4- الرضى بالقضاء في مسألة غزو الفضاء ، مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي، السنغال، د-ت، ولا- ر .

بعد وصول الإنسان إلى سطح القمر عام 1969 م ، حدثت ضجة كبيرة في العالم الإسلامي ، بين المؤيدين باعتباره حادثا علميا خاضعا لقوانين الطبـيعة ، وبيـن المعارضين القائلين باستحالة الأمر،فأدلى الشيخ بدلوه مؤيدا القضية.

[84]- جاء العنوان على هذا الشكل نتيجة لتساؤل المطران لفيفرحيث يقول: " إلى أين تسير إفريقيا "؟ ، وقصد الشيخ هو: إفريقيا سائرة إلى الإفريقيين . معلومة مسجلة في شريط بصوت الشيخ إبراهيم محمود جوب .

5-زيادة الجواهر، جمع وتوطيد وترتيب أبي العباس أحمد أبي الفتح بن علي البرناوي ،ط1، 1410هـ ــ1990م ، د- ب م ن .

6- الضـــاد الخـــالدة ، طـــبع ونشر مجلة "اللسان العربي" ، العدد 5 ، إشـــراف إدارة تنســـيق التعريـــب في الوطن العربي (وهي إدارة تابعة لجامعة الدول العربية)،الرباط ، 1967 م .

7-العقـــد النفـــيس ، جمـــع وتحقيق أبي الفتح أحمد بن علي ، مطبوع ، مكتبة الشيخ ماحي سيسي ، مدينة ، السنغال ، د- ب م ن .

8- علـــم قريش محمد بن إدريس الشافعي ، مخطوط ، خط المؤلف ، مكتبة الشيخ إبراهيم محمود جوب، مدينة باي، السنغال، د-ر، ولا- ت .

وهـــو بحـــث علمي مفصل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه ، أعده بطلـــب من لجنة علمية في باكستان بمناسبة ذكرى الإمام الشافعي رضي الله عنه.[85]

9- الدعـــوة الإســـلامية الـــيوم ، مطبوع ، مكتبة الشيخ إبراهيم محمود جوب، مدينة باي ، الستغال ، د- ب م ن.

سادسا: في النحو والصرف

تحفـــة الأطفال في حقائق الأفعال ، مخطوط ، نسخ الشيخ علي سيسي، مكتبة الناسخ ، مدينة باي ، السنغال، د-ت ، ولا- ر .

وهـــو كتاب نظمه الشيخ في نصف يوم عام 1928م ليدرس تلامذته علم الصرف.

وقـــد قام بدراسة وتحقيق هذه المنظومة أحد الباحثين الموريتانيين لنيل إجازة علمية جامعية (الميترز).

هـــذا ما وقفت علية من مؤلفات الشيخ وآثاره العلمية، ولا شك أن هـــناك بحوثـــا وكـــتابات مبثوثة هنا وهناك يصعب جمعها وترتيبها إلا

85- انظر : الشيخ إبراهيم المدرس ، معاذ أحمد بطي ، ص: 33 ، بحث التخرج لنيل شهادة الميتريز ، جامعة الشيخ انتا ديوب ، دكار ، السنغال ، 1998م ، بتصرف .

بالدراسة، خاصة على شكل جماعي، لأن ما يوجد عند هذه المجموعة أوعند هذا الفرد ليس هو نفسه عند شخص آخر من تلامذته، وذلك لغزارة ما كتب،وتأتي كتاباته تارة عفويا لكثرة فتاويه ورسائله وخطبه وتعليقاته على أحداث العصر، فقد عاش وكرس حياته في خدمة العلم وحمايته،ونشره، وهو كنز على حد تعبير أمين سره الشيخ إبراهيم محمود جوب (86)،ولذلك كثر المتعلقون به من تلاميذه ونال شهرة عالمية ومحبة الناس له بإخلاص.

[86] ـ الشريط رقم (4)،الشيخ إبراهيم محمود جوب ، المصدر السابق .

الفصل الثاني:

أفكاره وجهوده في الإصلاح:

تقديم

إن كثرة اطلاع الشيخ على الكتب وثقافته العميقة وانفتاحه للناس، وجولاتــه فــي العــالم وتبادلـه الآراء مع الآخرين وابتعاده عن التقليد الأعمى، كل ذلك ولّد له أفكاراً مستقلة ، فتجده متمسكا بالأصول، وفانيا فــي حــب الرســول ــ صــلى الله علــيه وســلم ــ ومحرّضا على ا لحــرية، ومجــاهدا فــي ســبيل الله للإصــلاح ، ومساهما في القضايا الاجتماعــية، ومــنظما أمــوره تنظيما إداريا، علما بأنه بحر في العلوم الشرعية واللغوية ، وهو صوفي سني أصيل (87).

وهدفــه فــي أفكاره الإصلاح وخدمة الدين، فكان يسعى جادا في تطبيق كل فكرة آمن بها ولا يخاف في الله لومة لائم.

[87]- معلومة مسجلة في شريط بصوت إبراهيم محمود جوب ، المصدر السابق .

المبحث الأول

أفكاره

وفما يلي تفصيل هذه الأفكار :

أولا :الاعتماد على الأصول

إن تمسك الشيخ بالقرآن وملازمته إياه منذ صباه إلى آخر لحظة من حياته، أورثه الاعتماد عليه، وكذلك السنة النبوية ، اعتمادا كليا، في معتقداته، وتصرفاته، مهما خالف غيره من جهابذة الفقهاء .

وقد دعا إلى الرجوع إلى القرآن والسنة، وبين أن القرآن دستور كل زمان ومكان،أما الدساتير الوضعية فكل دستور منها قاصر ينقطع في زمن ما (88).

وقد خالف أهل عصره في أمور كثيرة تتعلق بالعقائد والعبادات والقضايا المحدثة المعاصرة، مع شدة احترامه للعلماء. ومن ذلك ما يلي:

(أ)- إحياؤه لسنة القبض ورفع اليدين عند أربع محلات، عند تكبيرةالإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه وعند التشهد الأول (89).

وقد كانت هذه السنة ميتة في غرب أفريقيا فأحياها، ولقي في البداية إذاية شديدة من طرف الجهال والمقلدين، فصمد وتجلد وأمر تلامذته أيضا بالصبر إلى انكشاف البلاء وظهور الحق.

(ب)- وقوفه صلبا للدفاع عن مقام إبراهيم، بأن لا ينقل من مكانه، وكتب كتابا في ذلك، عنوانه"سبيل السلام في إبقاء المقام" فكان رأيه المعضد بالأدلة الساطعة القوية هو الذي عمل به. مع أن جل الحاضرين في إحدى جلسات رابطة العالم الإسلامي مالوا إلى رأي مفتي المملكة العربية السعودية المقر بنقل المقام من مكانه (90).

88- انظر : جواهر الرسائل، الشيخ إبراهيم نياس، جمع وتحقيق أحمد أبي الفتح، ج 2،ص:4 ، د.م ن ، بتصرف.

89- ألف كتابا في ذلك سماه رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام.

90- معلومة في شريط ، إبراهيم محمود جوب ، المصدر السابق .

(ج)- كانت السلطات الفرنسية الاستعمارية قد حاولت أن تحول بين المسلمين في السنغال والاستماع إلى إذاعات صوت العرب فأخذت تشيع شائعات كثيرة عن إذاعات القرآن الكريم في الراديو ، قالت إ نه حرام، وإن كل من يستمع إليها ملحد ولا تقبل توبته.

وامتدت موجة التشكيك حول إذاعات القرآن في الراديو حتى عمت غالبية المناطق التي يعيش فيها المسلمون في غرب إفريقيا، وكثرت الأقاويل والاستفسارات عن حكم تلاوة القرآن في المذياع، وذهب فريق من عملاء الاستعمار إلى تحريم ذلك وجلب نصوصا وضعها في غير محلها ، ونتيجة لذلك، كتب الشيخ رسالة إلى علماء نيجيريا الكبار، إجابة عن سؤال سائل ، بيّن فيها أن الإذاعة محدثة، تكبر الصوت وتبلغه إلى حد بعيد يعجز اللسان عن تبليغه إليه بدونها، والكلام فيها إن كان قرآنا فهو قرآن، وإن كان وعظا فهو وعظ، وإن كان علما فهو علم، وإن كان ذكرا فهو ذكر، وإن كان لهوا فهو لهو،. وقد ألّف كتابا بهذا الخصوص سماه الحجة البالغة في كون إذاعة القرآن سائغة[91]

إلى غير ذلك من المواقف التي لا يتسع المجال لذكرها، فالشيخ إذن بعيد عن التقليد الأعمى.

وقد دعا إلى تكوين مجلس للعلماء، في خطابه التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي سنة 1964 م ، للاجتهاد في المسائل الكبرى المطروحة على العالم الإسلامي، ويرجع ذلك إلى عاملين أساسيين[92]:

1 ـ قدرته على استنباط الأحكام الشرعيّة من مصادرها الأولية، لعنايته الفريدة بدراسة هذه المصادر واطلاعه الواسع عليها .

---

[91] - انظر: 25 سنة على رحيل الشيخ ،إبراهيم تيام ، ص : 127 ، ط1 ، النهار للطبع والنشر ، القاهرة ، 1423هـ - 2002 م ، بتصرف .

[92] - انظر: شخصية إبراهيم نياس،المصدر السابق،ص:2 ، بتصرف .

2 ـ إقبال الجهال على الفتوى بآرائهم واجتهادهم، فحرفوا العلم عن مواضعه، وحكموا بأهوائهم، فتجد مسلما يقول إني آخذ بهذا الحديث وهذا حديث لا آخذ به، على الرغم من صحته ، فهذه داهية عظمى وطامة كبرى تهدد إيمان القائل.

والداء كله – في نظر الشيخ – ، هو الجهل بالشريعة، والدواء هو الرجوع إلى التعلم ، والأسوأ أن هذا الداء العضال يتصف به بعض الفقهاء ، فتراهم جهلة ، يفتون بغير علم ، ضلوا وأضلوا بين الدين والعلم(93).

وحذر الشيخ من الاستعمار البغيض، الذي سلب من المسلمين علم دينهم ،حتى الذين يسمون بالشيوخ جهلة،فتأثروا به وحكموا بقوانين الأجانب وتركوا كتاب الله وسنة رسوله (94).

ثانيا: فتاوه في حب الرسول صلى الله عليه وسلم

من عرف الشيخ إبراهيم، شهد له بالتفاني في حب الرسول صلى الله عليه وسم، وهذه المحبة زكت وترسخت في قلبه، وانعكست في سلوكه، وفي أفعاله وأقواله وتحركاته. ومن لم يعرفه، يشهد له بذلك أيضا عن طريق كتاباته، فقد كتب دواوين كثيرة في مدحه عليه الصلاة والسلام، وإليك مقتطفات مما ورد في هذا الإطار:

(أ) ـ إنني قبل البرايا   حبه شغل جناني
فهو أكلي وشرابي   وهو ديني وأماني
ورفيقي وطريقي   وجوادي وسناني(95)

إلى أن قال:

لا ترى ذكر سواه   في فؤادي أو لساني

---

93 - انظر: جمع وتحقيق ودراسة ، المصدر السابق، ص:138 ، بتصرف.
94 - انظر: شخصية إبراهيم نياس،المصدر السابق،ص:24 ، بتصرف .
95- الجواد :الفرس. السنان: الرمح

إن أرى ذكر سواه   غير لهو ومجاني[96]

(ب)-بليت بحب المصطفى الختم أحمد   أبي الكون والأخلاق فرعا ومحتدا
أتاني هواه قبل أن أعرف الهوى   صليت بنيران اشتياقي أحمدا
علقت به والناس في سنة الكرى   تمتعت منه الدهر إذكنت مفردا [97]

(ج)- هوى المصطفى المختار خالط مضمري   وكلي وجزئي فهو سري ومظهري[98]

(د)- أحبك ما دامت حيـــاتي وإن أمت   أرجي بقاء الحب عندي ولاحــول[99]

(هـ)- ثقافة إبراهيم والعلم كلـــــــــه   مديح الإمام الهاشمي وفضلــــه[100]

ويلاحظ في النماذج السابقة مدى تفانيه في حب الرسول صلى الله عليه وسلم. فهو أكله وشرابه وسره ومظهره وهواه...

وتتجلى هذه المحبة أيضا، في تنظيمه للاحتفالات بمولده صلى الله علـيه وسـلم، وإنفـاق أموالـه بصناعة الأطعمة وذبح الأنعام في تلك المناسبات خدمة وتعظيما له.

ولا يكتفـي بنفسه فقط، وإنما يحاول غرس هذه المحبة في نفوس أهلـه وتلامذته بالتوجيه والتبيين، فهو يبين لهم أن المرء مع من أحب، ومن كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم لامرية أنه في الجنة[101].

ويوجههـم بالاشتغال بمدحه وتعظيمه، وكثرة الصلاة عليه، وبذل الأمـوال فيه[102] وتلاوة سيرته، لأن ذلك سبيل الفلاح والسعادة، بشرط الإخـلاص والخلـو من البدع والمنكرات والمحرمات التي تنافي دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم[103] .

---

96 - مجموع قصائد المولد النبوي، إبراهيم بناس، ص: 15، مخطوط مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي، النيجر، د- ن
97 - الدواوين الست ، الحاج إبراهيم نياس ، ص : 10 ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1998م .
98 - المصدر نفسه ،ص: 14
99 - المصدر نفسه ، ص:198
100 - سير القلب، الحاج إبراهيم نياس، ص:57، مخطوط ، نسخ محمد الأمين طاهر انجاي ،مكتبة الشيخ محمد الأمين ،مدينة ،السنغال.
101 - انظر:جمع وتحقيق ، المصدر السابق، ص:9 ،بتصرف .
102 - انظر : المصدر نفسه ، ص: 150 .
103 - انظر: جوهر الرسائل، المصدر السابق،ج2، ص: 21 ، بتصرف .

وإن للشرفاء وآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة عظيمة عـــند الشيخ، فكان يقدرهم ويحبهم ويكرمهم ويعظمهم ويخدمهم ويوصي تلامذته بمثل ما يفعل في حقهم .

ثالثا: الدعاء سلاحه في جميع مطالبه:

لازم الشيخ الدعاء منذ صباه إلى انتقاله إلى رحمة مولاه، فقد شهد لـــه القاصي والداني بكثرة وقوفه على باب مولاه متضرعا متبتلا رافعا إلـــيه شكواه وشكاوى الأمة. وله في ذلك تأليفات عديدة، وبصيغ مختلفة، أبـــرزها:مقصـــد تلاوة القرآن الكريم، وكنز الأولياء في التوسل بأعظم الأســـماء، ودائـــرة المطالـــب الكبرى، ومفتاح النصر، ومفتاح العطية، ومفـــتاح الأرب... إلـــى غير ذلك من المؤلفات الخاصة بالأدعية سواء مستقلة أو مبثوثة في ثنايا دواوينه الشعرية في مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أو في بعض كتبه .

رابعا: بعض خصائص توجهاته

ـ إنـــه يطلـــب مـــن الله الهداية والتقديس من جميع الأدران والأوساخ الظاهـــرة والباطـــنة، مع التمكين في توحيد الله (104) حتى ينطمس عنه وجـــود غيره في جميع تصرفاته وحركاته وسكناته(105) وأن يكون منيبا وأوابا إليه دائما مع الإخلاص والصدق .

ـ ثم الإيمان الثابت الراسخ وحلاوته، وأن يكون قلبه حيا بذكر الله دائما، ومقبلا عليه بامتثال جميع أوامره واجتناب نواهيه(106) مع مراقبته في كل لحظة.

ـ ثـــم حصـــول علم الأولين والآخرين، علما نافعا له، يستخدمه لإرشاد الخلائق وإفادة الأمة الإسلامية وذلك في الله (107).

104ـ انظر : جوهر الرسائل، المصدر السابق،ج2، ص: 71 ، بتصرفت .

105ـ انظر: مفتاح الأرب، إبراهيم نياس، ورقة :2 ،مخطوط، ، مكتبة الشيخ عبد الله نياس ، مدينة ، السنغال ، د.ن ، بتصرف.

106 ـ انظر : جوهر الرسائل، المصدر السابق، ص92، بتصرف .

107 ـ انظر : دائرة المطالب، ص:5،مخطوط، ، مكتبة الشيخ حسن مراقي، د- ان ، بتصرف .

ـ ومـن متطلـباته الأخروية: الرضوان الأكبر من الله، ورضى النبي صـلى الله عليه وسلم، ورضى الوالدين (108)، وأن يكون مثواه في الجنة قـرب طـه، وقـرب حبيـبه وشيخه سيدي أحمد التجاني اللذين طلب وراثتهما.

ـ أمـا النسـاء الصالحات، والذرية الطيبة المباركة، والأرزاق بمختلف أنواعها، والفتح المبين ، والتحصين من جميع الشرور الظاهرة والباطنة، كـل ذلك من مطالبه الدنيوية، وذلك في الله ومنه وإليه، وأن يكون موفقا في كل مراده ومجاب الدعوة (109)

أمـا كيفـية توجهه: فغالبا ما يستخدم ضمير الجمع للمتكلمين (نا) ، إما مجمـلا مثل قوله:" ونسألك أن نكون لك بكليتنا وكلنا، ، فتكون لنا بذاتك وصـفاتك وأسـمائك وتجلـياتك فـي جميع شؤون أحديتك في الكثرة والوحـدة"(110) أو مفصـلا كقوله: " وتلطف لأجسامنا وقلوبنا وخواطرنا وحالـنا ومآلـنا وأهليـنا وذرياتنا ومحبينا وأصحابنا وأنصارنا ومريدينا وتلامذتنا لطفا خاصا عاما شاملا أبدا سرمدا إلى يوم الدين" (111) .

وتارة يخصص غيره بالدعاء دون نفسه باستعمال ضمير الغائبين كقوله:

"لين لهم من لين الحديدا لمن أردت وارفع القيودا(112)

ونـادرا مـا يخصـص نفسه فقط، في الدعاء مثل قوله:" أعل بي التوحيد وامح الكفرا"(113).

وفـي الحقـيقة، أجـاب الله دعوات الشيخ حسب الواقع، فقد كان موهوبا في العلم، وشخصية قيادية مرموقة، تأتيه الأرزاق فيصرفها لخلق

108 ـ انظر : جوهر الرسائل، المصدر السابق، ص:84 ن ، بتصرف .

109 ـ انظر : جامع جوامع الداوين ، المصدر السابق،ص:210- 213 ، بتصرف .

110 ـ جوهر الرسائل، المصدر السابق،ص:86 .

111 ـ المصدر السابق، ص:73 .

112 ـ جامع جوامع الدواوين، المصدر السابق،ص:215 .

113 ـ المصدر نفسه ، ص:214 .

الله. وهدى الله على يديه ملايين من الناس، وازدادت دعوته انتشارا بعد وفاته بفضل جهود أبنائه الكرام وتلامذته المخلصين.

خامسا: اهتمامه بالمجتمع :

الإنسان جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، ولذلك فهو في حاجة إليه، إذ لا يعيش بمفرده.وله أن يساهم في بناء مجتمعه وأن يهتم به اهتماما بالغا.

والشيخ إبراهيم معروف جدا ، باهتمامه بوطنه وبالعالم الإسلامي، ويتمثل ذلك في حبه الشديد لوطنه، وفي تقصيه أحوال المسلمين في العالم، وفي استماعه للأخبار دائما لمعرفة ومتابعة أحوال المسلمين، وفي جولاته الكثيرة في العالم الإسلامي لمناقشة ودراسة أمور المسلمين مع الزعماء الدينيين والرؤساء (114).

والإنسان لكي يعيش لا بد له من طعام وشراب، وللحصول عليهما يجب عليه الكسب وفقا لقوله تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (115)

وانطلاقا من ذلك دعا الشيخ إلى الاهتمام بالعمل المادي، وإلى التطور في مجاله، والمنافسة فيه، وذم إهماله، وأكد أنه لابد من الكد، لأن أفضل وأطيب ما أكل الرجل من كسبه،سواء الحراثة لمن يقدر عليها،أو التجارة لمن يحسن القيام بها،أو سائر الحرف.فكل عمل عنده مفضل على البطالة (116).

ولما لاحظ سلوك التسول والطمع بالدوران عند بعض الشرفاء نهاهم عن تلك الحرفة الدنيئة بلسانه وقلمه. وفي ذلك يقول: "نصيحة نحلتها لكم معشر الأولاد من الشرفاء الذين نحوا نحو الصوفية، وهي

114 - معلومة في شريط، إبراهيم محمود جوب، مصدرسابق ن بتصرف .
115 - الجمعة : 10
116 - انظر : شخصية الشيخ إبراهيم، الد صدر السابق،ص: 54 ، بتصرف .

اتخـــاذ حـــرفة لكســـب الحلال، وقطع التكسب بالدوران بمجرد السؤال والطمع ورفع الهمة عن تلك الحرفة الدنيئة..."(117)

وضـــرب لهم أمثلة من أنواع الحرف: تجارة أو كتابة أو تعليما أو حمـــلا. وذكر أن من لم يجد سبيلا إلى أحد تلك الأشغال فليرض بالفقر والقناعة ويشتغل بالعلم والذكر.

وكانـــت النصـــيحة الســـالفة الذكر تنطبق على الشيخ حقا. فكان مزارعا كبيرا(118) يشتغل في مختلف حقوله التي تبلغ حوالي 400 هكتار ســـنويا لزراعة الفول السوداني، لأنه يرى أن حرية الإنسان الكاملة في عملـــه لدنياه وأخراه، وللمسلم أن يعمل كل عمل ينفع به نفسه والبشرية جمعاء، وخير الناس من ينفع الناس(119).

والشـــيخ هو أول مواطن سنغالي سعى إلى تطوير الزراعة بشراء الآلات الحديـــثة، وسعى إلى تطوير الموارد الاقتصادية الحديثة بإدخال الأساليب المتطورة الحديثة ، وقام بتنظيم المزارعين تنظيما جيدا وتدخل لـــدى الحـــركات الوطنـــية كي يجد وسيلة لحماية المزارعين والنهوض بالاقتصاد الوطني(120).

ومـــن القضايا الاجتماعية التي عني بها الشيخ قضية الزواج، فهو يؤيـــده بعد البلوغ، ويمنع الشروط التي تشترطها النساء فيه، فلا يحضر عقدا فيه شروط. فالشرط الوحيد عنده ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلم .

---

117 جواهر الرسائل، المصدر السابق،ص:29

118 - شاهدت شريطا عرض فيه زيارة و فد حكومي برئاسة رئيس البرلمان بالسنغال إلى أحد حقول الشيخ، يوم 3،ديسمبر 2002 م في بيت محمد ياسن بكولخ .

119 - انظر : شخصية الشيخ إبراهيم، المصدر السابق،ص: 54 ، بتصرف .

120 - انظر : المصدر السابق،ص:43 ، بتصرف.

ولا يـــرى الجبر للأبكار عكس ما عليه فقهاء المالكية في أفريقيا، ولذلك كانت النساء عنده في حرية كاملة في اختيار أزواجهن ، كما كان يشبه الأسرة بالمؤسسة ويعطي حق الإدارة للزوج (121).

وقـــد رفض كل البدع والعادات التي تخالف سنة رسول الله عليه وسلم، وأمر بتخفيف العوائد التي لها صلة بالزواج. فقال في ذلك (122):

فخففوا من العوائد فما وافق شرعا فهو نهج الحكما

والشيخ يؤيد تعدد الزوجات ويرى ذلك لمصلحة النساء حيث يقول : .

وتعداد زوج الشرع جاء لحكمة تعود لنسوان إلى حين ينفخ

فإن لم يكن تلفى جموعا عوانسا يخالفن أحكاما فكيف تُوبّخ

ويؤيـــد هذا القول ما نلحظه في هذا الزمن من كثرة النساء على الرجال من جانب، ومن كثرة أبناء الزنا من جانب آخر، وإن كنت أرى أن هناك أسبابا أخرى أدت إلى شيوع الزنا كالفقر والغزو الثقافي الغربي.

وممـــا عارضه الشيخ بشدة، منع الزواج لأجل العنصرية، فالميزان عنده هو الدين والتقوى.

وقد برهن فعله على إيمانه بهذه الفكرة ، إذأنه أعطى بناته لكل من طلبهـــن ممن يلمس فيه استقامة في دينه، دون النظر إلى قبيلته أو بلده أولونه أو ماله أو حسبه، فكثير من بناته وحفيداته موجودات في موريتانيا وفـــي نيجـــيريا والنيجر ومالي وساحل العاج والكاميرون ...(123) ، وهو نفسه تزوج من موريتانيا ونيجيريا والسنغال .

ففـــي رســـالة وجههـــا إلى ولي عهد الإمارة الكنوية الحاج محمد السنوســـي أفـــاده بطلب أحد تلامذته النيجيريين السيد محمودبن الحسن دانـــتاتا، لمصـــاهرته، ولـــم ير مانعا يمنعه من ذلك، لأن" القرابة عنده

---

121 - انظر : المصدر السابق ،ص:12 ، بتصرف .

122 - الشيخ عبد الله وحياته الصوفية ، محمد بن الشيخ عبد الله ، ص: 94 ،ط1، مطبعة النجاح ، مغرب ، 2002 م

123 انظر : الملحق رقم : 15 .

والأخوة في الله والدين والطريقة لا غير،فقريب ليس عنده هذه بعيد منه، وبعيد فيه هذه قريب..." (124).

سادسا: تنظيم إدارة أموره الخاصة

لقد عرفت الإدارة بتعريفات كثيرة منها:"هي تنفيذ الأعمال بواسطة الآخرين عن طريق تخطيط وتنظيم وتوجيه مجهوداتهم ورقابتها " (125).

وبالنظر إلى تنظيمه المحكم، يلحظ أن الشيخ ملم بالفكر الإداري، ولذلك كانت دعوته ناجحة وآثاره باقية وخالدة .

فقد كان له أمين عام الذي هو خازن سره والمنسق العام الذي يوزع المهام والأعمال إلى أصحابها بإذن من الشيخ، وهو الشيخ علي سيسي رحمه الله، وأمانة سره الخاص موكلة إلى الشيخ إبراهيم محمود جوب وكان يلازم الشيخ في أسفاره .

وفي جميع الأقطار التي زارها لأجل الدعوة، نصب مقدمين وخلفاء. فالمقدمون هم الذين يتولون تلقين الأوراد التجانية للناس وتعليمهم وإرشادهم . أما الخلفاء فهم أيضا مقدمون، إلا أنهم زعماء المقدمين في كل قطر ونواب عن الشيخ . .

وله مسؤولون عن التعليم القرآني، والتعليم النظامي، ومسؤولون عن الزراعة، ومسؤولون عن المسجد، ومسؤولون عن خدمة البيت وخدمة الضيوف ... ومنهم المكلفون بالبعثات إلى العالم الإسلامي وغيره. ولا ينفي أن الشيخ كان يباشر كثيرا من الأعمال كالتعليم والإمامة والدعوة إلى الله بنفسه.

وكان كل مسؤول ينفذ أعماله كما طلب منه. ولم يتركهم الشيخ سدا ، بل كان يراقبهم ويتابعهم ويوجههم ، وكلما لاحظ خللا في التلاميذ

---

124 - رسالة الشيخ إلى الحاج محمد السنوسي سنة1952، مخطوط .انظر الملحق رقم :16 .

125 - مذكرة طلاب المعهد العالي التربوي بجامعة ساي في النيجر، إعداد محمد الأمين جابي، ص:1، العام الجامعي 2001-2002م .

أو فـــي المســـؤولين، ســـواء في الأمور الدينية أو المادية أنذرهم بلسانه وقلمـــه؛ فقـــد كتـــب كثـــيرا من المنشورات موجهة إلى جميع المقدمين والخلفاء ليبلغوها بدورهم إلى التلاميذ . سأكتفي بذكر مثال واحد منها.

– رســـالته إلى كافة أحبابه القاطنين بجامين[126] ، يوصيهم فيها ، بعد ما تـــناهى إلـــى سمعه بعض الممارسات المشينة ، مشددا فيها على نقاط أساسية أهمها :

– الأمـــر بـــتقوى الله : " أوصيكم ونفسي بما وصى الله به الأمم قبلكم ووصاكم به ، وهو تقوى الله في السر والجهر ،والتقوى هي امتثال الأمر واجتـــناب النهـــي ، وآكـــد المـــأمورات مراعات الصلوات الخمس في الجماعات في أوقاتها مع المحافظة على الطهارة المائية ... " [127]

– الـــتحذير مـــن المعاصي :" والعجب كل العجب لمن ينتسب إلى الملة وإلـــى شـــيخنا التجاني ويغفل عن صلاته أوعن طهارتها ويتيمم للصلاة ويدعـــي أنـــه معـــذور والعـــذر لا يدوم ولا يعم قبيلة ، فإنا لله وإنا إليه راجعـــون ، فـــتوبوا إلـــى بـــارئكم فاقـــتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بـــارئكم...وإياكم وملابسة شيء من المحرمات ، فالحرام يجر إلى النار، وإياكم والغفلة فإن الغفلة أصل كل خطيئة وشهوة وسوء أدب ..." [128]

–الأمر بالتوبة والمراقبة : " ولابد من تجديد التوبة في كل وقت وفي كل مقام مع دوام مراقبة الله في سائر الأوقات والأنفاس ." [129]

–الأمر بالصدق:"واجتهدوا في الصدق في معاملة سيدكم ومولاكم ..."[130]

–الأمر بالصبر والتآخي: " وتواضوا بالصبر وتحابوا وتهادوا وتزاوروا وتباذلوا وتجالسوا في الله لله بالله، وتعاونوا على البر والتقوى ..." [131]

---

126 ـ اسم قرية من قرى السنغال ، تقع في إقليم سين سالوم .
127 ـ جواهر الرسائل ، المصدر السابق ، ج1 ، ص :7.
128 ـ المصدر السابق ، ص: 7-8 .
129 ـ المصدر السابق ، ص: 8
130 ـ المصدر السابق ،ص:8
131 ـ المصدر السابق ، ص:8

-الأمر بالاهتمام بتربية الأهل: " وقوا أنفسكم وأهليكم نارا ..."(132)

-الأمر بالجد وترك الكسل: " لاتقعدوا ولا تميلوا إلى الراحة ..."(133)

وهكـــذا يتضـــح لنا جليا من خلال هذه الرسالة اهتمام الشيخ البالغ بأمر مـــريديه وذلك بتوجيههم إلى الدين الصحيح وتزويدهم بنصائح قيمة تقيم أمور دنياهم وآخرتهم .

132- المصدر السابق ، ص: 8 .

133- المصدر السابق ، ص: 8 .

المبحث الثاني

جهوده في الإصلاح

مدخل:

لقد أسهم الشيخ نظريا وعمليا في السياسة الدينية إسهاما فعالا، وهدفه في ذلك واضح، هو توحيد الأمة الإسلامية .

فهو يرى أن " الإسلام لم يفرق بين الدين والسياسة ،فرجال الدين يمكنهم أن يكونوا رجال السياسة ، ولكن المسلم سياسته في رفع الإسلام قولا وفعلا. ومن أعان سياسة تباين الدين لمال أوجاه فكأنما باع أخراه بدنياه..." وضرب مثلا، هو أن من السياسة الموافقة مع أرباب الدول وقادتها في كل مالا يمس كرمة الإسلام فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (134). ومن جهوده الإصلاحية:

أولا: في السنغال

سعيا لنصرة الدين، دعى الشيخ إلى نبذ مخلفات الاستعمار، وأعلن دعمه المادي والمعنوي لحزب التعاون الذي كان يرأسه "لمين غي" والذي يمثل الجبهة الوطنية المعارضة للاستعمار.

وقد قام بالدعاية للحزب المذكور وكون أتباعه للتصدي للسياسات الاستعمارية، وأفتى بمناسبة انتخابات 1951 م فتوى وزعت لأتباعه في السنغال وموريتانيا، حرم فيها مخالفة ما ورد فيها.

وكان لهذه الفتوى صدى كبير في إقبال أتباعه على الانضمام إلى حزب التعاون ، كما كان لها انعكاسات على نفوس قادة الحزب المعارض وهو حزب (p.d.s)الذي يرأسه سنغور ، حفظوها له في المستقبل وحتى بعد الأستقلال(135)

---

134 - انظر: جواهر الرسائل، المصدر السابق،ص:18، بتصرف .

135- انظر : شخصية إبراهيم نياس، المصدر السابق، ورقة:42 ، بتصرف .

جــاء فــي فــتواه أنه من الأمر الأكيد اجتماع المسلمين ومعيتهم وتعــاونهم ، حتى يعينوا ويختاروا رجالا من إخوانهم في الدين للجمعية السنغالية والموريتانية المسماة بــ "كونسي جنرال" وأن شيئا يعلي الإسلام والمســلمين السعي فيه واجب على كل مسلم و مسلمة(136) استنادا لقوله تعــالى:(لَـا تَجِــدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِــي قُلُوبِهِــمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (137)

ولهــذا اجــتمع رؤساء الدين المحمدي ومشائخ الجماعات على مناصرة المسلمين في الانتخابات المذكورة.

وفــي إحدى تقاريره ، بصفته أمينا عاما للمجلس الأعلى للشيوخ، كتب أنهم: لاحظوا أن السبب الرئيسي لتأخر الإسلام في السنغال هو عدم وجــود نواب للمسلمين الحقيقيين في المجلس الوطني للسنغال، فلا يقبلوا إلا اختــيار نــواب يعينهم المجلس(جمعية الشيوخ) ولا يقبل بحال من الأحــوال أن تكــون شــعائر الدين في قبضة من لا يعبأ بالدين بل لابد للشيوخ من أن يمارسوا حقهم بأنفسهم لأنفسهم.

وقد أدت هذه الحملة إلى مشاركة جمعية الشيوخ في إعداد مشروع الدستور في السنغال وعلى الخصوص ما يتعلق بالأحوال الشخصية الذي هو محل الخلاف الرئيسي (138)

أرى أن تحــركات الشيخ في الساحة السياسية مشروعة ومحمودة، لأن هدفها هو انتصار الدين ودفع عجلته إلى الأمام.

136- انظر: جمع وتحقيق ودراسة ، المصدر السابق ، ص:58 ، بتصرف .

137 - المجادلة :22

138 - انظر: شخصية الشيخ إبراهيم، المصدر السابق، ورقة :44 ، بتصرف .

وقد ظهرت نتائجها الإيجابية بعد كفاح مستمر وصمود على ضغوط الحكومة عليه ، ومن تلك الضغوط : تعرض أتباعه للسجن والاضطهاد ، ومنع حقه في الماء والإضاءة مدة طويلة، والحد من تحركاته في الخارج، وأخيرا محاولة سجنه ونصر أعدائه عليه .

أما النتائج فقبول الحكومة إدخال اللغة العربية والمواد الإسلامية في المناهج التعليمية، وفتح بعض المدارس الإسلامية وتعهدها على احترام الإسلام، وبناء بعض المساجد .

ولاشك أن كلمة المسلمين صارت مسموعة ومحترمة لدى الحكومة، والتي تقدر العلماء والشيوخ عامة، والفضل في ذلك كله يرجع إلى الكفاح المستمر الذي قامت به جمعية الشيوخ برئاسة الشيخ إبراهيم .

ثانيا: في خارج السنغال:

من أبرز أفكار الشيخ، قيام وحدة إسلامية وتوحيد كلمة المسلمين. لذلك دعا إلى الوحدة الإفريقية،وإلى الوحدة العربية، وإلى وحدة المغرب العربي الكبير، كل ذلك يهدف من ورائه إلى قيام وحدات إسلامية تكون خلايا للوحدة الشاملة للأمة الإسلامية.

وقد حدد الوحدة التي يدعو لها في رسالته إلى الرئيس جمال عبد الناصر قائلا:" فسر أيها الأمل المشرق على بركة الله داعية مخلصا إلى قومية تكفل القوة والعز، وتعيد الثقة، وإلى وحدة الهدف قبل وحدة الصف، وإلى التعاون على البر والتقوى "(139).

وفي رسالته إلى علماء نيجيريا أكد على ضرورة الاتحاد الإفريقي لكي يسهل التعاون بين الدول الإفريقية تعاونا مثمرا (140).

وقد حاول ربط الصلة بين القادة الأفارقة، ومن ذلك سعيه للتقريب بين موريتانيا والمغرب سنة 1961م، حيث كانت العلاقة بين البلدين على

---

139 - شخصية الشيخ إبراهيم، المصدر السابق،ورقة:46

140 - انظر: جواهر الرسائل ، المصدر السابق، ص:133 .

غير ما يرام، ويدل على ذلك بعض قوله لرئيس موريتانيا آنذاك المختار ولد داده، في رسالة وجهها إليه: "...وكنت أتمنى ولم أزل أن أراكم في موكب الإفريقيين الأحرار، وبالأخص المغرب، والجامعة العربية ... نعم أتمنى بل أسعى في التقريب بين موريتانيا والمغرب .ولدى الرئيس" نكروما"الخبر اليقين، وعقيدتي أنه ليس هناك مشكلة تستعصي على الحل مهما بلغت من التأزم والتوتر، والله يعلم نيتي في هذه المساعي..."(141)

وتبدو مساهمة الشيخ في إزالة التوتر عن العلاقة بين نيجيريا وغانا جلية وفعالة، في الرسالة التي بعثها إلى أحمد بللو، رئيس اتحاد نيجيريا، فقد أثبت لهذا الرئيس أن" كوامي نكروما" يكن له كل محبة وتقدير، وهذا ما حققه عندما قضى أياما في غانا بدعوة من رئيسها، ثم عقب برجائه لتقوية العلاقة بين الرئيسين (142)

وقد تلقى الشيخ إبراهيم دعوة من الرئيس التشادي بهدف الوساطة بين الحكومة التشادية والمسلمين، إلا أنه قبل أن يقدم على السفر كانت الحكومة التشادية قد قاطعت الأوساط الإسلامية .

ويعتقد "سنغور" أن إبراهيم نياس كان بوسعه أن يحول دون وقوع هذه المقاطعة (143).

أرى أن الشيخ وفق في تطبيق فكرة توحيد الأمة، في زاويته. فقد جمع بين السود والبيض من الأفارقة وغيرهم من مختلف الجنسيات العالمية .

وتحقق تنبؤه بضرورة الاتحاد الإفريقي على يد ابن هذه القارة البار، المجاهد الأكبر العقيد معمر القذافي أطال الله بقاءه .

141 -جمع وتحقيق ودراسة، المصدر السابق ورقة:49 .
142 - انظر : شخصية الشيخ إبراهيم، المصدر السابق،ورقة:49 .
143 - انظر: شخصية الشيخ إبراهيم، المصدر السابق،ورقة: 50 .

وعسى الله أن يوحد كلمة المسلمين ويرد إليهم قوتهم ومجدهم وعزهم وسيادتهم على العالم ويجعل كلمة الذين كفروا هي السفلي. آمين

ثالثا: الشيخ إبراهيم نياس وقضية التحرير

أيد الشيخ إبراهيم الحركات التحررية وزعماء التحرير في إفريقيا والعـــالم الإســـلامي تأييدا مطلقا، ويرى أن دور الشعوب في صنع هذه الحرية أكثر من دور الحكومات.

وقـــد دعـــا إلـــى حرية التفكير، ويعتبر من رواد الإصلاح والتحرر في إفريقيا الغربية .

وبالرغم من أنه أشهر قادة الطوائف الدينية وأكثرهم أتباعا، إلا أنه كـــان نـــاقدا لبعض مواقف علماء الدين من القضايا الوطنية ، ومن عدم التفتح على العلم والحضارة .

وكان من الذين أيدوا التقدم العلمي الذي حصل عند وصول الكائن الحـــي (الإنسان) إلى سطح القمر فبين أن من تتملكة الدهشة من الهبوط على القمر سيشاهد في المستقبل ما هو أعظم من ذلك مما يقتضيه معنى الآيـــة (كـــل يـــوم هو في شأن) (144) ، وهي تطورات وتجليات تظهر بمقتضى التقدم العلمي والتطور البشري عبر التاريخ (145) .

وقـــد أيد الشيخ حركات التحرر الإفريقية والإسلامية تأييدا بلغ أن دعـــا إلى التطوع للقتال في صفوف هذه الحركات، فقد كتب إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر رسالة يطلب منه أن يأخذ أبناءه الذين كانوا طلابا في الأزهر، للاشتراك في الحرب ضد إسرائيل[146].

وفـــي رحلـــته الحجازيـــة الأولـــى سنة1935م، تآخى الشيخ مع شخصـــيتين بارزتين: الحاج محمد أمين رئيس المجلس الإسلامي بالقدس

[144] - الرحمن: 291

[145] - انظر: شخصية الشيخ إبراهيم، المصدر السابق،ورقة: 50 .

[146]- شخصية الشيخ إبراهيم، المرجع المصدر السابق، ص: 51 .

الشريف، والحاج رياض الصلح (133) الذي صار رئيسا لوزراء لبنان فيما بعد، قلت هؤلاء الشخصيات الثلاثة تعاهدوا أن يعملوا ما استطاعوا حتى تتحرر بلدانهم : لبنان وفلسطين، والسنغال التي كانت تحت السيطرة الفرنسية والبريطانية ، وأن أي قطر من الأقطار الثلاثة يتحرر قبل الآخرين عليه أن يساندهما (147).

والشيخ مهتم جدا بقضية تحرير البلاد الإسلامية وخاصة فلسطين(148) ويتجلى ذلك في قصائده الشعرية، وفي خطبه، والشواهد التالية توضح ذلك:

سألت إلهي أن يذل بسرعة   عصا بات إسرائيل أهل غباء

وطهرلناالقدس الشريف وأهلكن   إبانا وديانا رقاب إماء (149)

ويقول في إحدى خطبه :" إذا احتل شبر من أرض المسلمين وجب الجهاد على كل مسلم حتى يتم التحرير من يد العدو،إن بيت المقدس ما زال محتلا من قبل اليهود ، وأن المسجد الأقصى مهددا اليوم بالهدم من طرف اليهود..." (150)

وفي خطبة أخرى يقول:" ...لا أنهي كلمتي حتى أحمد الله إليكم على تحرير معظم البلاد الإسلامية والعربية في إفريقيا وآسيا، كما أسأله تعالى أن يحرر البقية الباقية فتحرر فلسطين التي هي كبرى قضايا معشر المسلمين ..."(151)

وعندما أعلن قائد الثورة أن الإسلام شريعة المجتمع في ليبيا ، زار الشيخ الجماهيرية سنة 1972م، ليهنئ القائد على هذا التحدي للعالم (152) ، ومما قاله للأخ القائد: "جئت إلى هنا لأهنئكم على هذه الشجاعة القوية

---

147 - مجموع رحلات الشيخ، إبراهيم نياس ، ص:39،ط1 ، دار النهار، د- ب م ن .
148 - معلومة في شريط ، إبراهيم محمود جوب، المصدر السابق .
149 - سير القلب، الحاج إبراهيم نياس ، ورقة :31 . يقصد: أبا إيان وموشي ديان.
150 - جمع وتحقيق، المصدر السابق،ص:161 .
151 - جواهر الرسائل، المصدر السابق ، ص:31
152 - انظر: الملحق رقم: 17 .

التـــي جعلت شابا مسلما يتحدى العالم كله ويعلن الإسلام دينا لدولته في وقت الناس فيه،في أشد ما يكونون من الحرج والضيق والشدة ..."(153) .

تلـــك بعـــض الشواهد ـــ وغيرها الكثير ـــ أرى أنها تثبت اهتمام الشـــيخ بوطنه وقارته والمسلمين جميعا، ومساهمته بفكره ولسانه وقلمه وجســـمه لـــتحرير الشعوب الإسلامية عامة، وشعب إفريقيا خاصة، من التبعية ومن قيود الاستعمار، وهدفه الأسمى أن تبتعد قوى الشر بأساليبها الهدامـــة عن الشعوب الإسلامية، فيتقدم الإسلام ويعود إليه مجده وعزه وسيادته.

وممـــا سبق، تتجلى لنا بعض أفكار الشيخ، فهو موهوب في اللغة العربـــية بجمـــيع فنونها وأسرارها ومتعمق في الثقافة العامة، فهو يعيش عصـــره ويهـــتم بأمور المسلمين ويشارك في كل ما يحقق الخير والتقدم للأمة الإسلامية.

153 - معلومة في شريط بصوت الشيخ محمد الأمين الذي تشرف بمرافقة الشيخ في هذه الرحلة .

الفصل الثالث

جهوده في مقاومة الاستعمار:

شـــهدت القارة الإ فريقية ــ مع إ إشراقة العصر الحديث ــ موجة مـــن الصـــراع الا ستعماري بعد خروج المسلمين من الأندلس، وسقوط آخـــر معقـــل لهـــم في غر ناطة عام 1492م . وكان الهدف من هذه الحـــركة الإستعمارية هو تعقب المسلمين القادمين من الأندلس والقضاء علـــى آخـــر معـــاقلهم على الساحل الإ فريقي ، ثم إجهاض أي محاولة للتفكير في العودة إلى هذه البلاد ، وترتب على هذا الغزو الاستعماري محاولـــة تطويق المسلمين ، وذلك بالاتصال بالمملكة المسيحية في بلاد الحبشـــة ، وأدت هـــذه الحركة إلى قيام الكشوف الجغرافية التي انتهت بـــالدوران حـــول إفريقـــيا والوصول إلى شاطئها الشرقي ، ودخلت في صـــراع دموي مع الإمارات والممالك الإ سلامية سواء في شمال القارة أوفي شرقها أوغر بها .

لقـــد اتخذت هذه الموجة صبغة صليبية ؛ ذلك لأن البابوية باركت هـــذا العمـــل العدائي ضد المسلمين، واعتبرت كل من يستشهد في سبيل تحقـــيق هذا الهدف من شهداء الكنيسة ، وبالتالي أيد الملوك والأمراء في كل من إسبانيا والبرتغال هذا العمل ، ورصدوا مبالغ ضخمة للإنفاق منها علـــى الحملات التي تتجه ضد المسلمين ، فكانت موجات الغزو الأوربي تحـــت هـــذا الستار الصليبي عاملا كبيرا في تقويض جزء من الحضارة الإسلامية في القارة الإفريقية (154).

هـــذا ، وفـــي النصف الثاني من القرن التاسع عشر حاولت فرنسا فرض سيطرتها السياسية والاقتصادية والثقافية على السنغال .

---

154 ـ انظر : المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا ، د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، ص:9 ، نشر المجلس الوطني للثقافة ،الكويت ، 1989م .

وقــد وجدت مقاومة شديدة من طرف السكان المحليين ، إلا أنها استطاعت أن تسيطر على الأوضاع، وفعلا تم الاحتلال في سنة1891م، فصارت السنغال خاضعة لحكم فرنسا تماما .(145)

والحــق ، إن الاســتعمار ماكــان ينبغى أن يكون ، لأن الشعوب المستعمرة بإمكانها أن تتقدم دونه.

غــير أن المستعمرين جاءوا فاستغلوا خيرات البلاد المستعمرة وفرضوا علــى شــعوب هــذه البلاد الضرائب واشتروا محصولا تهم الزراعية بأسعار تافهة ثم باعوها عليهم بأسعار غالية ، وتحكموا في توجيه عقول أبنائهم فسلبوها وغرسوا فيها ثقافتهم التي هي بعيدة كل البعد عن التعاليم والقــيم الإســلامية ، وحــرموا عليهم تعليم اللغة العربية ، لغة القرآن، وفرضوا عليهم لغتهم ، إلى غير ذلك من الأمور السلبية .

وتتجلى جهود الشيخ في مقاومة الاستعمار في المباحث التالية:

المبحث الأول

موقفه من الاستعمار الفرنسي

لم يبق العلماء جامدين أمام هذه التيارات الهدامة، فكان لزعماء الطرق الصوفية دور بارز وفعال في هذه المقاومة [155] ، و من أشهر هؤلاء الزعماء –على سبيل المثال – الحاج عمر الفوتي والشيخ ماباجاخوبا، والحاج عبد الله نياس.

وهذا الأخير(الحاج عبد الله) حارب الوثنية بالسلاح ، وقاوم الاستعمار بكل ما يستطيع حتى هاجر إلى غمبيا ، ثم لجأ إلى المقاومة الثقافية ، فأخذ يدرس القرآن الكريم وينشر العلم ويدعو إلى الله ، وقاطع ثقافة المستعمرين مقاطعة تامة ، وأبى أن يغذّي جيوشهم بأبنائه ـ مع كل ما تعرض له من المضايقات ، في حين أن غيره من الشيوخ أرسلوا أبناءهم إلى المدرسة الفرنسية وإلى التجنيد في صالح الإدارة الاستعمارية.

والشيخ إبراهيم نياس هو ابن ذلك المجاهد ، فلا غرابة إذا رأيناه يقتفي أثر والده في مقاومة الاستعمار . والسؤال الذي يطرح نفسه : هل الشيخ إبراهيم اتبع الأسلوب نفسه الذي استعمله والده في تعامله مع المستعمرين ومقاومته إياهم ؟ أو أن للشيخ أسلوبا آخر ؟فالجواب : أن الشخصيتين ، وإن اتفقتا في الهدف وهو مقاومة الاستعمار ومحاربته إلا أنهما تختلفان في الأسلوب ؛ لأن ظروفهما مختلفة ، وكلا الأسلوبين مناسبان ؛ فالحاج عبد الله نجح في مقاومة الاستعمار وابنه الشيخ إبراهيم كذلك . والشواهد موجودة والآثار خالدة . فكم من التلاميذ تخرجوا من مدرسة الحاج عبد الله وكم من المدارس بناها هذا ، وكم من أبنائه صاروا فطاحل العلماء ، وكم من الكتب ألفها وكم من كتاب الله نسخا

155 -la resistance culturelle , moustapha djaw , p : 6 , e . n . s , senegal , 1989- 1990 .

خطهـــا بـــيده (156) في زمن لا توجد فيه الكتب وفي بيئة نائية ،ظروفها قاســية !، وســنرى موقــف الشيخ إبراهيم من الإدارة الاستعمارية في الفقرات التالية:

أولا: كيفية المقاومة

اطلعــت علــى وثيقة.(157) في المركز الوثائقي الوطني بالسنغال ، كاتــبها الدكــتور "(158)عثمان كان " في كتاب عنوانه "زمن العلماء" هذه الوثــيقة تناولــت الحديث عما جرى بين الشيخ والإدارة الاستعمارية في ظلها. وفيما يلي ترجمة موجزة لمضمونها ، بتصرف :

"ليس من المبالغة إذا قلنا إن الشيخ إبراهيم نياس من أهم الشخصيات التي ضــايقت الإدارة الاســتعمارية بغرب إفريقيا ، من نهاية 1940 م حتى الاستقلال سنة 1960 م.

وكان يظهر وفاءه مع فرنسا كلما قام بالسفر إلى الخارج ، بزيارته لقنصليات فرنسا ، ولكنه مكتفياً بذاته ، ومستقلاً عن نفسه ، ومستغن عن الإدارة الاستعمارية .

وأن هــذه ليست غافلة عنه ، إلا أنها لاترى أن تلقي القبض عليه أوتنفيه إلى الخارج كما فعلت لــ"حماه الله [159]" و"أحمد بمبا [160]" لسببين : عدم إظهاره للمعارضة لها وكثرة أتباعه في جميع دول إفريقيا الغربية كمــا تشهد بذلك مجموعة من التقارير الموجودة في وثائق وزارة فرنسا لمــا وراء البحر ب ايكسان فروبينس (Aix-En-Provence) ، وفي كــرتون رقــم : 2258 وتتضــمن ملفــات الشــؤون الإسلامية وكبار الشخصيات بغرب إفريقيا .

156- عن ظهر القلب

157- voir:le temps des marabouts . david rovinson et jean - louis (eds) p: 310-316 .

158- دكتور في العلوم السياسية ،محاضر بجامعة سان لوي بالسنغال.

159- لم أقف على ترجمته .

160- هو مؤسس قرية طوبى السنغالية ، ومؤسس الطريقة المريدية ، نفي إلى غابون سنة 1895 ، ثم إلى موريتانيا سنة 1903 ، ثم مكث في الإقامة الجبرية في السنغال من 1907-1927 حيث توفي رحمة الله عليه .

وكـــان الملـــف الخـــاص بالشـــيخ إبراهـــيم أكبر حجماً من ملفات باقي الشخصيات (يحتوي على أكثر من مائة صفحة)

وعلـــى الـــرغم من معرفة المستعمرين لوالده الحاج عبد الله ،لم يلفـــت الشيخ انتباههم إلا بعد نهاية 1940م وخاصة مع بداية 1948م ، كمـــا أثبتـــت ذلـــك مراسلات مكثفة بين وزارة فرنسا لما وراء البحر والحكومة العامة ، والتي توصي بمتابعة ومراقبة الشيخ .

وهناك دوافع كثيرة دفعت الحكومة الاستعمارية على أخذ الحذر منه :

ـ كونهـــا لـــم تثق بوالده الحاج عبد الله لأنه معارض لها، وهذا بطبيعة الحال انعكس سلباً على حساب أعقابه وخلفائه .

ـ إن انتشـــار حركة الشيخ تمّ في مدة قصيرة جداً ، بين 1948م وبداية 1950م ، وهـــي الفـــترة التـــي صاحبت ووافقت تقديم الدول المستعمرة طلـــباتها للاســـتقلال ، وكذلـــك قـــيام حركة التجمع على أساس دينيَ وسياســـيّ، التـــي جاءت من الدول العربية وتخشى الإدارة الاستعمارية انتشار هذه الحركة إلى جنوب الصحراء .

والشيخ دائماً يبتعد عن الحكومة، كما نصت بعض التقارير، منها : "هـــذا الـــرجل الذي لم يطلب مساندة قط ، رسمياً أبدى رغبته حالياً في حضـــور الحكومة المحلية لاحتفاله بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في كولخ ".[161]

وفـــي تقريـــر آخر ذُكر أنه عكس زملائه العلماء المتجولين ، لم يطلب أية مساعدة ومساندة ولا توصية ولا أي تسهيل من الإدارة ، مقابل إخلاصه ووفائه تجاهها .

ثـــم أبهـــرهم سفره الأول إلى نيجيريا حيث استقبله جمع غفير من الـــناس وأتـــت إلـــيه الوفود من مسافات تصل إلى 400 كم ، ولذلك قام

[161] -voir : note sur l islam au soudan : 628 apads du 13 mai 1953 caom , aff pol 2258 , d.5 sous- chemise ibrahim niasse .

الـــرائد Commandant mangin(162) بزيارة إلى نيجيرياسنة1952م ، وكتـــب تقريـــراً نصه :" إذا سئل المسلمون في نيجيريا والنيجر وغانا وبنيـــن ، عن الشخصية الإسلامية الكبيرة التي يعرفونها ، كلهم يجيبون بصـــوت واحـــد : " إبراهـــيم الكولخي " وقليل منهم رآه لأنه لم يقم إلا مرتين ضيقتين في كانو ومروراً واحداً بلاغوس وأكرا (163).

وقـــد لاحـــظ المســـتعمرون الفرنسيون أن شخصية الشيخ إبراهيم نـــياس، بذكائهـــا الحاد وتبحرها في العلم وعمق ثقافتها وتأثيرها القويّ الفعال ، هي الأهم في القوى الإسلامية بغرب لإفريقيا .

كمـــا أنهم لاحظوا انتشار دعوته في السنغال والسودان والنيجر ، بـــدون توقف، وإقبال الوفود عليه دائماً، وحسن إدارته وتنظيمه وتربيته لتلامذته .

كل ذلك جعل الحكومة الاستعمارية لا تثق به ، و توصي البريطانيين بتبادل الأخبار بين الطرفين بخصوص متابعته ومراقبته ، وكذلك انتشار الطريقة التجانية التي يمثلها(164)

وفـــي تقريـــر آخر ورد أن تأثير الشيخ الفعال في نيجيريا وغانا وغمبيا ، وفي سنوات قليلة يتطلب ـــ على حد قول الفرنسيين ـــ المتابعة مـــنهم ومن البريطانيين ،وأن سرية حركته في تنظيم الطريقة التجانية ، فـــي تلك المناطق ، وابتعاده عن الحكومة الفرنسية ، ودعمه لموضوع " حمايـــة الإسلام " في الانتخابات الأخيرة بالسنغال-(165) ، إن هذه الأمور كلها تجعلهم لا يثقون به .

[162]كان رئيسا لمكتب الشؤون الإسلامية في الحكومة الاستعمارية آنذاك .

[163] - voir :rapport de mission effectuee au nigeria en mars 1952, commandant mangin, chef du departement des affaires musulmanes . pp : 24- 34 coam affaires politiques 2258 d.5, sous-chemise ibrahim niasse .

[164]- voir Note sur les questions islamiques communes aux territoires francaises britanniques d afrique occidentales , rapport de 5 page non signe 'ANSOM affaires politiques -2260.

[165]- سنة 1951 وقد عارض السياسة الاستعمارية كما سيأتي تفصيل ذلك .

وفــيما يتعلق بالإدارة البريطانية ، فإنها تحذرمن الشيخ مثل أختها الفرنســية، ولكن قوة شعبيته واعتماد الحكومة على السلطة لحكم شمال النـيجر ، كانــا في صالحه كما يشير إلى ذلك التقرير التالي :" الحكومة البريطانية قلقة بقدوم الشيخ إبراهيم نياس القريب إلى نيجيريا ولا تستطيع مــنعه ــ مــع رغبــتها فــي ذلك ــ لاحترام سلطان "كانو"له ولشهرته الفائقــة.(166) وإن كانت استراتيجية (خطة) الشيخ بعامة ، تجاه الإدارة الاســتعمارية هــي التعايش السلمي ، إلا أنه في سنة 1960م حدث ما يعكس ذلك ، فالخطاب الذي صدر من كبير أسا قفة دكار لفيغر ، خطاب يمــس كــرامة الإســلام ، دفع الشيخ إلى الرد عليه واتخاذ موقف ضد" الاســتعمار والمستعمرين : في جريدة فرنسا المسيحية بتاريخ 18-12-1959 م يقــول لفــيغر : " ألقيت كلمات تؤدي إلى الثورة : حق الشعب لإعــداد نفســه بنفســه وحقــه في الاستقلال وغير ذلك، وتدخل روسيا والصــين في إفريقيا يوماً بعد يوم ، أصبح حقاً ، وهذا شيء غير متوقع للذيــن يعــرفون الإسلام والبلاد التي أغلبية الشعب فيها مسلمة هي التي تــنفك بسرعة عن الغرب وتطالب بأساليب الشيوعية التي تناسب أساليب الإسلام : التطرف ، واستعباد الناس هي من صفات الإسلام " .(167)

هــذا الخطاب أثار غضب الأمة الإسلامية . وعليه رد الشيخ ردا شــنيعا لاذعا ، يوم 5-1-1960م ، حيث رفض بأن الحرية والمساواة والأخوة تحققت في أوربا مستشهداً بالكاتب المسيحي الذي ندّد بالحقوق التــي لا تــزال يتمــتع بها الأشراف وأصحاب الرتب ، ورجال الدين المســيحي ثــم هــاجم هــؤلاء بقوله : " فالعمال المساكين ، والفلاحون البائســون يدفعون الضرائب المتزايدة و الرهبان الكسالى البطالون توفّر

166 -voir :Nigeria , les britanniques et la visite d ibrahim niasse de 1957 , sdece , n 562 du 19 janvier 1957 ,coam , affaire politique , 2258 , d.5, sous chemise ibrahim niasse .
167 - cite dans : l ´ Islam noir vincent monteil , p : 195 , paris 1964 .

أموالهم لهم ، حتى أن لكل واحد منهم أكثر مما عند ألف مواطن من أبناء الشـــعب . هــذا مع دعوى العدل والإنصاف والمساواة "،ثم قيم الشيخ التعليم والتربية والثقافة التي بذلها رسل المسيحية – كما يدّ عي لفيغز –، بعشـــرة فـــي المائة بالنسبة إلى تعليم مشايخ الإ سلام في أ كثر نواحي إفريقـــيا .واســـتنكر الاستعمار ، ثم وعد بالحرية والاستقلال عن قريب عـــاجل حيـــث يقول : "وأما استعباد الناس فنتساءل هل بعض الأوربيين المسيحيين الذين غزوا إفريقيا واستعمروها هم الذين حاولوا استعبادهم ؟ أم العكـــس ؟ .. . فهذا القرن العشرون تدفق فيه تيار الحرية و الوطنية ولا يقـــف أمـــام هـــذا التيار شئ . فإذاً البلاد كلها سوف يتولى حكمها أهلهـــا..... فعلى كل حال حكم الأجانب في بلاد الأ جانب مضى إلى غير رجعة فإفريقيا إلى الإ فريقيين . " (168)

إ ن هجـــوم الشيخ على الاستعمار ، وبخاصة كبير أساقفة دكار ، ومســـاهمته الفعالة في حرية حماية الإ سلام مؤيداً بذلك الحزب المناصر للإســـلام ومعارضا الحزب المناصر للاستعمار . كل ذلك لا يعني أنه لم يتعامل مع الإ دارة الاستعمارية بالسلم ، كما أن ذلك لا يعنى أيضا عدم مجاراتـــه الآخريـــن، فقـــد جارى المسيحيين وتعامل معهم وفقا للتعاليم الإسلامية .

وقد استخلص الكاتب . " دكتور عثمان " هذه الخلاصة : " مما ســـلف يتبين لنا أن الشيخ لم يعارض فرنسا علنا ؛ لأنه تعامل معها دائماً بحكمة ومداراة في كل ما لا يمس كرامة الإ سلام ، فهو محام ومناصر للإسلام واللغة العربية ، إ لاّ أن اكتفاءه الذّاتي واستقلاليته وشهرته الفائقة أثـــارت حســـد المســـتعمرين وقلقهـــم على أمره ، فكادوه وتآمروا عليه

168 - ا نظر : إفريقيا إلى الإ فريقيين ، إبراهيم نياس ، ورقة : 3-7 ، مخطوط ، نسخ الشيخ إ إبراهيم محمود جوب ، مكتبة الناسخ ، مدينة باي ، السنغال .

وحـــاولوا إســـاءة ســـمعته وإفسادها ، كما نصت على ذلك عدة تقارير موجودة في ملفه الخاص ، المحتفظ به عندهم " .

وقــد دعـــي الكاتـــب الباحثيـــن إلـــى دراسة نقدية لتلك التقارير. ثم ذكر ما أقره حسكيت Mervyn hiskett بأن " حركة الشيخ إبراهيم نـــياس أكـــثر أتـــباعا في إفريقيا الغربية إبان نهاية الاستعمار (169) . والجديـــر بالذكـــر أن أتباعه ليسوا مسلمين فقط ، وإنّما هناك مسيحيون ووثنيون أسلموا على يديه واتبعوه .

وتعتـــبر حركـــته الكـــبرى عدوا للمسيحيين ، وعن طريقها وجد الشـــباب بديلا فهم أشد انجذابا إليها ، وبخاصة في أسرة حيضرا بسيغو وأســـرة الشيخ محمد الحافظ بموريتانيا وساكو فوتا وأسرة الشيخ سلغا بنيجـــيريا ؛ وسبب ذلك أنها أكثر حرية ، فالمريد حرّ في نفسه . ولكن مـــدى انتشار حركة الشيخ بإفريقيا مازال غير مدروس باستثناء السنغال ونيجيريا .

علـــى أن هناك دراسة تقام بالنسبة لموريتانيا . وقليل ما كتب في الدول الأخرى مثل : غانا وبوركينا وتشاد والنيجر والسودان التي تتدفق فيها هذه الحركة بقوة والتي هي بحاجة إلى دراسة تامة . " (170)

ثانيا : التعليق

من هذه الوثيقة نتفهم الأمور الآتية :

ـ إن الإدارة الاســـتعمارية حاولـــت كل المحاولة التضييق على الشيخ والقضاء على دعوته إلا أنها باءت بالفشل .

ـ إن الشيخ إبراهيم قاوم الاستعمار مقاومة ثقافية وروحية ، بدليل كثرة أتـــباعه فـــي جـــل الـــدول الإفريقية وشهرته كما أقرّت بذلك كثير من التقارير التي كتبها المستعمرون بأنفسهم وشهدوا عليها . ولا شك أن ما

- [169] The development of Islam in west Africa , Mervyn Hiskett , P : 287 , New York .
- [170] les temps des marabouts, document cite, p:

ساعده على ذلك هو الإ خلاص في دعوته وعدم الاعتماد على غيره ،بل كـــان اعـــتماده كلـــه على الله وجرأته وشدّة تمسكه بالشريعة ، وحسن تنظـــيمه وإدارته للأمور، فالإنسان إذا كان مع الله كان الله معه ، فالشيخ أخلص وجهه لله ، وتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، لذا حقق النجاح الباهر بدليل أن أتباعه مازالوا في تزايد دائم إلى يومنا هذا .

ــ إنه لم يوال الاستعمار قط بل تعامل معهم بالحكمة وبالسلم لبعد نظره وحدة ذكائه ، فإظهارا لمعارضنة في الوقت الذي عاشه مع الاستعمار لا يجـــدي ، وقـــد يؤدّي إلى نتائج وخيمة ؛ لأن المقاومات المسلحة تمت هزيمتها قبل نشأته ، ففي عهده رأى عدم فائدتها .

ثـــم جاءت مرحلة إ ظهار معارضته للاستعمار وذلك في انتخابات 1951م ، حيث طلب من أتباعه عدم موالاة الحزب التابع للاستعمار، بل معارضـــته ، وهـــذا يعتبر موقف جريء وشجاع ، نظراً للظروف التي تحـــيط بـــه ، فـــبما أن له العزيمة وصدق التوجه إلى الله وغيرته على الإسلام والمسلمين، حفظه الله من شرّ الاستعمار ، فلم يسيئوا إليه إساءة بالغة، وإن حرموه من بعض حقوقه المادية وهو غني عنها.

ويعتـــبر ردّه علـــى كبير أساقفة دكار أكبر حدث تاريخي بالنسبة لمسلمي غرب أفريقيا.

إنـــه لمـــن العجـــب والغرابة أن يتجرأ شخص للهجوم على الاستعمار وهجائه هجاء شنيعا ، في الوقت الذي تنعدم فيه حرية الحركة والكلام ! وتجرأ الشيخ بكتابة ونشر ذلك !

وهذا الموقف يؤكد أن الشيخ لا يحب الاستعمار ، ولم يواله أبداً ، بـــل تعايش معه تعايشا سلميا للضرورة ، عكس غيره من العلماء الذين اعـــتمدوا على الإ دارة الاستعمارية في بعض شؤونهم وأرسلوا أولادهم إلـــى مدارسهم . أما الشيخ فلا ، بل اهتم بتحفيظ أ بنائه وتلامذته القرآن

الكريم وتدريسهم العلوم الشرعية ، ولم ينل الاستعمار منه سؤله ولو مرّة واحدة .

وهناك شواهد أخرى تثبت أ ن الشيخ يبغض الاستعمار ويعارض سياســتهم ففي كثير من المناسبات الدينية والخطب المنبرية ، يذكر كيد الاستعمار وخططه الفاسدة ويفهم الناس ذلك كي لا ينخدعوا وكي ينجوا مــن مكرهم [171] ، كما أنه في قصائده الشعرية لمدح الرسول ، يتطرق إلى بعض الأمور ، يطلب من الله جلبها له أ ودفعها عنه ، وكثيرا ما دعا علــى الاســتعمار بالرحيل والتخلي عن الأ رض التي ليس هو مالكها . فالأبيات التالية تلمحُ على ذلك :

يارب إن النصارى عتوا وغشوا الخيارى
فأبلغني زمــانــــا لا أرى فيه النصــارى
بحق مولاي وطـــــه وما حواه فخارى[172]

ويقصـــد بالنصارى الفرنسيين ، حيث يندد بعتوّهم وطغيانهم على خيار القوم ، فيطلب من المولى أن يبلغه زماناً لا يرى فيه النصارى أي أنهم رحلوا وتركوا البلاد المستعمرة .

وفي بيت آ خر يقـــول :

نرى جلاء البغاة المعتدين ونبقي بعدهم في حمى دون بلوى

والمقصــود: أنه يطلب من الرحمن أن يريه زمنا طرد فيه المستعمرون الظالمون المعتدون فيعيش الناس بعد ذلك بسلام ورَخاء دون أي بلاء.

فالشــيخ حقا هو امتداد لوالده في مقاومة الاستعمار مقاومة ثقافية كما نجح والده في ذلك نجح هو الآخر ، بل نجاح الشيخ أبهر وأوفر لأنه

---

[171] انظر: 25 سنة بعد وفاة الشيخ ،إبراهيم ثيام ،ص :65 . أيضا : توسعة العلم والعرفان الشيخ ابراهيم نياس ، ورقة : 28 – 29 ، مخطوط ، نسخ إبراهيم بن الحاج عبد الله عمر ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيجر ، د- ر ، بتصرف .
[172] جامع جوامع ، المصدر السا بق ، ص : 194 .

فجــر قنابله عليهم وعارضهم جهارا نهارا ، وسنرى في المبحث التالي كيف قاوم الشيخ ثقافة الاستعمار .

المبحث الثاني

دور الشيخ إبراهيم نياس في مقاومة الغزو الثقافي

يتضح دور الشيخ إبراهيم في مقاومة الغزو الثقافي متن خلال النقاط التالية:

أ ـ مفهوم الغزو الثقافي الغربي

ويسمى الاستعمار الثقافي ، والمراد منه غزو العقول والأفكار ، ومحاولة تفريغ الشخصية الوطنية من انتماءاتها الثقافية والوطنية،وإحلال ثقافة بديلة ، فيكون الإنسان مقطوع الصلة عن أصله وثقافته وهويته،ومستعمرا عقليا وفكريا ، بحيث تحل ثقافة المستعمر محل ثقافته الموروثة (173) .

والغزو الثقافي الغربي ليس صالحا للمسلمين ، لما يترتب عليه من انعكاسات سلبية في المجتمع الإسلامي ، فهو يعد من أهم أسلحة الغرب لتدمير الإسلام ، وكيف لا وهم في مؤتمر أوربي كبير ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين ، برئاسة وزير خارجية بريطانيا ، سنة 1907 م ، اتفقوا على أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربا ، وبالتالي فلا بد من تفكيك صفوف المسلمين وبث التفرقة بينهم ، لأن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء ما دام الإسلام موجودا وما دامت الحضارة العربية موجودة .(174)

ولكي تتضح لنا خطورة الغزو الثقافي الغربي وسلبياته على الأمة الإسلامية ، أرى أن أتحدث عن الغزو الثقافي الفرنسي كنموذج

---

173 ـ انظر : معارف إسلامية ، محمد فتح الله الزيادي و أساتذة متخصصون ، المرجع السابق ، ص :482 ، بتصرف .

174 ـ انظر : موسوعة تربية الأجيال المسلمة ، نصر بن محمد ، تقديم الشيخ أحمد فريد ، ص 439- 440 ،ط1 ، دار الإيمان ، إسكندرية ، 2001 م ، بتصرف .

ب ـ أثر الثقافة الفرنسية على بعض الدول الإفريقية

لقد أثر الإعلام الفرنسي المرئي والمسموع على الدول الإفريقية الناطقة باللغة الفرنسية تأثيرا بالغا .(175)

وليس من المبالغة القول بأن فرنسا ، وإن كانت خرجت عسكريا من هذه الدول إلا أن عقلها وفكرها وثقافتها ما زالت تؤثر في عقول الأفارقة في هذه الدول . والدليل على ذلك الأشرطة المرئية وأشرطة الخيالة الفرنسية والغربية الأخرى التي ترد إليها عن طريق فرنسا مترجمة باللغة الفرنسية، فهي أشرطة على مستوى عال من البرمجة و التخطيط . والأمر الخطير أنها تصطدم بالقيم الإسلامية والعادات والتقاليد الإفريقية السامية ومع ذلك فإنها تعرض بشكل منتظم .

أضف إلى ذلك ، الكتب الفرنسية الهدامة بأنواعها المختلفة والمنتشرة انتشارا واسعا في هذه الدول ، منها ما يشكك المسلم في عقيدته ومنها ما يسلب الإنسان هويته، ومنها ما يفسد للمؤمن إيمانه وصفاءه وأخلاقه... إلى غير ذلك .

والأخطر من ذلك ، تحريض الشباب على الزنا والدعارة عن طريق الدعاية لوسائل منع الحمل و توزيع الحبوب وبعض الأشياء التي تقي المرأة من الحمل للراغبين مجانا ، ويزعمون أن ذلك للوقاية من الأمراض التناسلية الفتاكة .

ونتيجة لذلك ، ظهرت بعض العادات السيئة التي لم تكن موجودة في المجتمعات الإفريقية وخاصة ظاهرة التبرج والنوادي الليلية واستحمام النساء على الشواطئ على الطريقة الأوربية ، ونشوء جيل من الشباب يستخف بالدين والعلماء ، وقيام بعض الحركات النسائية الداعية إلى الخلاعة والمجون والتحرر من الدين وتعاليمه بحجة سلب

---

175 ـ مثال هذه الدول : المغرب ـ الجزائر تونس ـ النيجر ـ مالي ـ السنغال ـ .

المـــرأة حقوقها . كما يستعمل الاستعمار الفرنسي الجديد في هذه الدول علـــى تأجيج نار العداوة و الفتنة بين أبناء القارة كإثارة قضية العنصرية ومحاولـــة تفكـــيك وحدة هذه القبائل التي تعيش بسلام و ترابط و أخوة لحدوث التزاوج بينها (176).

وإذا كانـــت الـــثقافة الفرنسية أضرّت ببعض الأجزاء من الدول الإسلامية ، فإن العالم الإسلامي برمته لم يسلم من الغزو الثقافي الغربي، لأن ما يشاهد في التلفزيون من أفلام لا أخلاقية حيث تعرض فيها وقائع الاتصال الجنسي (الزنا) بين الرجال والنساء مباشرة و بدون حجاب ، يعتبر ذلك فسادا كبيرا وتدميرا للشباب وهم أمل الأمة الإسلامية ورجالها في الغد .

و للشـــيخ إبراهـــيم نـــياس إســـهام كبير في مقاومة الغزو الثقافي الغربي، و سأقف على بعض وسائله .

(ج) وسائل الشيخ إبراهيم نياس في مقاومة الغزو الثقافي :

1- تعمير الأوقات بذكر الله .

إن أوقـــات تلامـــذة الشيخ إبراهيم عامرة بذكر الله ، لأن طريقة أســـتاذهم تشترط عليهم ذلك، و لأن أساس هذه الطريقة التجانية هو ذكر الله ، لذلـــك يتحتم على التجاني أن يلازم الاستغفار والصلاة على النبي والكلمـــة الشريفة (لا إله إلا الله) صباحا و مساء وأن يكثر الصلاة على النبي وقراءة القرآن حسب استطاعته بلا تفريط ولا إفراط ، وأن يراقب مولاه في جميع تصرفاته . و يلزم على التجاني حضور الوظيفة اليومية وذكر يوم الجمعة مع الجماعة إلا لعذر.(177) .

176 ـــانظر : صحيفة الدعوة الإسلامية ،العدد 636 ، ص : 9 ، طرابلس ، 3 الربيع الأول 1429 من ميلاد الرسول، بتصرف .

177 ـــ انظر : البيان و التبيين ، المصدر السابق، ص : 6 ، . و انظر : الفتح الرباني ، محمد بن عبد الله الطصفاوي ، ص : 42، المكتبة الشعبية ، بيروت ، د-ت ، بتصرف.

ولا شـــك أن الطــريقة التجانية بذلك ، زودت المريد بأهم سلاح لمحاربــة الغــزو الثقافــي الغربي ، لأن بذكر الله تطمئن القلوب ويبقى المــرء مرتــبطا بديــنه و مرتبطا بخالقه ، فيصفو قلبه ويحيى ضميره ويستقيم كما أمره مولاه، ويخشى ربه وبتقوى الله يتمثل المسلم أوامر الله و يبــتعد عــن نواهــيه ، و بذلــك يكون بعيدا عن الثقافة الأجنبية التي تــتعارض مع القيم الإسلامية ، مصداقا لقوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر و لذكر الله أكبر) [178]

كمـــا أن حضور الشباب الوظيفة التجانية مع الجماعة يملأ فراغهم و يقوي صلتهم بالله ، فلا يفكرون في مشاهدة الأفلام اللاأخلاقية ولا في أ ن يقــرأوا القصـــص الغرامــية في الكتب الهدامة ، و لا أن يخالطوا غــيرهم من الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، اللهم إلا ما يفيدهم في دينهم و في حياتهم .

و لذلك شدد الشيخ إبراهيم على تلامذته لملازمة أوراد الطريقة و تعمير أوقاتهم بذكر الله و العمل فيما ينفعهم دينا و دنيا .

2- التوعية الجماهيرية :

و تتمــثل فيما يقوم به الشيخ إبراهيم نياس من إرشاد الناس إلى الصــراط المســتقيم ، وتنبــيههم عمــا يكيده أعداء الإسلام للمسلمين ، وتحريضهم على العلم و العبادة الصحيحة الخالصة ، و زجرهم عن كل قصور ومخالفة في أوامر الله ، كل ذلك تأسيا بشيخه أحمد التجاني .

و خــير دلــيل علــى ذلك ، خطابه المشهور الموجه إلى جماهير الشباب ، ألقاه في مدينة كانوا في نيجيريا سنة 1391هـــ ، و لنقف على أهــم ما جاء فيه : لقد وضح الشيخ في بداية خطابه أهمية الشباب بأنهم

178- العنكبوت : 45.

هم القادة في المستقبل ، وأن بركة العمر في زمن الشباب ، فكل ما يجده المرء يكتسبه في هذا الزمن كالعلم مثلا ، فمرحلة الشباب مهمة جدا .

وقد حرض الشيخ الشباب على إصلاح دينهم و علو هممهم ، لأنهم رجـاء الأمـة الإسلامية في المستقبل و قوتُها و سلاحُها . وهذه الحقيقة أدركها أعداء الإسلام فاستعانوا بالشباب ليضيعوا على الأمة دينها .

ولذلـك ، فعلـى المسلمين محاربة أعدائهم بالسلاح المضاد وهو إصـلاح الشباب بغرس العقيدة والقيم الإسلامية النبيلة في نفوسهم . ثم استمر الشيخ في ذكر كيد الأعداء ومؤامرتهم ضد القرآن ، و سعيهم إلى إفسـاد الشباب لئلا يصلحوا لهذا الدين في المستقبل ، و لأنهم أدركوا أن قوة الإسلام في القرآن الكريم و في الشباب ، فإذا فسدت أخلاق الشباب وانحـرفوا عن الدين فعلوا في الإسلام ما أرادوا .هؤلاء الأعداء جربوا محاربة الإسلام بالقوة العسكرية لمّا استعمروا البلاد الإسلامية ، و رأوا أنهـم لـم ينجحوا فلجأوا إلى الغزو الثقافي ، فدسوا في المدارس الزيغ والإلحـاد ، ودعـوا الشباب إلى الفسق ، إلى شرب الخمر ، إلى تناول الحرام ، حتى يضيّعوا دينهم ، و بهذا يجدون قوة التسلط على المسلمين ليمحوا الإسلام بالمرة .

هـذا مـا يخططونـه في كل وقت وفي كل مكان ، و ربما قامت حـركة داخـل الإسـلام وهي حركتهم عن طريق رسلهم و أتباعهم ، يريدون بذلك هدم الإسلام.

وضـربَ الشـيخ أمـثلة لما فعله الاستعمار في نيجيريا لهدم قواعد الإسـلام فوجدوا علماء " كانو" بالمرصاد ، فقد قاوموهم مقاومة شديدة ، ففشلوا في تخطيطهم .

وبعـــد مضـــي الزمـــن غيّروا خطتهم ، فآثروا غير المسلمين في تعلـــيمهم وفي اقتصادهم و في ثروتهم ، ليرفعوهم على أبناء المسلمين ، وليجلبوا قلوبهم إليهم .

وهـــذا في نظر الشيخ ، لا يؤثر في المسلمين الحقيقيين ، ولذلك دعا الشيخ جماهير الشباب في العالم الإسلامي بل المسلمين جميعا أن يدركوا هـــذه الحقـــيقة ، وأن يفهمـــوا هذا الكيد الذي لا يزال العدو يكيده على الإسلام والمسلمين ، وهو غزو عقول أبناء الأمة وحشوها بأفكارهدامة، أفكـــار تسلب المؤمن إيمانه وأخلاقه وقيمه الدينية الشريفة . ثم دعا إلى مواجهـــة العـــدو و محاربة ثقافته المسمومة بالتسلح بالعلم لمعرفة الدين جيدا ، وتعليم الصبيان القرآن الكريم و اللغة العربية ، وإنشاء منظمات إســـلامية في كل بلد ، وأن تتم النشاطات فيها بالشورى ، و الهدف منها خدمة الدين وحمايته (179).

3 ـــ الجمعيات الإسلامية

مـــن أهم وسائل الشيخ إبراهيم في مقاومة الغزو الثقافي الغربي ، النشاطات في ظل الجمعيات الإسلامية ، وتحريض تلامذته على الاقتداء به في نفس المسيرة ولكي يتضح لنا ذلك سأتحدث عن جمعية "ناصرات الدين " في النيجر كنموذج.

---

[179] ـ انظر : توسعة العلم والعرفان للشيوخ والشباب، ابراهيم نياس ، ورقة : 26 - 29 ، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيجر ، د- ان ، بتصرف .و انظر : الملحق رقم : 18.

هذه الجمعية الإسلامية أسستها السيدة أم الخير بنت الشيخ إبراهيم نـياس سـنة 1995م ، اقتداء بوالدها . ومن أهدافها الأساسية التصدي للتـيارات الفكـرية المنـاوئة و مواصلة نشر الإسلام ومحاربة الجهل والأمـية والبدع والخرافات ، وإحياء التراث الإسلامي ، وإحياء القلوب بذكـر الله ، وخدمة المجتمع الإسلامي ، ومساعدة الفقراء والمحتاجين ، والاهتمام الخاص بتعليم المرأة وتربيتها تربية إسلامية أصيلة .

ولتحقيق أهدافها أنشأت المؤسسة المدارس لتعليم الصغار والكبار ، ثم القيام بالوعظ والإرشاد عبر الوسائل الإعلامية ، حيث لها برامج في الإذاعـة الوطنية والإذاعات المحلية ، وبرامج أخرى تلفزيونية ، يعدها ويقدمها باستمرار، بعض الرجال والنساء باسم الجمعية .

وتتمـثل في البرامج اليومية والأسبوعية التي تقدمها السيدة زهراء بنت الشيخ أبى بكر ، بنت المؤسسة أيضاً .

ولهذه البرامج تأثير كبير في إرشاد النساء والرجال كذلك ، وغرس العقيدة الإسلامية في نفوسهم .

ونتـيجة لذلك لوحظ إقبال كبير من الشابات على الإسلام والتحلي بأخلاقه والارتداء بزيه والتمسك بقيمه وأخلاقة ، والابتعاد عن قوى الشر وعملائها .

ولا شـك أن المرأة إذا تمسكت بالدين تمسكاً شديداً ، ربّت أولادها تربـية إسـلامية أصـيلة، والطفل إذا نشيء على الإسلام ترسخ إيمانه وعقـيدته فلا يتأثر بالتيارات الفكرية المضادة للإسلام بل يصبح محاميا للإسلام في المستقبل ، وهذا مهم جدا.

ومـن نشاطات هذه الجمعية الذي يعد أيضا سلاحا فعالا لمحاربة الغـزو الثقافي الغربي ، اللقاءات الأسبوعية للنساء في بيوتهن بالمناوبة،

أي كـــل أسبوع في بيت من بيوت الأعضاء، وتشرف على هذا البرنامج السيدة فتيحة بنت الشيخ أبو بكر، وهي بنت المؤسسة أيضا .

والهـــدف مـــن هـــذه اللقاءات ختم القرآن الكريم ، ويتخلله إثراء المجلـــس بـــالوعظ والإرشــاد ، ومناقشة القضايا المعاصرة التي تمس الإســـلام والمسلمين ، والبحث عن حلول المشاكل المستجدة وعن طرق تطوير الجمعية ونشاطاتها .

وهـــذه اللقـــاءات لها بالغ الأهمية في الدعوة إلى الله ، لمن جاور مكان اللقاء ولغيره ، ولإظهار محاسن الإسلام ، ولملء الفراغ بالأعمال الخـــيرية ، ولترسيخ العقيدة الإسلامية وتثبيتها في النفوس ، فيفشل كيد المروجيـــن للـــثقافة الغربية الفرنسية ، التي أضرت بالمجتمع النيجري وغـــيره ، ولأن المـــرء يتأثر بما يلازمه دائما ، فما دامت هذه اللقاءات قائمـــة ، يظـــل القـــرآن الكريم واللغة العربية والقيم الإسلامية ثابتة في القلوب .

أقـــول : جـــزى الله السـيدة أم الخـــير خير الجزاء ، في هذا المشروع الإسلامي الخالد التالد إن شاء الله ، ووفقها لمزيد من العطاء في الحقل الدعوى وفي مجال محاربة الغزو الفكري الغربي خاصة ، وفتح لها فتحا مبينا وأطال بقاءها (آميـــن) .[180]

4 ـــ وفاة الشيخ إبراهيم نياس

لبى الشيخ نداء ربه فانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم 15رجب 1395 هـــ ،الموافق ليوم 22 /7 / 1975م في لندن ، بعد حياة حافلة بالعطاء الفكـــري والعلمـــي ، والدعـــوة إلـــى الله والإرشـــاد والتربية والكفاح الإصلاحي.[181] وآخر ما وصى به أولاده وجميع تلامذته ، تقوى الله في

---

180 - انظر : الملحق رقم 19 .

181 - انظر : ترجمة شيخ الإسلام ، أ. محمد سالم الموريتاني ، ورقة : 50 ، مخطوط ، نسخ محمد الأمين طاهر انجاي ، مكتبة الشيخ محمد الأمين ، مدينة ، السنغال، بتصرف .

السر والعلن ، وصلة الرحم ، والمحافظة على الورد التجاني لأنه كنز الأحياء والأموات ... [182]

ولئن فارق الشيخ الحياة بجسمه ، إلا أنه معنويا موجود ــ كما أرى ــ لأنه خلف آثارا علمية غنية وخالدة ، وأولادا بررة وتلامذة أجلاء الذين هم أعلام ونجوم يُهتدى بهم في مختلف أرجاء المعمورة ، وهم الذين يتابعون الدعوة إلى الله كما ورثوها عنه ، لذلك يتزايد عدد تلامذته دائما ويدخل الإسلام كثير من المسيحيين والملحدين والوثنيين على أيديهم.[183]

---

182 - انظر: زيادة الجواهر ، أبي العباس أحمد أبي الفتح ، ص : 42 ، ط1 ، 1990 ، د- ب م ن ، بتصرف .

183 - شاهدت كثيرا من المعلنين إسلامهم في مسجده في السنغال ، وفي بعض زوايا تلامذ ته ، وكانوا من قبل مسيحيين او وثنيين ، وذلك أثناء مكثي في مدينته للدراسة الميدانية عن هذه الرسالة .

الباب الثاني

منهج الشيخ إبراهيم في التصوف.

* الفصل الأول: مفهوم التصوف ونشأته وتطوره وموقف العلماء منه.
* الفصل الثاني : منهج الشيخ إبراهيم نياس في بناء الفكر التجاني.
* الفصل الثالث: التجديد في الطريقة والفكر.

الفصل الأول

مفهوم التصوف ونشأته وموقف العلماء منه

مدخل :

إن مسألة التصوف قام حولها جدل كبيرعبر العصورفي الفكر الإسلامي، فكان لها في كل عصر ما ، بين مؤيد ومنكر، ومناصر ومعارض، ومتعصب ومتحامل، والكل متعصب لرأيه .

وعن هذا التساؤل يقول الدكتوز عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر، جوابا ما نصه:" إن أمر التصوف في الواقع ليس أمر جدل أو أخذ ورد، وإنما هو تعرف، والتصوف تجربة، والتجربة شعور، والشعور ليس منطقا ولا برهانا إنما هو تعرف، وقديما قالوا: من ذاق عرف، وبالتالي فإن من لم يذق لم يعرف". (184) .

هذا، وإن بعض المستشرقين والمستغربين الذين يخوضون في الإسلام بعامة والتصوف بخاصة ، يلوكون بكثير من الادعاءات التي لا نصيب لها من الصحة ، ويطعنون في التصوف الإسلامي وحقيقته ، دون التمييز بين الحسن والقبيح . ويبدأ طعنهم في أصل الكلمة ، ويحاولون أن يربطوا هذا اللفظ بمذاهب فلسفية قديمة شرقية كانت أو يونانية ، كما أنهم يركزون من ناحية أخرى على مفهوم التصوف في الإسلام ومفهومه في الديانات الأخرى القديمة لير بطوابين مضامينه وأشكاله المختلفة في نسيج واحد ، حتى ينتهوا إلى الزعم بأن التصوف الإسلامي امتداد وامتزاج بأنواع أخرى من التصوف ، وأنه ليس له استقلال ذاتي ، بهدف أن يبلبلوا الاعتقاد بالتصوف الإسلامي دون التفريق بين التصوف السني وما هو خارج عنه، وسيتضح لنا الفرق بين الأمرين من خلال هذه الدراسة .

---

184 - انظر : التصوف بين الإفراط والتفريط، عمر عبد الله كامل، ص:9، ط1، دار ابن حزم ، بيروت ، 2001م، بتصرف .

المبحث الأول

مفهوم التصوف ونشأته وتطوره

أولا : مفهوم التصوف لغة واصطلاحا

اخـــتلف العلمـــاء في اشتقاق التصوف، فمنهم من قال : " "إنه من الصـــوفة لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة لاستسلامه لله تعالى" (185).ومنهم من قال : " إنه من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحاسن، وترك الأوصاف المذمومة " (186) ومنهم من قال من الصفاء حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وظنه البعض مشتقا من الصوف
ولســت أمنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سمى الصوفي

(187) ومـــنهم مـــن قال "إنه منسوب إلى أهل الصفة بمسجد رسول الله صـــلى الله علـــيه وسلم" (188) ؛ وأهل الصفة هم الرعيل الأول من رجال التصوف ، إنما كان هؤلاء يقيمون بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يكن لهم بيوت يأوون إليها لفقرهم، ومع ذلك فقد كانوا في النهار يسعون لطلب العمل وكسب القوت وكانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية المتتابعة.

وقيل: "من الصّف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله وتسابقهم في سائر الطاعات" (189) .

ومـــنهم مـــن قـــال : "إن التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن لأن الصوفية كانوا يؤثرون لبسه للتقشف والإخشيشان"(190) .

185 – إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ابن عجيبة ، ص :4، مطبعة الجمالية ، 1331هـ ، د- ب .

186 – المصدر نفسه ، ص : 4 .

187 – المصدر نفسه ، ص : 4 .

188 – الرسالة القشرية، الإمام القشيري، تحقيق هاني الحاج، ص:385، د- ب م ن .

189 – الرسالة القشيرية، الإمام القشيري،المصدر السابق ، ص: 385

190 – المصدر نفسه ، ص: 385 .

وإني أرى أن الأهمية ليست في الكلمة وإنما في الحقيقة والأساس والعمل ، فكون كلمة التصوف وإن لم ترد في صدر الإسلام لا يجعلنا ننكر التصوف، لأن كثيرا من المصطلحات محدثة بعد زمان الصحابة واستعملت ولم تنكَر ، كالنحو والفقه والمنطق والبلاغة ... فالتصوف المقصود هو تزكية النفوس وصفاء القلوب وإصلاح الأخلاق، والوصول إلى مرتبة الإحسان. ولكل الحرية في أن يسميه كيفما شاء، كأن يقول مثلا الجانب الروحي في الإسلام أو الجانب الإحساني أو الجانب الأخلاقي أو أن يسميه بكل ما يتفق مع حقيقته وجوهره،إلا أن علماء الأمة قد توارثوا اسم التصوف وحقيقته عن أسلافهم من المرشدين منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، فصار عرفا فيهم (191).

واصطلاحا : فقد عرف التصوف بتعريفات كثيرة تبلغ نحو الألفين، سأذكر أربعة منها:

1 ـ يقول الإمام الجنيد رحمه الله (ت297 هـ) :" التصوف استعمال كل خُلُق سني ،وترك كل خلق دني " (192)

2 ـ وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله (ت656 هـ): " التصوف تدريب النفس على العبودية ، وردها لأحكام الربوبية "(193)

3 ـ وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله (ت899 هـ):"التصوف علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه "(194)

4 - وقال آخر:

ليس التصوف لبس الثوب ترقعه ... ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا

---

191 - حقائق عن التصوف ، عبد القادر عيسى، ص: 21،ط11، دار العرفان ، سورية ، 2001م.

192 - النصرة النبوية، الشيخ مصطفى المدني، ص:22، مطبعة العامرية ، مصر، 1316هـ .

193 - نور التحقيق ، حامد صقر ، ص:93، مطبعة دار التأليف، مصر، 1369هـ .

194 - قواعد التصوف، أحمد زروق ،قاعدة 13،ص:6 ،مطبعة مصر، 1318هـ .

بل التصوف أن تصـــفوا بلا كدر وتتــبع الحــق والقرآن والدينا(195)

مــن خلال هذه التعريفات نفهم أن التصوف النقي هو تزكية النفس وإخلاص العبودية لله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وفقا لما جاء في السـنة النـبوية المطهـرة . ولا يعني بالمظاهر ولا ببعض التصرفات كالـرقص والـبكاء والصياح والتظاهر بلبس الثوب المرقع وغير ذلك . فالغاية منه هي الوصول إلى الله سبحانه وتعالى وتطهير الباطن .

ثانيا: نشأة التصوف

رُوِي أن فــي وقت الحسن البصري(ت. 110هـ) رحمه الله كان يُعرَف اسم التصوف ، فكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صــلى الله علــيه وسلم . وقد رُوي عنه أنه قال: رأيت صوفيا في الطــواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه ،وقال :"معي أربعة دوانق فيكفيني ما معي(196) وقيل " أن أول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى سـنة خمسين ومائة (197) وروي عن سفيان الثوري رحمه الله (ت161) أنه قال : " لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء " (198) .

وذكــر ابــن خلدون (ت808هـ) في مقدمته" أن أصل طريقة أهل التصــوف لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهــم طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلــى الله تعــالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق ، والخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، ثم اختص المقبلون على

195 – كاشف الألباس ، إبراهيم نياس ، ص:40، الشرولية للطباعة ، 2001م لم يذكر مكان الطباعة.

196 – اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، أبو نصّر الطوسي ، ضبط كامل مصطفى، ص:25، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421هـ – 2001 م .

197 – الانتصار لطريق الصوفية ، أحمد صديق الغماري ، ص:17-18، مطبع دار التأليف، مصر ، د- ت .

198 ـــ اللمع ، المصدر السابق ، ص: 25.

العبادة باسم الصوفية ، لما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده "(199).

يتبين لنا مما سبق ، أن التصوف ليس أمرا مستحدثا جديدا ، ولكنه مأخوذ من سيرة رسول صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه الكرام، وأن الصحابة تكفيهم صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمته ، إذ لا فضيلة فوقها ، فقيل لهم الصحابة ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس – ممن لهم شدة عناية بأمر الدين – الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدعة ، وحصل التداعي بين الفرق ، فكل فريق ادعى أن فيهم زهادا انفرد أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة .(200)

ثالثاً : مراحل تطور التصوف

لو صور لنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ما كان يجول بخلده قبل الرسالة، لرأينا حياة روحية خصبة : فيها التأمل الروحي العميق ، وفيها خضوع المادة للروح ، وانهزامها أمامها ، بسبب تلك الإرادة التي لم تفارق الرسول صلى الله عليه وسلم ، في أشد لحظاته حرجاً .

تلك الناحية الروحية لمحمد صلى الله عليه وسلم ، والتي تشتد فتسيطر عليه سيطرة كلية وجزئية فتجعله يهرب من العالم ، من تلك الحياة الدنيا التي ليست إلا زينة ولعباً وتفاخراً وتكاثراً بالأموال والأولاد، يفرمنها ويعتز لها ويذهب إلي غار حراء متأملاً متفكراً، تلك الحياة التي

---

199 – مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ص:329، مطبعة البهية ، مصر ، د– ت .

200 – انظر : كشف الظنون ، حاجي خليفة ، ج1 ، ص:414 .

هذا شأنها ليست إلا أخذا في طريق التصوف ولكنه تصوف لم تصقله ــ بعــد ــ الرســالة فتصــل به إلى أسمى مراتبه، وما دام التصوف يعني الجهاد لرضى الله ،وتزكية النفس حتى تعرف الله، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أول صوفي في الإسلام .(201)

هــذا والمرحلة الأولى في نشأة التصوف هي التي تسمى بمرحلة الــزهد ، وهي واقعة في القرنين الأول والثاني الهجريين، فقد كان هناك أفراد من المسلمين أقبلوا على العبادة بأدعية وقربات، وكانت لهم طريقة زهديه في الحياة تتصل بالمأكل والملبس والمسكن، وقد أرادوا العمل من أجــل الآخــرة، فآثــروا لأنفســهم هناك هذا النوع من الحياة والسلوك. ويضرب المثل بالحسن البصري (202) ورابعة العدوية (ت185هــ)(203).

ومــنذ القــرن الثالث الهجري نجد الصوفية وقد عنوا بالكلام في دقــائق أحــوال النفس والسلوك وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وعملهــم ، فصــار التصــوف في أيديهم علماً للأخلاق الدينية ،وكانت مباحــثهم الأخلاقية تدفعهم إلي التعمق في دراسة النفس الإنسانية ودقائق أحــوال ســلوكها وكانــت تقودهم أحياناً إلى الكلام في المعرفة الذوقية وأداتها ومنهجها، ونشأ في ذلك كله علم للصوفية يتميز عن علم الفقه من ناحــية الموضوع والمنهج والغاية، له لغته الاصطلاحية الخاصة التي لا يشارك الصوفية فيها غيرهم ، ويحتاج فهم مراميها إلي جهد غير قليل . وقد ظهر هذا العلم بعد ظهور التدوين كما يشير إليه ابن خلدون قائلاً : " فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال هذه الطريقة (أي الصوفية) في طريقتهم فمنهم

201- انظر :المنقذ من الضلال ، مع أبحاث في التصوف ،،د. عبد الحليم محمود ، ص212ــ 213 ط 6 ،دار النصر للطباعة ، القاهرة 1388هــ ــ 1968م ، بتصرف.

202- انظر أعلام الصوفية ، أ.د.جودة محمد ، ص: 32 ــ43 ، ط1 ، دار غريب، القاهرة ، 1418 هــ ــ 1998م ، بتصرف

203 - انظر التصوف بين الإفراط والتفريط ، المرجع السابق ، ص: 63 ، بتصرف .

من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك، كما فعلـــه القشـــيري في الرسالة والسهروردي البغدادي في كتابه عوارف المعارف فصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط" (204) .

ومـــن ناحية أخرى، نجد بعض شيوخ التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين كالجنيد (ت297هـ) (205) والسري السقطي (تـــ 251 هــــ) (206)والخراز (ت279) (207)وغيرهم يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم ، فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية في الإسلام التي كانت آنـــذاك بمـــثابة المدارس التي يتلقى السالكون فيها آداب التصوف علماً وعمـــلاً. ثم جاء الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري فلم يقبل من التصـــوف إلاما كـــان متمشياً تماماً مع الكتاب والسنة رامياً إلي الزهد والتقشـــف وتهذيب النفس وإصلاح أخلاقها. وقد تعمق الغزالي (ت 505 هـــــ) الكـــلام في المعرفة الصوفية على نحو لم يسبق إليه، وحمل على مذاهـــب الفلاســـفة والمعتزلة والباطنية ، وانتهى به الأمر إلي إرساء قواعـــد نـــوع مـــن التصـــوف الذي يساير مذهب أهل السنة والجماعة الكلامي.

ولقـــد رد على من أنكر الصوفية وتهجم عليهم بقوله: "وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها ـــ وهي أول شروطها ـــ تطهير القلـــب بالكلـــية عمـــا سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله " . (208)

---

204 مقدمة ابن خلدون المرجع السابق ص :329 .

205 انظر : أعلام الصوفية ، ص: 263 ، المرجع السابق ، ص :325 وما بعدها .

206 - انظر : المرجع نفسه ص: 263 وما بعدها.

207المرجع نفسه ص: 301 وما بعدها .

208 – المنقذ من الضلال الغزالي ص: 131 ، مطبعة صبيح وأولاده ، مصر، 1329هـ .

ومـــنذ القرن السادس الهجري أخذ نفوذ التصوف السني في العالم الإسلامي يزداد بتأثير عظم شخصية الغزالي وظهور صوفية كبار كونوا لأنفســـهم طـــرقاً لتربية المريدين منهم السيد أحمد الرفاعي (ت570هـ) والسيد عبد القادر الجيلاني ، (ت561 .هـ) ومن المعتقد أنهما متأثران بتصوف الغزالي .

ثم ظهر في القرن السابع الهجري شيوخ آخرون ساروا على نفس الطـــريق أبـــرزهم أبو الحسن الشاذلي(ت 656هـ)وتلميذه أبو العباس المرســـي (ت 686هـ) وتلميذهما ابن عطاء الله السكندري(ت709هـ) وهم أركان المدرسة الشاذلية في التصوف ويعتبر تصوفهم أيضاً امتدادا لتصوف الغزالي السني .

ومـــنذ القـــرن الثامن الهجري ، أصاب التصوفَ شيءٌ من التدهور، ولعـــل ذلـــك يرجع إلي حالة العالم الإسلامي في عصوره المتأخرة من ركود فكري إبان عصر العثمانيين .

وعلـــى كل حال، فإن انحراف بعض الصوفية في بعض عصور التاريخ لا ينهض دليلاً على فساد دعوتهم .

وفي القرن الحادي عشر الهجري ظهر الشيخ أحمد التجاني(1230 هـــ) مؤســـس الطريقة التجانية والذي أعلن قولته المشهورة : " وإذا ســـمعتم عنـــي شـــيئاً فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه " فطريقته مؤسسة على الكتاب والسنة .

ثـــم جـــاء الشيخ إبراهيم نياس سائرا على نهجه، مجددا لطريقته. وســـاهم فـــي إحـــياء التصوف الإسلامي وانطلق به من الانغلاق إلي الانفـــتاح ومـــن العـــزلة إلى مخالطة عباد الله ومن الجمود إلي الحركة والمشـــاركة في بناء المجتمع وتعزيز وحدة الأمة الإسلامية واسترجاع قوتها وسؤددها وصلاحها .

المبحث الثاني

موقف العلماء من التصوف

أولاً موقف علماء المسلمين

تباينــت آراء علمـــاء المسلمين من التصوف بين مؤيد ومعارض ومعـــتدل : فـــالخوارج عارضوا التصوف ،" والشيعة بفروعها الإمامية والـــزيدية والغلاة ينكرون التصوف لأنه يميز طبقة يطلب منها الرضا، ويعـــترف لهـــا بالمعـــرفة والوصـــول إلي الله من غير توصل بالأئمة المعصـــومين من آل البيت ... ، والمعتزلة والظاهرية يستنكرون بعض تعبـــيرات الصـــوفية عـــن مواجـــيدهم بما يوحي بالتشبيه مثل (العشق الإلهـــي)،...وكثير من أهل السنة قبلوا اتجاه المعتدلين من الصوفية ..." (209) وفيما يلي آراء بعض الأئمة :

1- الإمام أبو حنيفة رحمه الله (ت 150هـــ)

قـــال أبـــو علي الدقاق رحمه الله :"أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاســـم النصر أبادي، وقال أبو القاسم :" أنا أخذتها من الشبلي، وهو من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكل منهم أثنى عليه وأقـــر بفضـــله ".(210) وروي أنـــه كان يصلي الصبح بوضوء العشاء ، أربعين سنة،ويختم القرآن كل ليلة ، ويديم الطواف بالكعبة تقرباً إلي الله، وفي النهار يجلس لإفادة المتعلمين (211).

فهو صوفي،عملياً ، وقد أقر بذلك ابن عابدين حيث يقول :"هو فارس هذا المـــيدان ،فإن مبنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس ، وقد

209- انظر:لمحات من التصوف وتاريخه ،السائح علي حسين، ص :42 ــ 43 ،ط2 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، 1994 م.

210 -انظر :حاشية ابن عابدين، ج1 ص:3 ،مطبعة بولاق ،مصر، 1323 هـــ .

211- انظر : أعلام الصوفية ، المرجع السابق ،ص:64-65 ، بتصرف.

وصفه بذلك عامة السلف ، فقال ابن حنبل- رحمه الله -في حقه :إنه كان مـن العلـم والـورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد ، ولقد ضُرب بالسياط لِيَـلِيَ القضاء فلم يفعل (212)

2- الإمام مالك -رحمه الله - (ت 179هـ)

يقـول :" من تفقه ولم يتصوف فقد تفسّق ،ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق ". (213)

فالتصوف عنده ضروري لكل مسلم ،لكن ليس التصوف الفلسفي الانحرافـي ، بل التصوف السني النقيّ القائم علي أسس شرعية ، الذي يعيـن المسلم علي تصفية قلبه وتزكية نفسه ،وأداء ما عليه من الحقوق والواجبات التي فرضها الله عليه ،بإخلاص وإتقان حتى يلقى ربه فيكون من المقربين الفائزين بالجنة والرضوان من الله .

أمـا التصوف بلا علم ولا عمل فهو زندقة عنده ،لا يفيد صاحبه بل يضره ، ولذلك يجب علي الصوفيين أن يتعلموا العلوم الشرعية علي الأقل ثم يعملوا بما علموا ، وبذلك يكون تصوفهم ترقية لهم .

3- الإمام الشافعي -رحمه الله - (ت 204هـ)

يقول :" صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين، وفي رواية سوى ثلاثة كلمات :

قولهم : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك .

وقولهم : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

وقولهم : العدم عصمة ." (214)

212- انظر:حاشية ابن عابدين ،المصدر السابق ج1 ص:43 .وانظر :الطبقات الكبرى للشعراني ،ج 1 ص:92-93، المكتبة التوفيقية ،د- ب م ن

213 - حاشية العلامة علي العدوي على شرح الإمام الزرقاني على متن العزية في الفقه المالكي ،ج3 ، ص : 195 ، المطبعة الشرقية، مصر ، 1299 هـ .

214-تأييد الحقيقة العلية ، جلال الدين السيوطي ، ص:15، المطبعة الإسلامية ، مصر ،1352هـ .

وروي قوله :" من أحب أن يفتح الله عليه بنور القلب فعليه بالخلوة وقلـــة الأكل ،وترك مخالطة السفهاء ،وبغض أهل العلم الذين لا يريدون بعلمهم إلا الدنيا ".(215)

فالـــنص الأول يدل علي صحبة الإمام الشافعي للصوفية واستفادته منهم بأن الوقت نفيس ، وعلي المسلم ألا يضيعه ، بل يصرفه إلى طلب مرضـــاة مولاه ، وإلي العمل بما ينفعه في دينه ودنياه ، وألا يتبع الهوى فيضلّه عن سبيل الله، وألا ينشغل بحطام الدنيا ، فالفقر مع الاستقامة خير للمسلم من المال بدون الاستقامة .

وفي النص الثاني نجد بعض معالم سلوك الصوفية وهي الخلوة ، وقلة الأكل ... فهو أيضاً مؤيد للصوفية المستقيمين ، وصوفي عملي.

4- الإمام أحمد –رحمه الله – (ت214 هـ)

كـــان الإمام –رحمه الله – قبل مصاحبته للصوفية يقول لولده عبد الله: "يـــا ولدي عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه ، فلما صحب أبا حمزة الـــبغدادي الصوفي ، وعرف أحوال القوم ،أصبح يقول لولده :" يا ولدي علـــيك بمجالسة هؤلاء القوم ،فإنهم زادوا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمّة".(216)

هذا يدل علي أنه كان ينكر الصوفية في البداية ، ولما تبينت له استقامتهم نتيجة صحبته معهم أصبح محبًا لهم ومعترفاً بفضلهم وتقواهم ، وقد تأثر بهـــم من حيث السلوك فقد كان " إذا جاع كسر اليابسة فنفضها من الغبار

215-أعلام الصوفية ، المصدر السابق ، ص:192 .

216- تنوير القلوب ،أمين الكردي ،ص:405، مطبعة السعادة ،مصر ،1358هـ.

ثـم صـبّ علـيها الماء في قصعة حتى تبتلّ ثم يأكلها بالملح ... وكان يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام علي تمر وسويق......"(217)

5- الإمام النووي –رحمه الله – (ت676هـ)

يقول في رسالته المقاصد : "أصول طريق التصوف خمسة :

1- تقوى الله في السر والعلانية

2- اتباع السنة في الأقوال والأفعال

3- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار

4- الرضا عن الله في القليل والكثير

5- الرجوع إلي الله في السراء والضراء ." (218)

فهو صوفي سني عارف بحقيقته وأصوله ،لذلك يفيدنا بهذه الأصول حتى يتمسك بها كل من هو سالك في التصوف فيستقيم علي منهج قويم سليم بعيد عن الانحراف والغلو .

6- الإمام أحمد بن تيمية–رحمه الله – (ت728هـ)

تحدث عن تمسك الصوفية بالكتاب والسنة، مبيناً أن المستقيمين من "السـالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهـم ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي، والسريّ السقطي ، والجنيد بن محمد ، وغيرهم من المتأخرين ، فهم لا يسوغون للسالك ولو طـار فـي الهواء ، أو مشى علي الماء ، أن يخرج عن الأمر والنهي الشـرعيين ،بل عليه أن يفعل المأمور،ويضع المحظور إلى أن يموت ، وهذا هو الحق الذي دلّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذا كثير في كلامهم".(219)

217- الطبقات الكبرى للشعراني ، المصدر السابق ، ج1 ص:94-95 . وانظر :تهذيب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء حافظ أبي نعيم الأصفهاني ، إعداد صالح أحمد الشامي ، ج3 ،ص:135-170 ،ط 1، المكتب الإسلامي ،بيروت ،1419هـ ، بتصرف .

218- مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوف ،ص:20، د- ب م ن .

219- مجموع فتاوى أحمد بن تيمية ، ج 10 ص: 516-517، مطابع الرياض ، السعودية ، 1382هـ.

يظهر من النص أن بن تيمية يتفق مع التصوف السني النقي الذي لم تشبه شائبة ، ولا خالطه الهوى ، ومع المستقيمين من مشايخ الصوفية الذيـــن وضعوا ميزان الشريعة نصب أعينهم ويطبقونها تطبيقا صحيحاً وسليما ، لكنه يعارض وينكر الغلاة والمنحرفين من الصوفية .

7_ الإمام جلال الدين السيوطي – رحمه الله – (ت911هـــ)

يقـــول :"إن التصـــوف في نفسه علم شريف ، وإن مداره علي اتباع السنة وترك البدع ، والتبريّ من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومـــرادها واختـــياراتها ، والتســـليم لله ، والرضى به وبقضائه، وطلب محبته، واحتقار ما سواه " (220)

يـــتجلى مـــن النص أن الإمام السيوطي صوفي عميق ، ومدافع عن التصـــوف الســـني ، وفي الوقت نفسه يرسم المنهج المثالي للسالكين في طـــريق القوم حتى لا يقعوا في محظور جهلاً بقواعده ، كما أنه يُخرج المنحرفين عن إطاره فهم لا يمثلون إلا أنفسهم .

8 ـــ الشيخ محمد عبده–رحمه الله – (ت1323هـــ)

يـــرد الإمـــام محمد عبده على الذين يقولون إن أقوى الأسباب لوقوع المسلمين في الجهل بدينهم وبعدهم عن التوحيد هو التصوف ، مبينا أنه لـــيس كذلـــك ، لأن التصوف ظهر في القرون الأولى للإسلام ، وكان له شأن عظيم، وكان المقصود منه تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس وترويضها بأعمـــال الدين وجذبها إليه وجعله وجدانا لها ، وتعريفها بحكمه وأسراره بالتدريج .(221)

في النص دلالة قطعية علي أن الإمام محمد عبده مدافع عن التصوف ومقاوم للطاعنين عليه بالحجج العقلية الواضحة .

220– تأييد الحقيقة العلية ، العلامة جلال الدين السيوطي ، ص:57، المطبعة الإسلامية ، مصر ، 1352هـــ .

221– انظر:مجلة المسلم ، العدد السادس ، ص:24 ،غرة المحرم مصر ،1378هـــ ، بتصرف .

9- الشيخ إبراهيم نياس ــ رحمه الــله ــ (ت 1975م)

قــال :الشــيخ فــي رســالة وجهها إلى بعض مريديه : " اعلموا أن التصوف معرفة وعبادة وزهادة ، ومن خلا من واحد من هذه فهو مدع هالك لا نجاة له، وكثير من الناس تصوفهم في ألسنتهم ومعبود هم الدنيا وشــهواتها ، فليتنــي لم أعرف أولئك ولا عرفوني إن لم يتداركهم الله بالتوبة" .(222).

إلــى غــير ذلــك مــن أقوال العلماء في التصوف . وإني أرى أن التصــوف بــالمفهوم الذي ذكره هؤلاء السادة العلماء ــ ضروري لكل مسلم ، لأنه روح الشريعة ، ولأن الله سبحان وتعالى أمرنا بالإخلاص في العبادة كما في قوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّيــنَ حُــنَفَاءَ وَيُقِــيمُوا الصَّــلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (223) والإخــلاص فــي العــبادة لا يمكــن إلا بتزكية النفس وتطهيرها من الأمــراض مثل الرياء والكبر والحسد وغير ذلك. ومسألة تزكية النفس هــي من تخصص الصوفيين ، فكما أن الفقهاء يعنون بالأحكام الشرعية مــن العــبادات والمعاملات وغيرها ، كذلك الصوفيين يهتمون بالقلوب كيف تقدم هذه العبادات لتكون خالصة وبالتالي تكون مقبولة عند الله .

ولا يغــرنا أو يوهمنا ، ما يقوم به المتصوفون أو أدعياء التصوف الذيــن يتقمصــون لــباس التصوف وهم بعيدون عنه كل البعد فنراهم يخالفون الشريعة ويرتكبون المحرمات ويعبدون الشهوات ، فهم هالكون لا نجاة لهم كما سبق في قول الشيخ إبراهيم .

لذلــك علينــا أن نمــيز بين الجيد والرديء إ ذ لكل صناعة جودة ورداءة ، ولكل قوم صالح وطالح ، فلا نحكم على الإسلام بالفساد لأجل

---

222 – حقيقة الطريقة التجانية إبراهيم صالح ، ص:32 ، د- ت .

223- البينة : 5

تصـــرفات بعض المسلمين ، كذلك لا نطعن على الصوفية بالفساد لأجل أدعياء التصوف فالحسن حسن والقبيح قبيح .

ثانياً : نظرة المستشرقين إلى التصوف

تشـــابهت وجهة نظر المستشرقين إلى التصوف في أنه دخيل على الإسلام،(224) وليس منه . ولقد وافقهم على هذا الرأي بعض العلماء من المســـلمين ، ومجمـــل القول أن التصوف في نظرهم متأثر بالبوذية(225) والمسيحية والغنوصية. (226).

أقـــول : إن كلام المستشرقين لا يؤخذ على علاته وخاصة ما يُعنى بالدِّراســـات الإسلامية ، لأن دراساتهم للثقافة الإسلامية غالباً ما تهدف إلـــى تحقيق غايات أخرى غير مجرد البحث العلمي الخالص ، ومن ثم فـــإن هذه الدراسات تركز على إبراز جوانب معينة، وقد تحمل جوانب أخـــرى ، حـــتى تصل إلى ما تريد الوصول إليه من غايات ، هي في الأغلـــب تـــتعارض مـــع مصـــالحنا وتـــتعمد طمس الجوانب المشرقة

224- انظر :الفرق الصوفية في الإسلام ، سبنسر ترمنجهام ، ترجمة وتعليق د . عبد القادر البحراوي ، ص:241 ، ط1 ، دار النهضة ، بيروت ،د- ت ، بتصرف . وانظر : التصوف الإسلامي وتاريخه ، نيكلسون، تحقيق أبو العلا العفيفي، ص5 ،د- ت ، بتصرف . وانظر: لمحات من التصوف وتاريخه ، المرجع السابق ، ص:144 — 145، بتصرف .

225 –البوذية ديانة تبشر بالخلاص من الألم عن طريق ترك الرغبة وتحقيق التنوير الأعلى الذى يعرف باسم النرفانا . وقد نشأت في الهند في القرن السادس قبل الميلاد وهي واسعة الانتشار في الأزمنة الحديثة في اليابان والصين ونيبال وبورما وغيرها من البلاد حيث يوجد لها نحو 500 مليون معتنقاً ، ففي الفترة التي كان فيهاالمشاعي البدائي ينهار وتظهر الدول الطبقية ، عبر مؤسسها وهو بوذا ، عن احتجاج عامة الشعب على الديانة البراهمية بسبب فوارقها القبلية المقدسة وطقوسها المعقدة في عبادة الآلهة والتضحية لها ، وسعى إلى التحرر من الألم عن طريق التغيير الاجتماعي وعن طريق الكمال الأخلاقي الذي يمكن بلوغه بالانسحاب من الحياة وانغماس المرء في النيرفانا. وقد أنكر بوذا وجود الله ، بل أُتخذ بوذا هو الله في القرون الأولى بعد الميلاد . ومن أفكارهم تناسخ الأرواح . انظر : الموسوعة الفلسفية ، لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين ، ترجمةسمير كرم ، ص: 92 ، ط 6 ، دار الطباعة ، بيروت ، 1987 م ، بتصرف.

226- الغنوصية أتباع مدرسة دينية فلسفية في القرون الأولى من المسيحية ، كانوا يؤمنون بصلة أولى روحية لا يمكن إدراكها ، تتبدى في الفيض وتتعارض مع العلم المادي الذي هو مصدر الشر . وكان الزعيمان الغنوصيان المسيحيان هما " فالنتينوس " المصري و" باسيليدس " السوري في القرن الثاني الميلادي . انظر : المصدر نفسه ، ص: 321 .

لحضـــارتنا الإسلامية العريقة ، فهم درسوا كتب السادة الصوفية وكتبوا عـــنهم المؤلفـــات لأجـــل التحريف والتزوير والدس، يقصدون بذلك أن يطعـــنوا الإسلام في صميمه وأن يسلخوا روح الدين عن جسده ، أليس الله عـــز وجـــل قـــال فـــي كتابه العزيز:(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَـــارَى حَـــتَّى تَتَّـــبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُـــمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) (227) وقـــال: (هُـــوَ الَّـــذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْـــتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُـــونَ آمَـــنَّا بِـــهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ). (228) فواجـــب ـــ إذاً ـــ علينـــا أن نأخذ بالحذر من كل ما يصدر من هؤلاء المستشـــرقين، فنأخذ ما يوافق التعاليم الإسلامية ونرفض ما هو خارج عنها، فقولهم إن التصوف دخيل على الإسلام مرفوض .

ثالثا : الدسّ علي الصوفية

إن أعداء الإسلام من الزنادقة المستشرقين وعملائهم الذين صنعتهم الصـــليبية الماكـــرة والاستعمار البغيض ، لطعن الإسلام ودك حصونه وتشويه معالمه، وبثّ سموم الفرقة والخصام بين صفوف أبنائه ، عكفوا علـــي دراســـة الإســـلام دراسة دقيقة مستفيضة ،كي يعرفوا سرّ قوته ، ولـــيعلموا من أيّ باب يلجون ، وفي أيّ طريق يسَيرون ، للوصول إلى أهدافهـــم الماكـــرة ، ومـــآربهم الخبيثة ، ومن أشهر كتّابهم : نيكلسون الإنجلـــيزي ، وجولد زيهر اليهودي ، وماسينيون الفرنسي ، وغيرهم . فتارة يدسون السم في الدسم ويمدحون الإسلام في بعض كتبهم كي ينالوا

227: البقرة 120

228: آل عمران 7

ثقـــة القـــارئ ، فإذا اطمأن إليهم وركن إلى أقوالهم شككوه في عقائده ، وحشوا قلبه بأباطيل ألصقوها بالإسلام زوراً وبهتاناً .

وتـــارة ينـــتحلون صفة الباحث العلمي المتجرد ، أو يلبسون ثوب الغـــيور علـــي الديـــن المتباكي علي تراثه ، فيشنون حملة شعواء علي التصوف وقد عرفوا أنه روح الإسلام وقلبه النابض ، فيدعون أنه مقتبس مـــن الـــيهودية والنصرانية أو البوذية -كما مرّ بنا - ويتهمون رجاله بعقائد مكفرة وأفكار منحرفة ضالة .

وكـــان الإســـلام منذ نشأته عرضة لهؤلاء الأعداء الألداء الذين حاولوا إطفـــاء نوره ، عن طريق التشويه ،ودسّ الأباطيل والخرافات في علومه ومنها التصوف .

ففـــي التفسير وضعوا الإسرائيليات ، وفي الحديث دسّوا الأحاديث الموضوعة ، وفي التاريخ حاولوا تشويه سيرة الخلفاء وملوك الإسلام .

وأمـــا التصوف فكغيره من العلوم الدينية فلم يسلم من الدسّ والتحريف ، مـــن هـــؤلاء المغرضـــين الدخلاء والمفترين: فمنهم من أدخل في كتب الصـــوفية أفكاراً منحرفة ، وعبارات سيئة ما أنزل الله بها من سلطان. ومنهم من أراد أن يفسد دين المسلمين بأشياء أُخر تمسّ عقائدهم ، فنسب إلي بعض رجال الصوفية أقوالاً تخالف عقيدة أهل السنة .(229)

وسأعطي ثلاثة أمثلة كشواهد :

1- الدسّ علي الإمام أحمد -رحمه الله : دسّ الـــزنادقة تحـــت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته ، عقائد زائغة ، ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد ،لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته .(230)

229-انظر: حقائق عن التصوف ، المرجع السابق ، ص:398 وما بعدها ، وص:451 وما بعدها ، بتصرف . وانظر : أعلام الصوفية ، المرجع السابق ، ص: 471 . وانظر : علماء تزكية النفس ، الشيخ محمد الحافظ ،ص:6 ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، د- ت، بتصرف .

230- انظر : أعلام الصوفية ، المرجع السابق ، ص: 17 .

2- الدسّ علي الشيخ محيّ الدين ابن عربي –رحمه الله – : ابتلي ابن عربي – رحمه الله – (ت 638 هـ)بالدسّ في تراثه ونسبة بعض العقائد الزائغة التي تخالف عقيدة أهل السنة إليه.وقد قال– رحمه الله– : " كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك .... " وقال أيضاً في التوحيد : " اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحلّ فيه شيء ، أو يحل هو في شيء ..." (231)

وذكر عبد الوهاب الشعراني(ت 973 هـ)هذه الحقيقة في كتابه "اليواقيت والجواهر " وملخص قوله : أنه حصل علي نسخة الفتوحات المكية لابن عربي بخط المؤلف فقارنها بالتي عنده فوجد في النسخة الموجودة عنده أقوالاً مدسوسة على ابن عربي هو برئ عنها ولم يقلها.(232)

3- الدسّ علي رابعة العدوية – رحمها الله – : دسّ علي رابعة العدوية –رحمها الله – ، قولها عن الكعبة : "هذا الصنم المعبود في الأرض " ، وقد كذب ابن تيمية نسبة هذا القول إليها مبينا أنه مدسوس ومكذوب عليها في قوله : " وأما ما ذكر عن رابعة من قولها عن البيت: إنه الصنم المعبود في الأرض ، فهو كذب علي رابعة المؤمنة التقية ، ولو قال هذا من قال لكان كافراً يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، وهو كذب، فإن البيت لا يعبده المسلمون ، ولكنهم يعبدون رب البيت بالطواف به ..." (233)

مما سبق يتبين لنا أن أعداء الإسلام يسعون دائماً إلي تشويه صورته بشتى الوسائل ، منها الدسّ علي كتب المسلمين ما ليس منها ، وهم يسعون دائما وراء المتشابهات ليشككوا المسلمين في أمر دينهم،

---

231 الفتوحات المكية ، ابن عربي ،ج1 ، ص:80 ،مطبعة الميمنية ، مصر ،1329 هـ .

232- انظر:اليواقيت والجواهر ، الإمام الشعراني ،ج1 ص9 ، المطبعة الأزهرية ، مصر 1305هـ، بتصرف .

233- مجموعة الرسائل والمسائل ، ابن تيمية ج1 ص :80-81 ، مطبعة العامرة الشرقية ، مصر ، 1323 هـ .

ولقـــد فضـــحهم الله في كتابه العزيز حيث يقول :(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهـــم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكـــر إلا أولـــو الألباب).(234) ويقول جل شأنه في آية أخرى:(يا أيها الذيـــن آمـــنوا إن جـــاءكم فاســـق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين) .(235)

وانطلاقـــاً من هذه الآية الأخيرة ، أرى أن لا نتسرع في الحكم علي المســـلم وعلي صوفي بوجه خاص حتى نتتبع سيرته أولاً، ونعرف هل هو مستقيم أو غير مستقيم ، ثم نقابله إن أمكن وإلا نقابل المنتسبين إليه مـــن التلامـــيذ وغـــيرهم لنتثبت ما هو موجود في كتابه ، فإذا كان هو الكاتب نسأله ماذا يقصد بكلامه هذا لنتوصل أخيراً إلى الحكم له أوعليه.

ولـــنجعل فـــي عيـــن الاعتبار أن لكل فن مصطلحاته ولا يفهم هذه المصـــطلحات إلا المتخصص ؛ فقول البلاغي صافحت بحراً ، غريب لمن لم يتخصص في البلاغة لأن كلمة البحر استعملت مجازاً فهو يعني أنـــه صافح رجلاً كريماً جواداً. وكذلك الصوفيون لهم مصطلحاتهم ولا يفهمها إلا من كان معهم .

رابعاً : أدعياء التصوف

تقمـــص قـــوم زيّ التصـــوف وانتسبوا له فأساءوا إليه بأقوالهم وســـيرتهم؛ والتصـــوف مـــنهم براء ، لذلك يلزمنا أن نفرق بين أدعياء التصـــوف المنحرفيـــن وبيـــن الســـادة الصوفية الصادقين العارفين ، وخصوصـــاً الأئمـــة مـــنهم الذيـــن كانت لهم درجات عليا في الإيمان

234- آل عمران : 7

235- الحجرات : 6

والتقوى والورع ، وآثار كبرى في نشر الأخلاق والدين والدعوة إلى الله تعالى في سائر العصور والبلدان .

ورحم الله زروق حيث يقول : " فغلاة المتصوفة كأهل الأهواء من الأصوليين ، وكالمطعون عليهم من المتفقهين ، يُرد قولهم ، و يجتنب فعلهم ، ولا يترك المذهب الحق الثابت بنسبتهم له وظهورهم فيه "(236)

ومظاهر هؤلاء المدعين للتصوف كثيرة وحالاتهم متعددة : فمنهم من يترك الواجبات كالصلوات وغيرها ويدعي أنها سقطت عنه لأنه وصل إلى الحقيقة! ومنهم من يرتكب المحرمات ويتعدّى حدود الله ! ومنهم من يتكبر على بني جنسه ويتظاهر على أ نه أ فضل منهم لما خصه الله به من كرامات ! ومنهم من يذم العلم ويرى أنه للعامة ! ومنهم من تصدر منه خرافات وأقاويل بعيدة عن الدين .... إلى غير ذلك. وماذا قال العلماء في شأن هؤلاء المنحرفين ؟:

يقول سهل التستري رحمه الله:" أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق " (237)

ومن جملة توجيه أبي يزيد رحمه الله :" عشرة أشياء فريضة على البدن: أداء الفرائض واجتناب المحارم، والتواضع لله، وكف الأذى عن الإخوان ،والنصيحة للبار والفاجر ، وطلب مرضاة الله في جميع أموره ، وطلب المغفرة ، وترك الغضب ، والكبر والبغي والمجادلة من ظهور الجفاء، وأن يكون وصي نفسه يتهيأ للموت ".(238)

236- قواعد التصوف ، أحمد زروق ، قاعدة 35 ، ص:13 ، د- ب م ن .

237 طبقات الصوفية ،السلمي، ص: 210، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر،1372م .

238 - شطحات الصوفية ، عبد الرحمن البدوي،ص: 96، د- ب م ن .

وعبد الوهاب الشعراني-رحمه الله يقول :"إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر، فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون " (239)

وعــن هؤلاء المنحرفين يقول الشيخ إبراهيم نياس قولته المشهورة : "أمــا من ينتسب إلينا ويرتكب شيئا من مخالفة الشريعة المطهرة باقتحام المحــرمات وترك المأمورات فأشهد الله وأشهدكم أني بريء منه .اللهم إني بريء إليك مما صنع هؤلاء " (240)

اســتناداً إلــى تلــك الشــواهد ، أقول ، إذا كان ما يدعيه أدعياء التصوف من مخالفة الشريعة نتيجة جهلهم بطريق القوم ، فأقوال العلماء تــنور لهم الطريق لإصلاح أخطائهم ، وعليهم إذن بالتسلح بعلم الشريعة وامتــثال أوامــرها، لأن التصوف علم وعمل ، وتطبيق للشريعة الغراء بأحســن وجــه، ولــيس التصوف يهدف إلى أن ينال الإنسان الكرامات وخوارق العادات ليعرضها علي الناس ويتفاخر بها ، وإن حدثت لصوفي إنما تأتي عفوياً وهذا يأتي غالباً تأييداً من الله لعبده الصالح .

والهدف الأسمى من التصوف هو : معرفة الله حق معرفته ، ونيل رضاه ، وإخلاص العبودية له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، أما عن الذين يسعون إلى تشويه التصوف السني النقي بتقمصهم لباسه ومخالفة أصوله فأمرهم مكشوف وهم لا يمثلون إلا أنفسهم .

إن الخير والشر موجودان في كل طائفة من الناس إلى يوم القيامة، فلــيس كل الصوفية سواء ، كما أنه ليس كل العلماء والفقهاء والمدرسين والقضــاة والــتجار والأمراء سواء ، إذ فيهم الصالح والأصلح ، وفيهم الفاســد والأفسد ، وهذا أمر ظاهر لا شبهة فيه عند الجمهور . وأنا أنكر

---

239 – لطائف المنن والأخلاق ، الشعراني ، ج1 ص: 2 ، المطبعة الميمنية ، مصر، 1321 هـ .

240 الرسالة بعنوان في مجذوب لم يسلك وسالك لم يجذب إبراهيم نياس،ورقة: 2 مخطوط ، انظر : الملحق رقم :20

مـــا أنكره العلماء علي هؤلاء الأدعياء من المتصوفة المنحرفين الشاذين - عـــن دين الله تعالى ، وأما المتمسكون بالكتاب والسنة المستقيمون على شرع الله تعالى فهم الأسوة والقدوة الذين يُقتدى بهم .

المبحث الثالث

التصوف ودوره في انتشار الإسلام في غرب إفريقيا

أولاً : نشأة التصوف وانتشاره في غرب إفريقيا

بدأت نشأة التصوف في غرب إفريقيا منذ القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي .

وكانـــت الطريقة القادرية أول طريقة صوفية دخلت هذه المنطقة علي يد الشـــيخ محمـــد بـــن عبد الكريم المغيلي ، (241) ثم الطريقة التجانية. التي جاءت في القرن الثاني عشرا لهجري ، التاسع عشر الميلادي ، (242) ثم ظهرت طرق أخرى فيما بعد وأخذت تنتشر في المنطقة .

ويُـــرجع بعض الباحثين سبب انتشار هذه الطريقة في غرب إفريقيا إلـــى عوامـــل كثيرة منها : الفراغ الروحي ، وفراغ الوقت ، وبساطة الحياة .

ولقـــد تعـــرض أحمـــد شلبي لهذه القضية حيث يقول : " تزدهر الطرق الصوفية وتنمو خلقات الذكر ، أوما يسمى "بالحضرة " في البيئات البسيطة، حيث يوجد المتصوفة ... " (243) .

فقـــد كانت البيئة الإفريقية آنذاك في طبيعتها وبساطتها ، لم تتأثر بالمؤثرات الخارجية من التيارات الفكرية التي تغزو العقول وتحولها عن طبيعتها وسذاجتها .

241- هو تلمساني ، مر بموريتانيا وهو في طريقه إلى نيجيريا ، حيث أخذ عنه بعض أعيان قبيلة "كنت" الطريقة القادرية ، ومن ثم بدأت تنتشر في غرب إفريقيا ، توفي سنة 909 هـــ - 1503 م .

242- انظر : المسلمون في السنغال ، عبد القادر محمد سيلا ، ص:139 ، ط 1 ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ،1406 هـــ ، بتصرف .

243- موسوعة التاريخ الإسلامي،أحمد شلبي، ج6 ، ص:207 ، ط 4 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1983 م

كما أن الإفريقي يجد كثيراً من الفراغ لعدم كثرة الانشغالات ، وأنه لـم يعتنق أي دين سماوي ، كل ذلك لعب دوراً فعالاً في دخوله الإسلام والتصوف .

أضـف إلـى ذلك عامل أخر هو ما يتميز به شيخ الطريقة من عدم الشـعور بالفوقانـية فكـان يعـيش في المجتمعات القبلية الإفريقية حياة متواضـعة حانـية، لا تمايـز فيها مما يدفع الأهالي إلي الالتفاف حوله والتماس دعواته وبركاته.

وكان الشيخ غالباً لا يعيش حياة عزلة بل يشارك مشاركة فعالة في بناء المجتمع الذي يعيش فيه (244)

وقد كان قادة الطرق الصوفية يمثلون القدوة الحسنة في معاملاتهم وتصرفاتهم مع الآخرين ، وهذا هو السر في نجاحهم وانتشار هذه الطرق في أفريقيا ، وبناء علي انتشارها أصبح وجودها ظاهرة سائدة في أنحاء القـارة الإفريقـية بيـن العوام والمتعلمين علي حد سواء ، ويكاد يكون الانتماء إلى الطريقة جزءًا من تدين الرجل ، والتبعية للشيخ أو المقدم من أهل الطريقة ، تعد صفة من صفات أيّ إفريقيّ مسلم ، إلى جانب صفته الرئيسية ؛ الإسلام .(245)

فمـن النادر أن تجد إفريقيا – أو أحد أبويه – لاينتمى إلى إحدى الطرق الصوفية التي عرفتها المنطقة .

ثانياً : دور الصوفية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا

للصـوفية دور كبـير فـي نشر الدعوة الإسلامية والوقوف أمام الحركات التنصيرية، والصهيونية العالمية في القارة الإفريقية .

244- المصدر نفسه ، ج6 ،ص 210 .

245- انظر : المد الإسلامي في إفريقيا ، محمد جلال عباس ،ص :75 ، المختار الإسلامي ، القاهرة ، 1987 م ، بتصرف .

وقد وجد بلدان لم يدخلها الإسلام بجيشه بل دخلها الدعاة الصوفية بأفكارهم، وحسن سلوكهم ، ومكارم أخلاقهم ... وقد كان عملهم الأساسي هو نشر العقيدة الإسلامية علي نطاق واسع ، حيث وجدوا أنفسهم أمام شعوب وقبائل لم تدخل الإسلام بعد ، وقبائل عرفته بالاسم فقط ، حيث تفشت بينهم البدع ، شأنهم في ذلك شأن الجاهلية الأولى .

وكانت ومازالت الزوايا والمرابط التي أسسها شيوخ الطرق الصوفية مراكز إشعاع للثقافة الإسلامية ونشر الإسلام بين الشعوب الوثنية في غرب القارة الإفريقية وشرقها ووسطها .(246)

وقد أبلي شيوخ الصوفية من العرب والبربر والأفارقة بلاء حسناً في نشر العقيدة الإسلامية بغرب إفريقيا حيث عمّ الإسلام في المنطقة بفضل شجاعة وتفاني هؤلاء الرجال المتواضعين من الشيوخ المخلصين الذين كانوا يسلكون أوعر المسالك ، حاملين الزاد والكتب .

لاحظ الأوربيون الذين كانوا يقومون بزيارة المنطقة في القرن الخامس عشر الميلادي حضور شيوخ من المغرب وتلمسان وموريتانيا في بلاد كل من ملك "كاجور وجو لوف وسين وسالوم. "(247)

وكانت الجالية الإسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي ذات شأن كبير في مختلف أقاليم السنغال ، فلاحظ أحد الرحالة الأوربيين سنة 1506 م ، أن ملك وأعيان إمارة "جو لوف " كانوا مسلمين ، ولديهم شيوخ بيض من أئمة ودعاة الإسلام ، وكانوا يعرفون القراءة والكتابة ، ويأتي هؤلاء الشيوخ من بلدان بعيدة من الداخل، ومن مملكة فاس والمغرب بهدف إدخال السود إلى عقيدتهم عن طريق الدعوة.(248)

246- انظر : تأريخ التصوف الإسلامي ،.عبد الرحمن بدوي ، ص :25 ، ط2 ،وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1978 م بتصرف.

247-كاجور وجولوف وسين وسالوم هي أسماء مناطق في السنغال .

248- la confrerie senegalaise des mourids , check tidjani sy ,p: 35.

وكـــان الشـــيوخ يقومون بالدعوة إلى الإسلام بدون قلق يأتيهم من طرف السلطات الرسمية ، علي الرغم من كون غالبية الأمراء لا يدينون بالإســـلام ، وكـــون المسلمين أقلية ، فإن الشيوخ يتمتعون بالاحترام ولم ينلهم سوء .

ولقد أشار "موللين" إلى هذه الحقيقة معللاً أن سبب نجاح الإسلام هـــو الحصـــانة التـــي تجعل شخص الداعية المسلم مقدساً عند الأمراء الوثنييـــن، مـــثل مـــا هو محترم لدى المسلمين ،مما يساعد على انتشار الإسلام عند هذه الشعوب .(249)

وكـــان للصوفيين جهود ملموسة ودور بارز في الجهاد والإصلاح الاجتماعـــي بمنطقة غرب إفريقيا ، ولهم نفوذ محسوس في إقامة الدول والممالك الإسلامية بها .

"فلـــو لم يكن التصوف رياضة روحية تمرن النفوس على الفناء في الله والســـمع والطاعـــة للرســـول صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يكن شيخ الطريقة مسموع القول ،.ولو لم يكن المريدون منظمين ومستعدين لتلقي الأوامـــر وتنفيذها على الفور ، لو لم يكن شيء من ذلك كله ، لما تسنى للشـــيخ عثمان بن فودي (ت 1813) أن يجدد الإسلام في نيجيريا ، ولما نجح الحاج عمر الفوتي (ت 1864) في مقاومة الاستعمار الفرنسي نحو ربـــع قرن في فوتا ، ولما اقتدر " أسكيا محمد " على إقامة دولة سنغاي والسير بها في موكب الإسلام" ! (250)

وتتميماً للفائدة ، أقدم نبذة موجزة عن بعض هذه الطرق التي قامت بدور فعال في نشر الإسلام في غرب إفريقيا :

249- انظر : المرجع نفسه ،ص:35 وما بعدها بتصرف ، موللين هو مستشرق فرنسي .

250- الإسلام في نيجيريا ، آدم عبد الله الإلوري ، ص:42 ،ط3 ، د- ب م ن .

1 - الطريقة القادرية :

أسسها عبد القادر الجيلاني (251) - رحمه الله - وهي رابطة روحية ، ومركزها الأصلي في بغداد .

وقد لقيت قبولاً لدى عدد من الأتباع بفضل جهود أبنائه وتلاميذه فانتشرت في أجزاء كبيرة في العالم الإسلامي ،ومنها غرب إفريقيا وأول من نشرها في بلاد السودان الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي -كما سبق - ثم سيدي أحمد البكاء الكنتي في القرن الخامس عشر الميلادي .

وللشيخ عثمان بن فودي جهود كبيرة في نشرها ، وإقامة دولة إسلامية في غرب إفريقيا ، عاصمتها سوكوتو ، بنجاح (من 1804م حتى1817م).(252)

2 - الطريقة التجانية :

ظهرت على يد الشيخ أحمد التجاني (253) سنة 1196 م وهي طريقة مبنية على الكتاب والسنة حيث أن أذكارها الثلاثة هي: الاستغفار والصلاة على النبيّ ولا إله إلا الله ، فالتجانية ليست فكراً عقائدياً يدرس الديانات المختلفة والفرق المتعددة ، وليست حزباً سياسياً يطمح للسلطة ، بل هي منهج تربويّ : قوليّ وعمليّ ،تهتم بتربية الإنسان من حيث روحه

251-هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسيني أبو محمد محي الدين الجيلاني ، من كبار الزهاد والصوفيين ،ولد في جيلان عام 471 هـ -1078 م ،وتوفي في بغداد عام 561 هـ -1166م . انظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج4 ، ص:48 ، د- ب م ن .

252-الإسلام في نيجيريا ، المرجع السابق ، ص 43 .

253-هو أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن المختار الشريف الحسني، يتصل نسبه بالحسن ابن الإمام عليّ رضي الله عنه وابن فاطمة الزهراء رضي عنها، بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . ولد في عين ماضي من ولاية الأغواط بالقطر الجزائري سنة 1150هـ -1737م حفظ القرآن في صباه ونهل من المعقول والمنقول ما أهله للفتوى والتدريس قبل أن يدرك سن الواحد والعشرين ،ثم بدأ جولته العلمية - وهويا فع - في البلاد وطاف الآفاق بدءا بالمغرب ثم البلاد الشرقية ، بحثاً عن المشايخ من أهل التربية ، فاتصل بالعلماء الأعلام والصلحاء واعترفوا له بمكانته العلمية وحسن الأخلاق المرضية فاستفاد منهم وأفاد ،وبعد عودته من الحجاز وقع له الفتح الأعظم فظهرت طريقته في الصحراء الجزائرية وفي قصر أبي سمغون سنة 1196هـ ثم هاجر إلى فاس ، وبقي فيها يدرس ويفتي ويربي حتى توفاه الله عام 1230 هـ -1815 م . انظر : جواهر المعاني ، علي حرازم ، ط1 ، ج1 ، ص:26-40 ،دار الكتب العلمية، بيروت 1417هـ -1997 م ، بتصرف .

وعقله وجسمه ، واتخذت من مدينة فاس في المغرب مركزاً لنشاطها إلى جانب المراكز الأخرى التي انتشرت فيها .

وقد وصلت إلى موريتانيا ، ثم إلى بلاد غرب إ فريقيا ،ابتداء من عـــام 1815م، بعد وفاة الشيخ أحمد التجاني ، وكان ذلك بواسطة الشيخ محمـــد الحافظ الكبير الذي أنشأ الزوايا في تنبكتو وسيغو وأدرار ، وفي جبال فوتا السنغالية ، وقامت هذه الزوايا بمهمتين رئيستين :

ـ نشر الإسلام بين القبائل التي لم تدخل في الإسلام .

ـ نشر الطريقة التجانية بين المسلمين .(254)

ومـــن الذيـــن لعبوا دوراً بارزاً في نشرها بغرب إفريقيا "سيدي مولود فال " والحاج عمر الفوتي " الذي قام بالجهاد في سبيل الله ، وقاوم الفرنســـيين مقاومة شديدة ... ومنهم " الحاج مالك سي والحاج عبد الله نياس والد الشيخ إبراهيم ، ...

وجهاد الشيخ إبراهيم نياس أكبر ، في نشر هذه الطريقة وتحويلها مـــن الإقليمية إلى العالمية، إذ لا توجد قارة من قارات العالم إلا ويوجد فيها تجانيون .

254- انظر :المد الإسلامي في إفريقيا ، محمد جلال عباس ، المرجع السابق ، ص :77 .

الفصل الثاني

منهج الشيخ إبراهيم نياس في بناء الفكر التجاني

لــم يكــن للشيخ إبراهيم منهج خاص به في التصوف الإسلامي، وإنما سار على نهج الشيخ أحمد التجاني، مؤسس الطريقة التجانية، فتبنى أفكــار هذه الطريقة التي تدور في فلك الشريعة. ولذلك ستركز الدراسة في هذا الفصل على المبادئ التي تمسك بها في بناء هذه الطريقة وتشييد صــرحها حــتى انتشــرت في جميع قارات العالم، بعد ما كانت ضيقة الانتشــار.ويمكــن تلخــيص هذه المبادئ في مبدأين أساسيين: التمسك بالكتاب والسنة، وخدمة المجتمع الإسلامي ، وسيأتي تفصيل ذلك .

المبحث الأول

التمسك بالكتاب والسنة

نظرا لأن الشيخ إبراهيم نياس من أكبر أتباع الطريقة التجانية وأشهر من دافع عنها، وأزاح عنها كثيرا من الأوهام والشبهات التي نسبت إليها، فقد جعل من أول مبادئه التمسك بالكتاب والسنة اقتداء بمؤسس الطريقة.

فقد أعلن الشيخ أحمد التجاني قولته المشهورة قائلا :"إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه، وما خالف فاتركوه ". وجاء هذا الإعلان نتيجة لسؤال سائل: أيكذب عليك؟ فقال: نعم ثم ذكر ذلك. وهذه قاعدة أصلها الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه، فكل ما خالف الشريعة فهو بريء منه ومكذوب عليه، إما من أعدائه الذين يريدون تشويه طريقته وسمعته، أو من الجهلة المنتسبين إليه الذين يجهلون حقيقة الطريقة، أو أن من روى عنه لم ينقل كلامه كما خرج من بين شفتيه، بل تصرف فيه.(255)

فيتعين على التجاني ألا يعتمد إلا على ما صح لديه بالرواية الصحيحة، ولا يرمي ميزان الشريعة من يده.

وتطبيقا لقاعدة مؤسس الطريقة، اتخذ الشيخ إبراهيم عدة وسائل أذكر أهمها:

(أ)- تعليم الدين الصحيح

كان الشيخ أحمد التجاني من أجلة العلماء الأعلام، شهد له بالعلم والمكانة المرموقة علماءُ أجلاء، وأولياء صلحاء، وشيوخ الإسلام من جميع الأقطار، وإنه ما تصدى للتربية إلا بعدما قطع مراحل في علم الظاهر والباطن، والتصوف والمجاهدات. وقد أوصى بالتعليم، وكانت

---

255 ـ انظر: الافادة الأحمدية مصدر سابق، ص :13 ، بتصرف .

مجالسه في الجزائر والمغرب وتونس وغيرها، عبارة عن ندوات علمية، ومجالس تربوية وملتقيات فكرية من الدرجة الأولى.(256)

وعلى نهجه ومنواله صار أولاده وخلفاؤه من بعده حتى الآن، فما تـرى فقهـاء الطـريقة التجانـية إلا وهم يحرضون على تعلم العقيدة الصـحيحة، والفقه الإسلامي، بدءا من الطهارة وقواعد الإسلام، مرورا بفقه الأحوال الشخصية وأدب المعاملات والمواريث، والأخلاق المرضية حـتى نهايـة المطـاف، وقد تخصص الكثير منهم في الحديث والقرآن واللغة، ومنهم من جمع بين مختلف العلوم والفنون.(257)

وعلـى هـذا المنهاج صار الشيخ إبراهيم نياس، فقد ألزم أتباعه " التعلم والتبحر في العلوم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، لأن الوزن بميزان الشرع ورد الأمور إلى الله ورسوله عمل لا يتأتى إلا من متعلم ". ثم بين أن التجانـية طريقة علم وحكمة، وأن من " اتبع الشيخ أحمد التجاني ثم ارتكب بدعة ضلالة فما جنى إلا على نفسه، وأما الشيخ أحمد التجاني فقد برئـت ذمـته بـالإعلان التاريخي السالف الذكر، والذي أيده سلوكه ــ رضـي الله عـنه ــ وسـائر تصـرفاته التـي مبناها ومعيارها السنة المحمدية".(258)

فـالعلم يهـدي صـاحبه إلى الصراط المستقيم، فيقبل كل ما هو شرعي، ويرفض كل ما خرج عن إطار الشريعة، وقد أكد ذلك جل شأنه حيـث يقـول: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (259) وفي قوله:(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ .) (260)

فكون الشيخ إبراهيم يلزم أولاده وتلامذته التعلم، وينفق أمواله في ذلك – كما سيأتي في الباب الثالث من هذه الرسالة – تأسيا بشيخه أحمد

256 - انظر: الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية، المرجع السابق، ص:63.
257 - انظر : المصدر نفسه، ص:63 ، بتصرف .
258 البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين، إبراهيم نياس، ص: 6 – 7، مطبعة "عن قسا " - كنو، د-ت .
259 سورة فاطر: الآية : 28.
260 سورة الزمر: الآية :9.

التجانـــي، دلـــيل علـــى صدق دعوته وإخلاصه واستقامته، وهذا العامل ساعده كثيرا على بناء الطريقة.

(ب)-المحافظة على الواجبات والفرائض

شدّد الشيخ على تلامذته بالمحافظة " على الفرائض والعض عليها بالنواجذ، وآكدها الصلوات الخمس بالطهارة المائية وبإتمام أركانها، وهو المقصود بالإقامة التي أمر الله بها بقوله : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ).(261) وبأدائها في جماعة سنية غير مبتدعة (واركعوا مع الراكعين) (262) وأن يؤديها فـــي وقـــتها(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (263) وبخشوع (قدأفلح المؤمنون الذين في صلاتهم خاشعون) (264).

ممـــا تقـــدم نفهـــم أن الشيخ يلزم أتباعه على محافظة الواجبات والفرائض بإتقان وإخلاص ابتداء بالصلاة التي هي عماد الدين" ، وركّز في شأنها على أدائها في وقتها وفي جماعة سنية غير مبتدعة، وأن يكون المرء خاشعا لله عند أدائها وفي جميع الحالات .

فالمحافظة على الصلاة في الجماعة مع الإتقان مفتاح لنوافل خيرية أخـــرى ومؤشر لسعادة المسلم لأنها تنير قلبه فيقبل على الخيرات ويدبر عن الفساد والمعاصي كما في قوله تعالى " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمـــنكر ولذكـــر الله أكـــبر " (265) فالمحافظة على الصلوات والواجبات وتقـــوى الله ،مـــن شـــروط الطريقة التجانية التي تبناها الشيخ إبراهيم، وحرض تلامذته على الالتزام بذلك .(266)

---

261 سورة المزمل، من الآية 20.
262 - البقرة : 43 .
263 - النساء : 103 .
264 - المؤمنون : 1 .
265 - العنكبوت : 45
266 -انظر الملحق رقم : 21.

(ج)- العناية بالقرآن : يقول الشيخ إبراهيم نياس :" وزيادة على هذه الفرائض ، يؤكد على التجاني أن يكون قوي الصلة بالقرآن تلاوة ودراسة وتأملا، فمنهج الشيخ هنا واضح ، وهو :

ـ لزوم قراءة القرآن بلا انقطاع وبترتيل .

ـ الاجتهاد في دراسة وفهم معانيه وتوجيهاته

ـ التأمل والتدبر عند القراءة بحضور تام ، كما في قوله تعالى(**يا يحيى خذ الكتاب بقوّة**) [267]، وقال أيضا(**ورتل القرآن ترتيلا**) [268] ، وقال (**أفلا يتدبرون القرآن**) [269].

فبهذه الطريقة يستفيد الإنسان من قراءته للقرآن ويجد بركته فينهض لامتثال أوامر الله، وينتهي عما نهاه. أما مجرد قراءة القرآن بلا ترتيل ولا تأمل ولا حضور قلب ، فلا تفيد صاحبها في فهم معاني القرآن وأسراره .

(د)- محاربة البدع والخرافات

من الباطل الذي يجب أن ينزه منه جانب الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه، ما نشره بعض الكذابين من أسرار مكذوبة تتعلق بالجن والروحانيين ، وبعض خواص ليس عليها عمل أهل الطريق، وقد انتشرت هذه البدع في دول الخليج باسم الطريقة التجانية والطريقة منها براء ، فليحذر العاقل من هؤلاء الدجاجلة المتجولين لأكل أموال الناس بالباطل ، فهم ليسوا من الطريقة ولا هي منهم ، فعلماء الطريقة لا يوافقون على كل ما خالف الشريعة من الآراء أو النقول التي نشرت دون تحقيق أو تمحيص .(270) وأبرز من تصدى لمحاربة هؤلاء المبتدعين الشيخ إبراهيم نياس ، ومما ورد في ذلك قوله "هذا هو نهج علماء هذه

---

267 - مريم : 12 .
268 - المزمل : 4 .
269 - محمد : 24 .
270 - انظر : حقيقة الطريقة التجانية ،مرجع سابق ، ص: 31..

الطــريقة ، فمــن زعم أن طريقته لا تصح إلا بتفضيل غير القرآن على القــرآن أو تصحيح كل ما ورد بلا تمييز أو قبوله بلا تمحيص بنشره أو دعــوة النــاس إليه فإنه ضال مضل ولا إمام له في هذه الطريقة ، ولقد انسـلخ مــن الإسلام بذلك قبل أن يحكم على غيره بما يمليه شيطانه ولا ربح إلا بعد سلامة رأس المال .(271)

وفــي رسالة وجهها إلى تلامذته في نفس القضية بين منهجه أولا فــي قولــه : " وإني شأني كما علمتم من أراد أن يكون معي في حالي فليسلك طريقي في الأقوال والأفعال بامتثال الأوامر واجتناب النواهي في الظاهر والباطن والتعطش إلى الوصول إلى مرضاة الله ورسوله ..."، ثم تــبرأ من المنحرفين فقال :" أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئا من مخالفة الشــريعة المطهرة الشريفة باقتحام المحرمات وترك المأمورات فأشهدكم وأشــهد الله إني بريء منه ، اللهم إني بريء مما صنع هؤلاء ".ثم بين خطورة هؤلاء المدعين بقوله " واعلموا رحمكم الله أن كثيرا من المدعين صدوا الناس عن سبيل الله بعدم الاستقامة ..."، فخطورتهم تكمن في أنهم يصدون الناس عن الاستقامة لاقتداء الناس بهم حيث أنهم يتقمصون لباس المشــيخة ويــتظاهرون بهــا ثم يقومون بأعمال غير شرعية ، فهم شر البريئة لأنهم ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل .وذكر الشيخ علاج مرض الانحــراف حيث يقول : " فلا بد من الرجوع إلى الله بالتوبة والامتثال والاجتناب والزهد والورع والتعلم ".(272)

فهــذه الوصية لو عمل بها المسلم استقام على الطريقة وفاز فوزا عظيما كما في قوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء

271 - المرجع نفسه ، ص 33
272 -انظر : الرسالة في الملحق السابق: رقم: 23 .

غدقـــا) [273] . كما ألزم الشيخ تلامذته حفظ كل ما يصدر منه من الوصايا نظما ونثرا ، ومن ضمنها هذه الرسالة .

وقــد درب الشــيخ تلامذته على محاربة البدع أينما كانوا ، ولذلك نجدهــم يــنقلون أفكاره في هذه القضية وفي غيرها ، اقتداء به، وامتثالا لأمره وخدمة للدين.

ومــن الذين برزوا في هذا الأمر، الحاج عبد الله المشري، ويؤكد ذلك قوله:" وليس من رأى كم سمع، وكان رضي الله عنه من أشد الناس إنكارا على المدعين ... " واستدر ينقل ما أورده عن شيخه إبراهيم نياس محذرا من الاقتداء أو التتلمذ على يد من ليس متضلعا في علمي الشريعة والحقــيقة، لأن " الكاذبين والملبسين قد كثروا وادعوا هذه الطريقة وهم مــنها بريــئون، وإلـــى الـــنار صائرون، لسوء أفعالهم وفساد أحوالهم، وأقوالهـــم، وتكالبهم على الدنيا الفانية، وإعراضهم عن الآخرة الباقية، إذ لــيس قصدهم بادعاء هذه الطريقة العلية إلا جمع الحطام، ونيل لذة أكل الحـــرام، واستفراغ العمر في الجهالات والآثام، فحذار حذار من أمثالهم والاغــترار بأقوالهم وأفعالهم، فإن كل من تبعهم زلت قدمه، وحق ندمه وحــرم الوصـــول إلـــى شـــيء من الكمال، ويأتيه من الله أعظم البوار والنكال... " (274)

كــل هــذه الشــواهد تثبــت على أن الشيخ إبراهيم نياس متمسك بالشــريعة، ويعــد من المحامين عليها، والمدافعين عنها بمحاربته للبدع والخــرافات، وتدريــب تلامــيذه علـــى ذلك. ويعتبر هذا من العوامل الأساســية التـــي جلبت له ثقة الناس، فلبوا دعوته أفرادا ووفودا وقبائل، وأخــذوا طريقــته، وسعوا إلى نشرها وفقا لمنهجه. فإذا رأينا من يدعي الانتســاب إليه ثم لم يلتزم بهذا المنهج السليم وهو تطبيق الشريعة تطبيقا

273 - الجن : 16.
274 - إنذار وإفادة، مصدر سابق، ص:66 – 67.

سليما، وترك البدع والخرافات والشعوذة، فهذا لا يمثل إلا نفسه، لأن الشيخ بريء منه بالنص الصريح الذي سلف ذكره.

(هـ) ـ الجد والاجتهاد

يقول محمد عبد الله بن السيد في حق الشيخ إبراهيم:" ... لايرضى للرجال الكلل ولا الكسل ولا الخلود للراحة، ويهيب بهم ألا يكتفوا بما بين أيديهم من الخير عما هو أمامهم، ويرى ألا بعيد ولا محال مع علو الهمة، وقوة التصميم – إن شاء الله – ورفض الراحة، وألا راحة للمؤمن قبل لقاء ربه، ولا خطر في الدنيا مع الاعتماد على الله والثقة به، وأن التقدم دائما في أعمال الخير، ومواصلة السعي في ما يقرب إلى الله، ودوام توجيه عباد الله إلى ما يزينهم عند ربهم، إن هذا واجب كل رجل طيلة عمره ... " (275)

فالشيخ جاد في معاملته مع الله وجاد في دعوته إلى الله وجاد في بث روح الجد والاجتهاد في نفوس المدعوين ، وذلك تطبيقا لقوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (276) وقوله(وجاهدوا في الله حق جهاده) (277)؛ وإيمانا منه بأن الكسل يضر صاحبه ،وأن الجد سر من أسرار النجاح ،فبذلك وجد قبولا عند الله ووجدت دعوته قبولا عند الناس، وانتشرت طريقته انتشارا واسعا.

(و)- حسن التصرف

على الرغم من أنه جاد ويدعو إلى الجدية وعلو الهمة لكنه " ... لبعد نظره وقوة إدراكه واحتياطه لخلفيات المساعي، وشدة كفاءته لما هيأه الله له، يحدد لكل جنس ما ينبغي أن يقوم به من غير تجاوز لحدوده. ويقدم الأولى ثم الأولى ... ".(278)

275 - من أخبار الشيخ ابراهيم نياس، مصدر سابق، ورقة: 64 – 65 .
276 - العنكبوت : 69 .
277 - الحج : 78 .
278 - المصدر نفسه، ورقة :64 .

فهـــو يحسن التعامل مع المدعوين، ومرب خبير يوجه كل شخص توجــيها محكما، ولا يشق عليه، وخاصة إذا كان حديث العهد بالإسلام، ونتــيجة لإيقاظه للهمم وبعثه فيهم روح الجد والنشاط، يترقى المدعوون بأنفسهم في أعمال الخير ، وهذه الحكمة أيضا ساعدته على بناء الطريقة التجانية.

(ز)- القدوة الحسنة:

من وسائل نشر الطريقة التجانية كون الشيخ قدوة حسنة، وقد شهد بذلك العامة والخاصة، يقول تلميذه محمد عبد الله بن السيد:" وقد أنصف هذا الشيخ ونصح حيث كان هذا الذي كان يحث عليه هو ديدنه – رضي الله عنه – الذي نشأ عليه ... ".(279)

وكـــان يحرض تلاميذه على ذلك، إذ أنه كان يطالبهم " بالاستقامة فـــي أنفسهم أولا، ثم بتقويمهم لغيرهم بجميع ما أمكنهم من الوسائل، وإن تفاوتت الأحوال واختلفت المقتضيات، وتباينت السبل، حتى ولو كلف ذلك الجهاد بالسيف ... "(280)

إلى غير ذلك من الوسائل التي كانت عونا للشيخ في بناء الفكر التجاني.

279 - المصدر نفسه ، ورقة : 65.
280 - المصدر نفسه ، ورقة : 64.

المبحث الثاني

خدمة المجتمع الإسلامي

و المبدأ الثاني الذي تبناه الشيخ إبراهيم نياس ، وفقا للفكر التجاني هو خدمة المجتمع الإسلامي ، و فيما يلي أهمّ الوسائل:

(أ) ـ بناء الزّوايا للإيواء والإطعام والصلاة والذكر[281]

مما اشتهر به التجانيون بناء الزوايا على تقوى من الله و رضوان لإيواء الغرباء و المساكين و الضيوف و إطعام النزلاء ، ثم لإقامة الصلوات الخمس فيها و تلاوة القرآن الكريم و تحفيظه ، و ذكر الأوراد التجانية ، و تعليم النشء و الشباب و الكهول الدين و اللغة العربية .

و الزوايا الكبرى الأصلية العريقة التي بنيت في عهد صاحب الطريقة أربعة هي : زاوية عين ماضي ، زاوية تماسين ، زاوية قمّار ، زاوية فاس ، فزاوية عين ماضي امتدت و كبرت مع الزمن ، حتى أصبحت اليوم قرية عين ماضي كلها زاوية تجانية ، فبيوتات سكان القرية ومساجدها مستعدة في أي وقت لاستقبال آلاف الضيوف في الليل أو النهار ، و هي قائمة لحد الآن على قدم وساق ، وشغلها الشاغل إطعام الطعام وتلاوة القرآن و تعليم الدين وذكر الله تعالى بكرة وعشيا .

وزاوية تماسين كذلك ، التي أسسها الشريف سيدي الحاج علي التماسيني ، خليفة الشيخ أحمد التجاني ، تشبه زاوية عين ماضي ، إذ كل بيوتات تماسين و مساكنها ومساجدها و حدائقها و واحاتها تعتبر زوايا ؛ فناس تماسين مستعدون لاستقبال الضيوف ، سواء كانوا علماء أو أمراء، أو أغنياء أو فقراء ، مقيمين أو غرباء ، طلبة علم أو أساتذة ، جاءوا على موعد أوعلى غير موعد، ففي أي وقت جاء الضيف وحده أو وفدا،

281- انظر: الملحق رقم : 22 .

يجـــدون رجال تماسين على أتم استعداد لإيوائهم و إطعامهم وإفادتهم بما يحتاجون .

وأمـــا زاويـــة قمـــار فقد أسسها سيدي محمد الساسي ، وبها من النفائس و التحف الشيء الكثير .

وأمـــا زواية فاس الكبرى التي أسسها صاحب الطريقة نفسه ، فقد تخـــرج فيها آلاف من العلماء المربين و المؤلفين الممتازين و المقرئين المجدين . ثم بنيت في عصر صاحب الطريقة الشيخ أحمد التجاني زاويا عديدة في جهات مختلفة من أقطار العالم .[282].

أما زاوية الشيخ إبراهيم نياس ، فقد تميزت عن جميع الزوايا، لأن معمريها أناس من عدة جنسيات ، فقد هاجر الشيخ إلى"مدينة" في السنغال ـ وهـــي غابـــة في ذلك الزمن ـــ ومعه تلامذته و أحبابه فأسس فيها زاوية جددت فيما بعد سنة (1356 هـ) [283] ثم توالت الهجرات إليها ، و حاليا أصبحت "مدينة " مركز إشعاع، فيها موريتانيون ، ونيجريون و غمبـــيون و بور كينيون ، وكثير من الجنسيات الإفريقية ، و شاهدت ـ لمـــا زرتهـــا لمهمـــة البحث ـ كثيرا من الجنسيات العالمية ، إفريقيين وأوروبييـــن وآســـيويين وأمريكييـــن فـــي مناسبة ذكرى المولد النبوي الشـــريف. وكل البيوت فيها محلات للضيافة ، و لا تجد أسرة إلا و فيها أفـــراد يـــأكلون معهـــا جميع الوجبات اليومية ، إما ضيوف مارّون أو مقيمون ، أيّاما أو سنوات ، لطلب العلم ، وللتربيّة الروحية أو للزيارة .

يقول العلامة محمد عبد الرحمن بن سالك بن باب العلوي :

السرّ سر الشيخ في مدين فاختارها الله لنا موطنا

فاسلك طريقها تصل واستلم أركانها و الشأن أن تركنا

---

282 ـ انظر : الشيخ سيدي أحمد التجاني ، مرجع سابق ص : 61 -62 ، بتصرف.

283 ـ انظر: الملحق رقم : 23 .

إن زائرا تنل مطلبا أو خائفا تنل بها مأمنا (284)

و مضمون الأبيات أن الناظم يقرّ بأن خلافة الشيخ أحمد التجاني الكبرى و سرّه عاد إلى الشيخ إبراهيم نياس ، وأن الله اختار للناظم و لغيره أن تكون مدينة الشيخ موطنا لهم ، إذ أن كثيرا من الناس من غير السنغاليين بنوا بيوتا فيها ، و دعى الناس إلى التوافد إليها والتشبث بأهلها ـ و هم الشيخ و تلامذته ـ و التمسك بقيمها حتى يفوزوا بمثل ما فاز به من الخير والعلم والبركة ، و يؤكد على أن زائرها ينال بغيته ومطلبه لأنها منبع الخيرات وملاذ الخائفين .

(ب) ـ مساعدة الضعفاء .

من مهام الطريقة التجانية الإنفاق في سبيل الله ؛ يتفانى فيه التجانيون المشارقة منهم و المغاربة ، فإنهم يتسابقون إلى مساعدة المحتاجين في الخفاء، فيتصدقون بما عندهم من الحبوب والأثواب والفرش ، ومئات بل آلاف الرؤوس من المواشي ، وبملايين من الدنانير سراً ، لوجه الله لا يريدون من وراء ذلك جزاء و لا شكورا إلا رضا الله الكريم الوهاب ، و يمدون يد المساعدة لبناء المساكن ويعينون على نوائب الدهر في كل مناسبة . ومن رجال الطريقة التجانية من يهيئ المئات من الأغنام ويوزعها على الفقراء في أعياد الأضحى ، ومئات القناطير من التمر ، والقمح و الدخن و الأرز بالتقسيط على المحتاجين، وثمّة مئات من طلبة القرآن والعلم يأكلون ويشربون ويلبسون ، ويتدثرون من تبرعات التجانيين في جنح الليل وهم لا يعلمون ، وهناك جماعات تجانية تساعد الراغبين في الزواج قصد التعفف ، ثمّ فئات أخرى رصدت أموالا محترمة تعين بها الراغبين في أداء فريضة الحج

284 - من أخبار الشيخ ' إبراهيم نياس ، مصدر سابق ، ورقة : 34 .

أو سنة العمرة ، العاجزين عن تأدية مصاريف الركوب، و نفقات الإقامة هناك (285) .

و يعتبر الشيخ إبراهيم نياس من أبرز التجانيين في فعل الخيرات والإنفـاق على المحتاجين مما رزقه الله ، في السراء و الضرّاء . و قد مـرّ بـنا في الفصل الثاني من الباب الأول في هذه الرسالة ، أن الشيخ مـزارع كبير، يشتغل في مختلف حقوله - التي تبلغ مساحتها حوالي (400 هكـتارا)- سـنويا بالـزراعة، و محصولاته الزراعية كلها حظ الفقـراء و المحتاجيـن. و كـان يوزع كثيرا من المواشي للبائسين في مناسـبة عـيد الأضحى، وهو الذي يستقبل الطلاب من مختلف البلدان، يعلّمهـم و ينفق عليهم طيلة إقامتهم حتى يتحصلوا على ما قدر الله لهم مـن العلم و المعرفة و يعودوا إلى أوطانهم دعاة إلى الله . يقول الشيخ محمـد عبد الله بن سيد العلوي واصفا كرمه: "أما سماحة نفسه و سخاء يده و عظم عطاياه وتتابع هباته، فقد حير العقلاء و أعجز وصفه البلغاء، و كمـا غرق الجميع في بحار عطاياه فقد عجز الكل عن التعبير الكافي عـن سخائه ، وكلهم يعبر بما لم يعبر به الآخر، ويصف شكلا لم يصفه غيره ..." (286) ثم ذكر كثيرا من الشواهد،وسأكتفي بإيراد ثلاثة نماذج :

قال :باباه المجلسي يصف هباته .

الشيـخ إبراهيـم ما عنـده كـأنما أودعـه السائـل
أغنى الورى في أرضه شاعر أو بائس يأتيه أو عائـل(287)

والشاهد في هذا الكلام إعطاؤه للسائل و البائس والعائل .

و قال محمد عال بن فتى العلوي :

وهو الغياث إذا سنين تتابعت وغدا الإمام يلوذ بالمأموم

285 ــ الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته ، المرجع السابق ، ص : 64 – 65 .
286 من أخبار الشيخ إبراهيم نياس ، مصدر سابق ، ورقة : 90 .
287 المصدر نفسه ، ص :91 .

إلى أن قال :

فهناك ينفق ماله متهللا مثل الغمام الصيّب المسجوم
وترى الجفان حياله مملوءة ينتابها العافي و كل يتيم
يدعو لها الجفلا كما يدعو إلى صلواته الداعي وللتعليم (288)

الشـــاهد في الأبيات هو نجدته عند الشدة و إنفاقه لأمواله بلا حساب ولا تردد ، وكذلك وجود اليتامى عنده والمعدومين دائما .

وقال مختار بن حامد الديماني ، مؤرخ موريتانيا الكبير:

بفضل الشيخ شاد كل شاد وفضل الشيخ إبراهيم باد
شدا زيد به و شدا زياد وكان يزيد أشدى من زياد
لئن كانت أيادي الشيخ عمت على أهل الحواضر و البوادي
فما تركوا لديه من طريف ولا أبقوا لديه من تلاد
قد فتح الكريم له دواما خزائن ما خشين من نفاد
فكان من العباد بهن أندى وأجود كان من عمر الجواد (289)

الشاهد في الأبيات أن الشيخ فتح الله له فتحا مبينا و أمواله كلها يصرفها للحواضر و البوادي ، بلا خوف من نفاد .

وقـــد ورث أبـــناء الشيخ سجية السخاء و الكرم من والدهم ، فقد شاهدت كثيرا من طلبة العلم في مدينته على نفقتهم رجالهم ونسائهم كلهم يتســـابقون علـــى هذا العمل الخيري الخالد التالد ، شاهدت كذلك الفقراء واليـــتامى و الأرامـــل واقفين على أبوابهم ، يتسلمون الصدقات منهم ما يدفعون به الجوع والعطش يوميا كما كان الحال في عهد الشيخ .

(ج) ـــ الإصلاح بين الناس

الإصـــلاح بيـــن الأفراد والجماعات و الدول ، هو من أهمّ أشغال التجانيين لقوله تعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (290). و قوله تعالى :

288- المصدر نفسه ص:91 .
289- المصدر نفسه ، ص: 93 .

وَإِنْ طَائِفَـتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(291) والصلح بيـن الأفراد والجماعات وحتى الدول لا يكمن تعداده لكثرته ، وهو مهمة كـل تجاني ، يتعهد به عند ما يأخذ الإذن في الطريقة التجانية ، وسأذكر بعض الأمثلة لتوثيق ذلك:

لقـد أعلـم سـيدي محمود سلسل الشيخ أحمد التجاني ،" بوجود خلافـات كثـيرة ومـنازعات وخصـومات بين قبائل الأرياف بالمغرب الأقصـى ، كادت أن تتحول إلى حرب أهلية طاحنة ، و من أجل ذلك شد رحالـه إلى تلك البقاع وبقي بها أكثر من نصف عام ، يعظهم ويرشدهم ويصلح ذات بينهم، حتى تصالحوا وتسامحوا ، ولم يغادر أهلها حتى أمسوا إخـوة وأشقاء طرحوا الخلافات جانبا و جلسوا على سرر متقابلين "،كان ذلك في العشرينيات من القرن الماضي .(292)

و ثمّـة صـلح آخر أكبر من هذا بكثير ، لكونه وقع بين دولتين إفريقيتيـن كبيرتين هما السودان و مصر ، و قد قام بهذ الصلح الشريف سـيدي محمد الحافظ التجاني المصري عندما اشتد الخلاف بين الدولتين . وعجـز رجـال الحكـم و الحكمة عن تسوية الوضعية بينهما ، وقد كاد الخلاف أن يتحول إلى شرّ مستطير وعند ذلك سعى هذا الشريف و أصلح بين الدولتين صلحا يرضي الطرفين .(293)

و الأدوار التـي اضطلع بها الشيخ إبراهيم نياس في الصلح بين الجماعات و بين الدول المتنازعة كثيرة، و قد مرتّ بنا بعض الشواهد عند الحديـث عـن جهـوده في الإصلاح، وذلك في الفصل الثالث من الباب الأول. وقد احتذى أولاده و تلامذته حذوه في هذا العمل الخيري ، ويتمثل ذلـك فـي الدور الذي قام به ابنه الأكبر الخليفة الحاج عبد الله في الصلح

290 النساء: من الآية : 128

291 الحجرات: من الآية : 9

292- انظر : الشيخ سيدي أحمد التجاني ، مرجع سابق؛ ص : 60 .

293- انظر : المرجع نفسه ، ص: 60 .

بيـــن السنغال و موريتانيا، لما اشتعلت نار الفتنة بينهما وعجز الرؤساء والحكمـــاء أن يصلحوا بين الدولتين ، فوفقه الله في الصلح بين الطرفين ، وكان ذلك سنة (1981) م . [294]

أقـــول : إن الطـــريقة التجانية طريقة علم وعمل وجهاد وخدمة للمجـــتمع الإســـلامي و لا تهـــتم بالمظاهر و الشكليات ، ولا تلتفت إلى الكرامات وخوارق العادات وهي بعيدة عن الخرافات و عن كل ما يخالف الشـــريعة الإسلامية الطاهرة ، فهي توصي المريد بالاستقامة وتقوى الله في السّر والعلن [295]، وامتثال أوامر الله ، و اجتناب نواهيه ومراعاة حقوق الله ورســـوله و حقـــوق خلـــق الله " حـــق الوالدين والزوجة و الأولاد والأقرباء و الجيران و المسلمين جميعا ، والإحسان إلى خلق الله ونفعهم لأن خـــيرخلق الله وأحـــبهم إلـــى الله أنفعهم لعياله ، كل ذلك وغيره من الشـــروط التـــي تشترط على المريد قبل إعطائه الطريقة التجانية ، ولا تعطى له إلا بعد قبوله لهذه الشروط ، فالمستقيمون هم التجانيون الحقيقيون لأنهـــم هـــم الذيـــن ساروا على نهج الشيخ أحمد التجاني، والمنحرفون قد خالفوا العهد فلا يمثلون إلا أنفسهم ، فالشيخ أحمد التجاني برئ منهم ومما يعملون ، و قد تبنى الشيخ إبراهيم نياس مبادئ الفكر التجاني ثم طورها ، لذلـــك حقـــق نتـــيجة ممتازة لم يسبقه إليها أحد و سيأتي تفصيل ذلك في الفصل التالي .

294 ـ معلومة مسجلة في شريط في مقابلتي مع الأستاذ يحى الموريتاني بمدينة كولخ سنة 2002 م .

295 ـ انظر الملحق السابق، رقم: 21 .

الفصل الثالث

الشيخ إبراهيم نياس و التجديد في الطريقة والفكر

مدخل :

إذا كان الشيخ أحمد التجاني اختصه الله بظهور الطريقة التجانية علـى يـده ، وبعبارة أخرى إذا كان هو مؤسس الطريقة التجانية ، واجتهد في إرساء دعائمها وتكوين رجالها ، ونشر معالمها، فإن الشيخ إبراهيم نياس نال شرف تعميمها إلى جميع قارات العالم ، ولم يتوقف نشاطه على نشر هذه الطريقة ، بل نظمها تنظيماً، بأن كوّن وحدة أخوية متسقة ، هدفها تطبيق الشريعة الصحيحة ، وإخلاص العبادة لله وحده ، والسعي إلي طلب مرضاة الله ، ثم ركّز على التربية الروحية ، وإصلاح بعض الظواهر ، فسلّم له أقطاب هذه الطريقة وقاداتها وأقروا بأنه صاحب الفيضة التي تحدث عنها الشيخ أحمد التجاني – رضي الله عنه– وسوف يتضح كل ذلك في هذا الفصل إن شاء الله .

المبحث الأول

مفهوم الفيضة واختصاص الشيخ إبراهيم بها

أولا: مفهوم الفيضة لغة واصطلاحا

الفيضة في اللغة تعني الكثرة والامتلاء ، يقال : فاض الماء والدمع وغيرهما ، إذا كثر، وفاض صدره بسر إذا امتلأ وباح به ولم يطق كتمه، وفاض الحديث والخبر إذا ذاع وانتشر ، والإفاضة : الزحف والدفع في السير. (296)

والمراد بالفيضة في الاصطلاح هو أن يكثر الفتح على أصحاب الشيخ أحمد التجاني بحيث يدخل الناس في الطريقة التجانية أفواجاً، وتتيسر معرفة الله عن طريق التربية الروحية دون مجاهدة وانعزال ، فيكثر العارفون بالله ، ويكثر الزهاد والأتقياء من خريجي مدرسة الشيخ أحمد التجاني . (297)

لقد تحدث عن هذه الفيضة الشيخ أحمد التجاني في قوله : " تأتي فيضة على أصحابي حتى يدخل الناس في طريقتنا أفواجا ، تأتي هذه الفيضة والناس في غاية ما يكونون عليه من الضيق والشدة " .(298)

ثانيا: بعض من ادعى الفيضة

تكلم عن هذه الفيضة كثير من أصحاب الشيخ أحمد التجاني وخلفائه وورثة أسراره ، وكثير منهم ادعاها لنفسه وقد تكلموا فيها فوقع في كلامهم اضطراب . ومن هؤلاء الرجال :

1- الحاج عمر الفوتي : لما سئل "هل أتت هذه الفيضة أم هي باقية؟" أجاب بقوله :" وأما الفيضة فأرجو من الله إليكم أن يكون المراد بها أنا العبد الفقير... " (299)

296- انظر: لسان العرب ، مادة (فـ، ي ، ض ،) ج1 ،ص:366-368 .
297- انظر : الإفادة الأحمدية ، المصدر السابق ، ص:46 ، بتصرف .
298- المصدر نفسه ، ص :46 .
299- كاشف الألباس ، المصدر السابق ، ص:87 .

2-سيدي الحاج عبد الله بن الحاج العلوي الموريتاني قال : أنه كوشف لــه عــن الفيضة ورآها لنفسه وصاريطلبها، ولما علم بقرب وفاته – رضـــي الله عــنه – ولم تقع ، علم أنها تبقى في تلامذته ، فصار يكثر التقديم حرصاً على التوسط فيها ، وذلك سبب جولانه

3 ــ ظن البعض أنها وقعت في بلاد شنقيط على يد الشيخ محمد الحافظ، ثم تبين عكس ذلك عند الآخرين ، لقول الشيخ أحمد التجاني :" إن الناس يدخلون في الطريقة أفواجاً ولم يخص بلداً ولا إقليماً بذلك" .(300)

ثالثا : خصوصية الشيخ إبراهيم بالفيضة

ذكــر الشـــيخ محمـــد عبد الله بن السيد (301) بأن خصوصية الشيخ إبراهيم نياس بالفيضة المنتظرة العظمى التي كان الشيخ أحمد التجاني – رضـــي الله عــــنه – يبشر بها أصحابه وخلفاؤه وكبراء أتباعه يتمنونها لأنفسهم ويبالغون في البحث عنها، شيء واضح وضوح الشمس ووضوح النهار، ولا يشك فيه إلا عُمي الأبصار والبصائر، ثم قدم بعض البراهين، مـــنها : دخـــول عشرات الملايين من بني البشر في الطريقة من أقطار شتى ، والعدد الوافر منهم كانوا غير مسلمين قبل دعوة صاحب الفيضة (الشيخ إبراهيم) واتصالهم به .

ثم إن الشيخ تنطبق عليه جميع صفات صاحب الفيضة التي ذكرت قبله ، وأجمع علماء عصره وكبار الطريقة التجانية بأنه هو صاحبها من غـــير شـــك ولا ريـــب ، وقد صرحوا بذلك (302) .وسيأتي التفصيل في الفقرات التالية .

300-المصدر نفسه ، ص: 87-88 .

301-هو معاصر للشيخ إبراهيم ،قابلته في نواكشوط ، في شهر اغسطس 2003 م ، أفادني بأنه في البداية كان ما صّدق وقوع الفيضة على يد الشيخ ثم توجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وخرج من بيته سائحا في الأرض ، يمشي حافي القدمين ، يدعو الله بالتضرع والخشوع وقضى في ذلك سنة كاملة حتى هداه الله إلى الشيخ وصدقه وتحقق بأنه هو صاحب الفيضة . انظر : الملحق رقم : 24

302- انظر: من أخبار الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص: 51 – 52 .

رابعا : أدلة وقوع الفيضة على يد الشيخ إبراهيم نياس

(أ) ــ ثبوت الضيق والشدة في زمن الفيضة :

ذكـر الشـيخ أحمـد التجاني أن الفيضة تأتي والناس في غاية ما يكونون من الضيق والشدة .

وانطلاقـاً مما سبق ، بيّن الحاج عبد الله (303) في كتابه إنذار وإفادة شـواهد من الضيق تأييداً لوقوع الفيضة على يد الشيخ إبراهيم نياس ، فقال : " وقد شوهد في هذا الزمن من الضيق والشدة ما لم يشاهده كثير مـن الأكابـر الذين أدركناهم ، والذي وقع من كثرة الفتح في أصحاب الشـيخ والمعـرفة والاسـتغراق في الله برفض كل ما سواه ما وقع في طريقتنا قط فيما أعلم منذ بروزها إلى يومنا هذا ..." ، ثم استمر مستدلا وقـوع الضيق والشدة في ذلك الزمن فذكر أن من راجع أيّ كتاب شاء مـن كتـب تاريخ العصر الحديث يعلم " أن سنة 1929م – وقد ظهرت الفيضـة فـي نصفها الأخير– هي سنة الأزمة الاقتصادية الخانقة التي هـزت الـنظام الليبرالي فتدهور فيها الاقتصاد الأمريكي ومن بعده كل الحياة في أوربا ومستعمراتها ، وقد وقع الانفجار يوم 24 أكتوبر الذي عرف بالخميس الأسود وتعاقبت الويلات ، مما أدى بعد عشر سنين من الانحطاط إلى أفظع حرب عرفها تاريخ البشرية ، وعانت الشعوب آنذاك ما عانت "، ثم أكد أن الشيوخ يقصون من ذلك ما لا يكاد يصدقه السامع اليوم ، ويشهدون مع الشيخ أحمد التجاني والتاريخ أنه ما عرف في ذلك الزمن من الضيق والشدة ما لم يشاهد منذ زمان. (304)

303- هو من الشرفاء العلويين ، معاصر للشيخ ، وكان جده الحاج عبد الله بن الحاج العلوي ممن ادعوا الفيضة ثم تراجع عندما كبر سنه وتحقق أنه ليس هو صاحبها . انظر: الملحق السابق رقم : 11 .

304- انظر : إنذار وإفادة ، المرجع السابق ، ص: 99 – 100 ، بتصرف .

(ب) ــ انتشار الطريقة التجانية في أنحاء العالم :

لم ينتقل الشيخ إلى رحمة الله حتى رتع تلامذته في رياض الذكر، وانتشرت الطريقة في ربوع تونس والمغرب والجزائر وشنقيط .

ولا ينكر جهود بعض تلامذته أيضاً ، في نشر طريقته ، مثل الشيخ محمد الحافظ العلوي (305) الذي هو أول من نشر الطريقة في بلاد شنقيط وبعض البلدان في غرب إفريقيا ،وكذلك سيدي مولود فال (306) ، والحاج عمر الفوتي وهو أبرز من نشر الطريقة التجانية في غرب إفريقيا ، والشيخ الحاج بنعمر سليل الشيخ التجاني، (307) والحاج عبد الله نياس والد الشيخ إبراهيم نياس ، والحاج مالك سي (308) وغيرهم من الذين لم أذكر أسماءهم. ومع كل هذه الجهود ، ظلت الطريقة التجانية ضيقة النطاق ، إذ لم يتجاوز انتشارها بعض البلدان الإفريقية والعربية (309)

وكان عدد تلامذة الشيخ أحمد التجاني عند وفاته – كما ذكره الشيخ الحاج عبد الله العلوي الموريتاني ، نقلاً عن الشيخ أحمد سكيرج – مائة ألف وأربعة وعشرين ألف ، بينما يُقدر أتباع الشيخ إبراهيم نياس ــ كما جاء في مجلة "آخر ساعة " المصرية في عددها الصادر في 6 أغسطس 1975م ــ بأكثر من ثلاثين مليوناً ، وكثير منهم مفتوح عليه (310).

وما من قطر في إفريقيا الكبرى وفي آسيا وأروبا وأمريكا واستراليا إلا وفيه مآت الزوايا التجانية وملايين التجانيين (311) وذكر الشيخ الإمام حسن سيسي أن عدد تلامذة الشيخ إبراهيم نياس 120

305-توفي سنة 1830 م وهو شريف موريتاني .

306- هو موريتاني ، لم أقف على تاريخ وفاته .

307- . هو جزائري ، من أحفاد الشيخ أحمد التجاني ، لم أقف على تاريخ وفاته .

308- هو سنغالي ، توفي سنة 1922 م.

309- انظر : شخصية الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ورقة: 30، بتصرف. وانظر: la tijaniyya , p: 11- 13

310- انظر: إنذار وإفادة ، المرجع السابق ،ص :100 ، بتصرف.

311- انظر : الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته ، المرجع السابق ، ص: 62 .

ملـــيوناً، فـــي مقابلته مع صحيفة الدعوة (312) وهذا الأخير هو الذي فتح أمـــريكا أمـــام رجال الطريقة لأن الشيخ لم يدخلها بجسمه ، وفيها الآن عشـــرات الـــزوايا التجانـــية ، ويذكـــرون الله فيها ويقومون بشعائرهم الإسلامية على الوجه الشرعي المطلوب (313)

(ج) ــ تسليم قادة التجانيةللشيخ إبراهيم نياس

ســـلم قـــادة التجانـــية القيادة للشيخ إبراهيم نياس لما أظهرالله أمره، وشـــهدوا له بالوراثـــة الحقيقية لسرالشيخ أحمد التجاني وأقروا بأنه هو صـــاحب الفيضة التي تحدث عنها صاحب الطريقة، ومن هؤلاء السادة أذكر ما يلي:

1ــ الشيخ أحمد سكيرج

أشـــرت في الفصل الأول من الباب الأول إلى أنه من الذين أجازوا الشـــيخ إبراهـــيم نياس إجازة مطلقة في الطريقة التجانية ،ويعتبر السند الســـكيرجي، السلسلة الذهبية عند الشيخ إبراهيم نياس. ومع ذلك،فقد سلم الشـــيخ سكيرج القيادة التجانية للشيخ إبراهيم وأقر بأنه خليفة الشيخ أحمد التجاني المنفرد كما توضح الأبيات التالية:

عليكم سلام لا يعد ولايحصى وما مثله بين البرية يستقصـــى
وأنت له أهل بما لك فيه من كمال وما فيه يرى أحد نقصا
شهدت لكم فتحا مبينا بما لكم به الحق من بين البرية قد خصّا

312- انظر : صحيفة الدعوة الإسلامية ، العدد 841 ، ص:3 ، 11من شهر ذي الحجة الموافق 2 النوار، 1371 و،ر2003 م ، بتصرف .

313- انظر : الشيخ سيدي أحمد التجاني، المرجع السابق ، ص: 62 ، بتصرف .

ورثت عن الشيخ التجاني خلافة وإني لكم فيها أنص لكم نصا
وإني أرى الشيخ التجاني خاتما وأنت الذي قد صرت في الخاتم الفصا.
وكم طائر فخرا يعـد مزاحمـا لكم في المعالي والجنـاح له قصـا
وماقلت هذا عن هوى وتبجح وماكان عن شطح رقصت له رقصا
ولكنه عن وارد جاء ناشرا لواء سرور منه حاسدكم غصا(314)

2-الشيخ محمد الحافظ المصري

ذكر الحاج عبد الله العلوي ــ نقلا عن الشيخ إبراهيم محمود جوب أمين سر الشيخ ــ أن الشيخ محمد الحافظ قد وصف الشيخ إبراهيم نياس فــي آخر اجتماع بينهما في الزاوية التجانية بالقاهرة أوصافا تناهت في الحســن وختمها بقوله، والجمع غفير:"وبالاختصار،هو نور هذا العصر" وحدث ذلك بحضور أمين سر الشيخ المذكور آنفا(315)

3ــ القاضي سيدي محمد بن عبد الله بن المصطفى العلوي(316)

ومما ورد في قصيد ته اليائية ما يلي :

عليك بشيخ القوم واسلك سبيله ولا تنح إلا ما يكون له نحوا
بدت من أبي العباس فيه خلافــة قفا أمره في كل مسألة قفوا
فأصحابه يملــي عليهــم معارفا ويملؤهم فقها و يملؤهم نحوا
ومن كان هذا في البرية وصفه فما مثله في الناس يوما ولا غدوا

ومما ورد في قصيدته النونية الأبيات الآتية:

يا شمس دين الهاشمي لك الهنا فإليك مرجع سائر الأديان
أعني أبا إسحاق غرة دهره ساقي الرجال بأكؤس العرفان
ماهو إلا هو صاحب وقته وعلى يديه فيضة التجاني(317)

314- من أخبار الشيخ إبراهيم ،المصدر السابق،ص:54 ــ 55 ، وانظر: إنذار وإفادة: المرجع السابق: ص: 63، وانظر: لملحق رقم: 29 .

315ــ إنذار وإفادة ،المرجع السابق ، ص:103. الشيخ محمد الحافظ المصري من خلفاء الشيخ أحمد التجاني توفي سنة 1398هــ.

316-هو من الأشراف الموريتانيين معاصر للشيخ إبراهيم ، لم أقف على تاريخ وفاته .

4 ــ الشيخ محمد زينب نياس(318)

يقــــول:

ولتعلموا أن الإمام قد نصب ما ينفع العباد فيضا ينسكب
على يدي واسطة التجانـــي برهام ذي الأنوار والعرفان

إلى أن قـــــال:

وارث سر شيخنا التجانـــي عن جده خير بني العدناني
قد جدد الدين بعيد ما اندثر وسنة المختار من بني مضر(319) .

5ـ الشيخ عيسى محمد

لم يتمكن من اللقاء مع الشيخ إبراهيم نياس لظروف اقتصادية، ولكنه مــدح الشــيخ بقصــيدة مطولة يذكر فيها تسليمه التام له ، والإقرار بأن ممدوحـــه هوصاحب الفيضة والوارث الحقيقي لسر الشيخ أحمد التجاني. وســبق الذكـــرأنه هوالذي نال شرف نشر الطريقة التجانية في ليبيا وفقا لمــنهج الشــيخ إبراهيم ومسجل في وزارة الأوقاف بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، ولأذكر مقتطفا من قصيدته :

وما البرهمي إلا التجاني نفســـه فإن شئت تؤمن أو تكن أهل نكرة
ولا مشرب إلا لبرهام كولخـــي ولا مرتع إلا لذا الغـــــوث قدوة
ومرتع غير الشيخ صحراء صلدة ولا فيها من مـــاء ولافيهاغذيـــة

إلى أن قال:

فمن يأبى إبراهيم تجاني يأبه فصاحب هذا الوقت برهام قدوة(320)

---

317 - كاشف الألباس ،المصدر السابق ، ص:94ـ 95 .

318 ــ هو أخ كبير للشيخ إبراهيم نياس ، عالم كبير ،سلم القيادة الروحية لأخيه الصغير وصار من تلامذته ، وكان مخلصا في صحبته للشيخ .

319 ــ 25سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص :134.

320 ــوقف الزاوية التجانية ، طرابلس ، رقم 20، ص:20 .

6 ــ الشيخ إبراهيم بلاربى، قاضي جيغ(321)

مــدح الشيخ إبراهيم نياس بقصيدة مطولة عدد أبياتها 217،اشتهرت بــ "غــورا فيضـــه " ،قالهـــا بلغة هوسا. ركزت القصيدة على ذكر الفيضة وتعمــيمها البلاد ، ووصف صاحبها الشيخ إبراهيم نياس وصفا بارعا ، وأنـــه انقـــاد إلـــيه كـــبار التجانيين في عصره ، ثم حرض الناس على الإخلاص في حبه والاقتداءبه. وقد وجدت قبولا عند الناس، ولفتت أنظار المستشرقين والغربيين،حيث أ نها تدرس في بعض جامعاتهم. وأري أن أقتبس بعض الأبيات منها :

الله يا خلفاش فيا أمنت دشي   في الملك والملكوت والحجاشي

والمــــراد أن الله جعــــل الشــــيخ إبراهيم نياس خليفة الشيخ التجاني وقائد الطائفة التجانية ومديرها على الإطلاق وكل كبار عصره سلموا له ، فلا منازع له في هذه المرتبة .

والله نا سلما أغرنش كي دقفا   يوبند طاني ذوا رحمن بندشيا(322)

أقســـم بالله أنه انقاد إليه وسلم له تسليماً تاماً ، ليس له اليوم وسيلة إلى الرحمن سوى الشيخ إبراهيم نياس .

7- الشيخ عبد الرزاق (323)

تفانى في حب الشيخ إبراهيم نياس ، ويذكر أن هذا الحب يكفيه فخراً إذا مـــا افتخر ذو مال بماله وذو حسب بحسبه وأقسم بالله أن حبه لممدوحه ذخراً له يوم القيامة .وفيما يلي شواهد من قصيدته :

321ــ هو من مواليد نيجيريا ، معاصر للشيخ إبراهيم ، لم أقف على تاريخ وفاته . وأفادني الإمام الشيخ حسن سيسىبأن هذه القصيدة من المقررات في جامعة لندن ، وهو خريج تلك الجا معة ، تمت مقابلتي معه في شهر سبتمبر 2002م .

322 ــ قصيدة في ذكر إ مام وصاحب الفيضة ، الحاج إبراهيم بلاربى ، ورقة : 8 ــ 11 ، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو ن مراقي ، النيجر. د- ان . انظر : الملحق رقم: 25 .

323 - هو من النيجر ، معاصر للشيخ إبراهيم انياس ، رئيس جمعية إحياء الثقافة الإسلامية بالنيجر ، له أتباع كثيرون ، أحب الشيخ إبراهيم نياس حباً عذرياً خالصاً ، و له ديوان خاص بمدحه ، ما زال على قيد الحياة . أطال الله بقاءه آمين .

يا من تربى شيوخ العصر في يده فأصبحت بيديه المد والقصر
يا من يقوم مقاماً لا يزاحمه قطب صدّيق ولـيّ عالم ذكر
عبد الرزاق بباب الدار يلحظكم يراقب الفتح يا من بيته مصر

ويقــول أيضاً معبراً عن قيادته وريادته المطلقة لكل من يلوذ تحت راية الشيخ أحمد التجاني :

وإن كانت الأقطاب للناس قادة حماة كماة لايقاس بهم فضـل(324)
فأنت لديهم سيد ذو مكانة ضروب لقوح بين سربهم فحـل.
فأنت إمام الكل صاحب راية تقود خميساً ضاق عن حمله السهل.

تلك،بعض النماذج من الرجال والسادة الذين سلموا للشيخ وأقروا بأنه هو صاحب الفيضة التي أخبر عنها الشيخ أحمد التجاني ، وهذا على سبيل الاستشهاد والاستدلال فهناك كثير من الشيوخ في مختلف البلاد والأقطار الذين بايعوه ومدحوه بدواوين شعرية ،ويعتبر أهل موريتانيا الرواد والمبرزين في هذا الميدان .

ولقد جدد كثير من كبار التجانية الورد على يديه وآخرون زودوه بكل ما يملكونه من إجازات وأسرار التجانية العامة والخاصة وبعض تراث الشيخ أحمد التجاني ، كالعصا ، وكتاب جواهر المعاني ، بخط المؤلف وغيرهما .(325)

يقــول الحاج عبد الله المشري الموريتاني : " إن قبيلتنا (العلويين) هي القاعدة التي انبعث منها نور الطريقة وانتشر إلى أن وصل إلى قلب القارة السمراء ، وأسماء "محمد الحافظ" ، "وبدّ حسان الطريقة"، وسيدي "مولود فال"، أسماء لا تجهل في هذا الصدد، وقد تركوا خلفاء عنهم في خدمة الدين والعلم والطريقة، وهم من الشيخ والشيخ منهم"، ثم استمر

324 – جواهر الفرد في مدح قطب الفرد ، الشيخ عبد الرزاق ، ورقة : 8– 10 ، مخطوط ، مكتبة المؤلف ، مدينة كوس ، النيجر . انظر: الملحق رقم : 26 .

325 – انظر : مجموع رحلات الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص: 21 –45 ، بتصرف .

في حديثه مؤكداً أنه ليس فيهم اليوم إلا مريد للشيخ إبراهيم نياس أومحب له ، وهم يفتخرون بذلك لأنه دليل على الابتعاد من حمية الجاهلية وعلى الحــرص علـــى المحــبة في الله ، والوزن بميزان الشرع لا الطبع(326). وبذلــك تحول مركز الطريقة التجانية من العلويين بموريتانيا إلى مركز الشـــيخ إبراهــيم في" مد ينة باي" وأصبحت القيادة الروحية فيها.وصدق الشـــيخ عـــبد الله ابن الحاج العلوي في قولته للشيخ إبراهيم :"أنت كبير الطريقة في زمنك ، تأتي الفيضة على يدك حقيقة لامجازا، وعلى يد من يدعيها مجازا لاحقيقة "(327) .

وشـــهادة الشـــيخ سيدي علي سيسي (328) تعكس ــ بكل تأكيد ــ أحــداث الفيضـــة : بعد أن أثبت وقوعها على يد الشيخ إبراهيم ، استمر واصـــفا أحداثها وقال: " وقد وصل على يديه إلى كمال المعرفة العيانية الشهودية ألوف ، ويأتيه في كل يوم خلق كثير ، وفوداً على وفود بيضانا وســودانا، يدخلــون فـــي طريقتنا التجانية ذات المنح الربانية والمواهب العرفانية أفواجا أفواجا، من جميع أقطار الأرض، ولا يأخذ عنه أحد هذا الــورد الجســيم إلا وقـــد انتفع وفاز منه بالمدد الرباني وحلول مواطن العرفان..."(329)

ولا يـــتوقف أمـــر الشيخ على إعطاء الطريقة فقط ، بل" انتصب لإفـــادة الخلـــق بالعلوم اللدنية الوهبية والمعارف الربانية، لياليه وأيامه، صـــباحه ومساءه "(330)، فكان ــ من شدة أعماله ــ لا ينام أكثر من أربع

326 – انظر: إنذار وإفادة ، مرجع سابق . ص: 102 . وانظر: الملحق رقم:33 .

327- شخصية الشيخ إبراهيم نياس ، مصدر سابق ، ورقة: 36 .

328 ــ هو سنغالي ،بايع الشيخ إبراهيم منذ أول ظهور الفيضة سنة 1348 هـ وصار قلمه وصهره،توفي سنة 1982م .

329 – كاشف الالباس ، المصدر السابق ص: 13 .

330 – المصدر نفسه ص: 11 .

ســاعات يوميا،منذ أن فَطِنَ، كما أفادني به شاهد عيان وهو الشيخ مكي نياس .(331)

والجدير بالذكر أن الشيخ أعاد التنسيق بين المراكز التجانية ، الذي ضعف وكاد يكونُ معدوما قبيل ظهور الشيخ ، وصار مركزه هوالمعتمد لــدى التجانيين ، ومنه يصدر كل جديد، وغالبا ما يصدر منشورات إلى كافة التجانيين لتذكيرهم بواجباتهم نحو خالقهم وتحذيرهم من كل مخالفة للأحكــام الشرعية . وركز على التربية الروحية التي كانت معروفة لدى الصــوفيين قديما (332)، وفي مدرسة الشيخ أحمد التجاني في عهده ، لكن معالمهــا اندثــرت مما تسبب في انحراف بعض المتصوفة عن الهدف المنشــود وهــو إخــلاص العبودية لله ، فمال بعضهم إلى الدنيا وأدخل الآخرون في التصوف ما ليس منه وتمسكوا بالقشور وتركوا اللب.

331- هو ابن الشيخ إبراهيم نياس ، حافظ لكتاب الله ، خريج الأزهر ، مجاهد كبير في الحقل الدعوي . تمت مقابلتي معه في شهر 11 / 2002 م بمدينة في السنغال.

332 - انظر : خلاصة التصانيف في التصوف ، الغزالي ، ص 18 ، مطبعة السعادة ، مصر 1327 هـ . وانظر : ايقاظ الهمم ، مصدر سابق ج 1 ص 74 . وانظر : طبقات الصوفية ، مصدر سابق ص :365 .

المبحث الثاني

منهج الشيخ إبراهيم نياس في التربية الروحية

انتهج الشيخ منهج السلف الصالح من الصدر الأول في التربية ، وهي طريقة الشكر و الفرح بالمنعم سبحانه و تعالى ، والرياضة القلبية ، من غير التزام الخلوة والاعتزال عن الناس .

وهـي تُعنَي بالنظر في أحوال القلب و ما يصلحه و ما يفسده على سنن الاعتدال والتقييد بالشريعة المطهرة والسنة الشريفة المنورة ، لا على التضييق على النفس بالتقشف والاستخشان في المأكل و الملبس والكد و التعب من غير التفات إلى أحوال القلب على الحد الذي تقرر .

و انتقد الشيخ منهج المتأخرين من المتصوفة في تزكية النفس بقطع جميع الإرفاق عنها وردها إلى الاجتزار بأكل الحشيش و النخالة، والمبالغة في التقشف و التقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب ، وهذا كله غلو و بدعة حيث أن قوما غلطوا في رياضتهم و مجاهدتهم ، و لم يقصدوا بذلك إخلاص العبودية لربهم فأدى بهم ذلك إلى اختلال عقولهم ، وانحلال قوى أبدانهم ، ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة ، و ذلك لجهلهم بالسنة و ما عليه سلف الأمة .

وعلل الشيخ بأن القدامى الذين سلكوا طريقة المجاهدة والمكابدة و الرياضة البدنية كان نتيجة لكثرة الأهواء و تشعب الآراء ، فاستعانوا بذلك على تطهير النفس و تزكيتها ، ليستنير القلب و يتخلص من كدرات الهوى ، ومع ذلك قد حذروا من الغلو فيه بالخروج عن حد الاتباع إلى حد الابتدع (333).

فمنهج الشيخ إذن هو سير القلوب لا سير الأبدان في تزكية النفس و تعلقها بالله مع مراقبته في جميع الأنفاس .

---

333 ـ انظر : كاشف الألباس، المصدر السابق، ص : 26 ـ 27 ، بتصرف .

أولا: ركائز التربية

التربية – في منهج الشيخ إبراهيم – دائرة على قطبين:

(أ)– إقامة الصلوات الخمس بشروطها .

(ب)– الصــلاة على النبي آناء الليل وأطراف النهار بنية امتثال الأمر، والتعظـيم والإجـلال والمحبة، من غير التزام خلوة ولا كثرة مجاهدة ، وهــذا بعد التزام الأوراد التجانية والتي تتركز على الاستغفار والصلاة علــى النبــي والكلمة الشريفة (لا إله إلا الله) ، والعمل بوصايا الشيخ أحمــد التجانــي التــي تــدور حول تقوى الله وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وملازمة كتاب الله عز وجل .(334)

وقــد ذكر الشيخ بأن المطلوب من المتربي أولا : أن " يُعلم ما هو فــرض عينه، ثم يُرشدُ إلى نوافل الخيرات والأوراد والإخلاص في كل عمــل دق أو جل ، وشهود المنة لمولانا جل وعلا ، فإنه المنعم المعين الذي يصرخ له العبد في كل صلاة ...وحسن الظن بالله ، وتفويض الأمر إليه والتبتل التام إلى الله.لا إلى الجنة ولا إلى المقامات ، ولا إلى العبادة، بل إلى الله الواحد الفرد الأول الآخر الظاهر الباطن،... ، فإذا غرق العبد في هذا جل أوقاته فهناك ينسى كل ما سواه ويعبد ربه كأنه يراه ..." (335) ثــم شــدد الشيخ محذرا من الإخلال بالشريعة والسنة ، وأوصى المريد بالتأدب مع الله في كل تجلياته ومظاهره وأن ينزل الناس منازلهم ويقدر لهــم قدرهم ، وألا يغتر فيبتعد عن الله بل عليه أن يلتزم بماهو عليه بلا تغيير ولا تبديل ...(336)

---

334 - انظر : المصدر نفسه ، ص : 113 ، بتصرف .
335 - جمع وتحقيق ، المصدر السابق ، ص : 153 .
336 - انظر : المصدر نفسه ، ص : 154 .

ثانيا: المرشد ضروري في التربية

ذكـــر الشـــيخ أنه لا بد للمريد في التربية من صحبة شيخ محقق مرشـــد ، قـــد فـــرغ من تأديب نفسه وتخلص من هواه، يُعَرِّف المريد بـــرعونات نفســـه فـــي كمائنها ودفائنها ، ويدله على الجمع على الله ، ويعلمـــه الفرار عما سوى الله ، ويسايره في طريقه حتى يصل إلى الله ، يوقفـــه علـــى إساءة نفسه ويعرفه بإ حسان الله إليه ، فيفيده معرفة إساءة نفســـه الهـــرب منها وعدم الركون إليها ، ويفيده العلم بإ حسان الله إليه والإقـــبال عليه والقيام بالشكر إليه ، والدوام على ممر الساعات بين يديه (337).

(أ)- صفات المرشد

المرشد أو المربي هوا لمتقيد بالشريعة ، ويعرف بد لا لته على الله والرجوع إليه والتزهيد في الدنيا وأهلها وعدم المبالاة بها مع ظهور صفة الفتح في غيره على يد يه (338). وقد أورد الشيخ صفاته نظما في الأ بيات التالية :

وللشيخ آيات إ ذالم تكن له فماهو إلا في ليالي الهوى يسري
إذا لـــم يكن علم لديه بظاهـــر ولا باطن فاضرب به لجج البحر
فأقرب أحوال العليل إلى الردى إذالم يكن منه الطبيب على خبر
وإ ن كان إلاأنه غير جامع لوصفيهما جمعاعلىأكمل الأمر
وآياته أن لا يميل إلى هوى فدنياه فيَ طي وأخراه في نشر (339)

فالمرشد لابد أن يكون متضلعا في الشريعة ، وأن يكون متدربا هو نفسه علـــى غـــيره من الخبراء بعلم الباطن الذي يعنى بأحوال القلوب وكيفية

---

337 - انظر : المصدر نفسه ، ص : 134-135، بتصرف.
338 - انظر : المصدر نفسه ، ص : 141
339 المصدر نفسه ، ص : 138

تزكيـــتها وتهذيبها ، وأن يكون متصفا بتقوى الله في السر والعلن ، وأن يكــون زاهــدا فـــي الدنيا وشهواتها وغرورها إلاّ ما يستعين به لإ قامة الواجبات نحوربه ونفسه وكل من عليه حقوقهم ، بدون غلو ولا تطرف .

(ب)- مشروعية طلب المرشد أو الشيخ المربي

ذكــر الشــيخ أحمــد التجاني أن طلب الشيخ المربي في الشرع ليس بواجب وجوبا شرعيا يلزم من طلبه الثواب ومن عدم طلبه العقاب ، لكن يلــزم مــن طــريق النظر، وذلك إذا علم المريد ما في نفسه من التثبط والتثبــيط عــن النهوض إلى الحضرة الإلهية ، وعلم عجزه عن مقاومة نفسه بمايريده منها من الدخول في هذه الحضرة بتوفية الحقوق والآ داب لاستيلاء الهوى على نفسه وإعراضها عن الله ، فإنه في هذه الحالة يجب علــيه طلــب الشيخ الكامل ، وهذا الوجوب النظري أمر وضعي طبيعي لــيس من نصوص الشرع . والذي يجب على كل فرد هو القيام بحقوق الله تعالى ظاهرا وباطنا ، ولا عذر لأحد في ترك ذلك من طريق الشرع، ولا عذرله في غلبة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه . وشبه الشيخ هــذا بالمــريض الــذي أ عضلته العلة وعجز عن الدواء من كل وجه وانعدمــت الصـــحة في حقه ، فهو بين أمرين إما أن يبقى على حاله أو يطلــب طبيــبا ماهــرا له معرفة بالعلة وأصلها ، وبالدواء المزيل لها ، وكيفية تناوله كما وكيفا ووقتا وحالاً ، وبذلك يتم علاج مرضه ويشفى .

أمــا شــيخ التعليم الذي يعلم كيفية الأمور الشرعية التي يُطلب فعلُها من العــبد أمــرا أو نهيا ، وفعلا وتركا ، فهذا الشيخ طلبه واجب على كل جاهل ، لايسع أحدا تركه .(340)

340- انظر : المصدر نفسه ، ص : 137- 138 .

ثالثاً: آداب المريد

من آداب المريد مايلي :

ـ التثبت في البحث عن المربي ، فلا يُلقي إليه نفسه حتى يتعرف على تواتر أخباره من ثقات الواردين عليه والمجاورين له ، فإن ظهرت الصفة المعروفة عليه فليصحبه وإلاّ فلا (341).

ـ عدم مخالفة المرشد سراً أو جهراً .

ـ عدم الإ ختبار للشيخ ووزن أفعاله وأحواله ، وما اتبع أحد ذلك فأفلح قط .

ـ الصدق والصبر مع المرشد (342) .

رابعاً : ثمار التربية الروحية

لهذه التربية أهمية كبرى لأنها تصنع الرجال الخلوقين، لأن القلب إذا صلح صلح ا لجسد كله وإذا فسد لم تعد للجسم قيمة ؛ هذا الشيخ محمد بن عبد الله بن السيد يصف لنا آثار التربية على خريجي مدرسة الشيخ إبراهيم نياس التربوية، فذكر أنهم قوم كثيرون مختلفوا الاتجاهات واللغات، متباعدوا الأقطار متباينوا البيئات ، متفاوتوا الأفكار والنزعات،من بينهم نخب القبائل والبيوتات،وفيهم العلماء وآباؤهم، والمشائخ وأبناؤهم وأتباعهم ،وفيهم الأغنياء والفقراء، والضعفاء والأقوياء، وفيهم السلاطين والخول والأمراء، والرعية والأعزاء والسوقة، والكل يجمعهم هدف واحد وهومحبةالله ورسوله والتعلق برضاه والتشبث بتوحيده الخاص، وكلهم يحب أخاه في الله ويتألم له كما يتالم لنفسه وذويه، ويقوم في حاجته ، كأنما يعنيه كل ما يعنى أخاه، يتواصلون في الله ، خالصون مخلصون، متوكلون علي الله، مفوضون أمورهم إلي

341 ـ انظر: المصدر نفسه ، ص : 141 .
342 ـ انظر: المصدر نفسه، ص : 142 .

الله، محسنون الظن بالله وبعباد الله، إلي غير ذلك من الصفات النبيلة التى اتصفوا بها وتميزوبها .

ولقد عبرلنا أحد الخريجين أيضاعن آثار التربية الروحية نظما فقال :

نقيم حدود الله سرا وجهـــرة ونذعن للمقدور منه ونخضـــع

ولم نتطلع غيـــر عيب نفو سنا ولم يرنا في أرضه متـــصنع

قبائل شتى ألّف الحـــق بيننا فـــلم تلفنا إلا على الله نجمع

نواصل فى المولى ونهوى لأجـله ونبغض فيه، فيه نعطى ونمنع

إلى أن قال:

ولم نخش إلا الله مادام واحدا رحيما ولا فى غيره الدهرنطمع[343]

والحـــق إني شاهد على ذلك من خلال رحلاتي إلى السنغال وموريتانيا و النـــيجر ونيجيريا و في داخل الجماهيرية الليبية، حيث وجدت تلامذة الشـــيخ إبراهـــيم نـــياس في هذه البلاد يتحلون و يتصفون بتلك الصفات المذكـــورة في النظم و في النثر ، فكانوا متحابين في الله ومتعاونين فيما بينهم ، مقبلين على الله بكليتهم ، و مدبرين عما سواه ، فترى أحدهم مثلا في مكتبه ، بجنبه قرآن أو بيده سبحة إذا لم يكن عنده عمل انشغل بذكر الله ، و كذلك الأمر في الماشي أو الراكب أو الجالس[344] .

[343] ـــ من أخبار الشيخ إبراهيم، المصدر السابق ، 57 ـ 58 .
[344]ـ انظر: الملحق السابق ، رقم: 4 .

المبحث الثالث

الشيخ إبراهيم نياس والتجديد في بعض المفاهيم

لقد أسهم الشيخ إبراهيم نياس في تغيير كثير من المفاهيم التي كانت سائدة في عالم التصوف الإسلامي و بالأخص في الطريقة التجانية، و سأذكر بعضا منها:

1- التوارث في الخلافة بغض النظر عن الأهلية

حدث في النصف الأخير من القرن التاسع عشر أن أصبحت الخلافة في الطريقة التجانية وراثية ، كما كانت في غيرها من الطرق الصوفية ، فيرث الابن أباه الخلافة ، بغض النظر عن مؤهلاته في العلم و المعرفة والاستقامة . و في هذا المعنى يقول الشيخ إبراهيم :" فأما في زماننا هذا فقد آل الأمر إلى أن من لم يكن مريدا قط يدعي الشيخوخة ، و يخبر بالشيخوخة الجهال و الضلال من جهالته وضلالته حرصا لانتشار ذكره وشهرته و كثرة مريديه ، و قد جعلوا هذا الشأن العظيم والثناء الجسيم لعب الصبيان ... حتى يتوارثونه ..."[345]

و يقول أيضا :"ونحن مسلمون تجانيون ، و الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية التجانية الورد والشروط لاغير ، فالطريقة شيء ، و أولاد الشيخ شيء آخر ، والشيخ لم يمت حتى ترك خلفاء عليها ، وأولاد صلبه حضور ، و ما لقنهم و لا قدمهم ، فنحن نكرمهم لأجل محبة الشيخ و لا تدخل لهم في أمر الطريقة ، فالطريقة كأصلها الدين الحنيف ، و العلماء هم الورثة فيها. "[346]

و كان الشيخ إبراهيم مكرما ومجلا للشرفاء و أبناء الشيخ أحمد التجاني و العلماء ، و لكنه لا يقلدهم إن جهلوا أو تجاهلوا ، و يؤكد ذلك قوله : " فلا نعطيه زمام أنفسنا في الدين و الطريقة بمجرد الولادة ،

---

345 ـ تبصرة الأنام ، إبراهيم نياس ، ورقة :11، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي النيجر .

346- رسالة الشيخ إلى العقل في موريتانيا ، مكتبة الشيخ النعمة ، انواكشوط .

وتلـــك هرقلية لا محمدية ، و نكرمه و لانقلده إذا جهل شيئا أو أشياء ، ولا نبالـــي بالتقول علينا ولا بالتهديد ولا بالغضب ، فإنا رجال لا أطفال ولا نســـاء ، من وافقنا فأهلا و سهلا ، و من خالفنا فكما قال الخضر : "هذا فراق بيني و بينك ". (347)

مـــن خلال ما سبق ، يتبين لنا أن همّ الشيخ هو حماية الدين وصيانته وفقـــا لما جاء في الحديث " العلماء ورثة الأنبياء " ، فالخلافة في الدين تكون للمستحق لها ، و المؤهل لها علما و معرفة وصلاحا ، سواء كان ابـــنا للشـــيخ أو غـــيره ، و لا شك أن ابن الشيخ أولى بها من غيره إذا توفـــرت لديـــه الأهلية و الكفاءة . و في حالة انحرافه لا يتبع ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

و مهمـــا يكن من أمر ، فإن التلميذ عليه أن يكرم ابن شيخه وفاء لأستاذه و تعبيرا عن عرفانه لمعروفه و إحسانه إليه.

2- التظاهر بالمشيخة قبل أوانها

شـــاع فـــي عالم التصوف التظاهر بالمشيخة ممن لم يتأهلوا لذلك واتخـــذوه وســـيلة لتحقيق أغراضهم الدنيوية، كجمع الأموال، أو جمع التلاميذ ، أو نيل الشهرة، أو غير ذلك . ولقد فصل الشيخ إبراهيم نياس القول في هذه القضية فذكر أن " من تصدر للمشيخة قبل وجود الإذن من الله ضـــيع ديـــنه ودنياه، وافتضح بين أبناء جنسه ، وإن أظهره الله فلا مانع لعطائه، ولكن حب الظهور قبل إبانه يقطع الظهور لما فيه من حظ الـــنفس ، ومن أراد الظهور فهو عبد الظهور ، كما أن من أراد الخلفاء فهو عبد الخفاء ، ومن لم يرد إلا ما أراد الله فهو عبد الله حقا ، والعارف بـــه حق المعرفة، لتركه مراداته لمراد الحق ..." (348) ، لذلك يوصي الشيخ بتسليم الأمر لله ، إذا أراد الله بالعبد الظهور وأظهره فهو خير له،

---

347 ـ شخصية الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ورقة: 28.

348 ـ جواهر الرسائل المصدر السابق ، ج1،ص:5

وإن لــم يظهــره الله فليــبق على مشيئة الله ولايتكلف في إظهار نفسه لأغراض بشرية .

3-انتظار الفتح

أكــد الشــيخ إبراهيم أنه" قبيح في المريد ، وقادح في العبودية ، وعــار كبير ، ورذيلة من رذائل النفس، كونه يعبد ربه ويذكره وينتظر بسبب ذلك الفتح اليوم أو غدا أو في الأسبوع أو في الشهر أو في العام ، فإن الله لا يستحق عليه أحد شيئا وهو يستحق العبادة بذاته ، فمن استبطأ الفتح فليتب إلى الله" .(349)

4-التشوف إلى المقام

مــن العيوب التي سادت في نفوس بعض المريدين تشوفهم وميلهم إلى معرفة مقامهم . والشيخ بيّن أن شرما في المريد تشوفه إلى المقامات ورؤيــة أنه جدّ واستحق شيئا (350) بل" يكون همه الله وحده ، فإن ألهمه علما أو صدمه حال قصّه على شيخه في محل خلوة فما ذكره له في ذلك فهــو هكذا ، وإن لم يقل له شيئا في ذلك فالواجب أن لا يلتفت إلىشيء من ذلك أصلا" (351) .

5- علــوم الســـر

ظهــر فــي بعــض المجتمعات الإسلامية علماء متخصصون في التنجيم والعمل بالتراب ، وكذلك المغالاة في الأسرار التي غالبا ما تكون خارجــة عن نطاق الشريعة؛ فعلوم السر ــ كما نقل الشيخ إبراهيم عن الشيخ أحمد التجاني ــ تسمى بــ "علوم الشر، فليس فيها إلا التعب ، لما فيها من شرك الأغراض المبعد عن الله " (352).

349- المصدر نفسه ، ص 24 .

350 - انظر : جواهر الرسائل المصدر السابق ، ج2،ص:117 .

351 - نزهة الأذان ، محمد الهيبة ، ورقة : 47 ، مخطوط ، مكتبة المؤلف،انواكشط ، موريتانيا .

352 - المصدر نفسه ، ورقة : 47 .

أمـــا الأدعية المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الصـــالحين فاســـتعمالها مشروع لا غبار عليه، لقوله تعالى: (وإذا سألك عـــبادي عنـــي فإنـــي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمـــنوا بي لعلهم يرشدون) (353) وقوله عز وجل: (قل مايعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما). (354)

وعلـــى الداعـــي التأدب مع الله ، وليصبر حتى يستجيب له ، فإذا وجـــد مـــا أراده فخير ، وإلا فعسى الله أن يبدله خيرا منه، يقول الشيخ إبراهيم نياس :

إذا طلبت مطلبا عدمته فضيره يدري وما دريته (355).

يعني أن المرء إذا طلب شيئا من عند الله ثم لم يجده، فالله أعلم بأن هذا الشيء ليس صالحا له ولذلك منعه إياه لطفا ورحمة له ، والإنسان لا يعلم ذلك .

---

353 البقرة :186

354 - الفرقان :77

355 - أرجوزة روح الأدب ، الشيخ إبراهيم نياس ، ص:7،ط1 ، دار المدينة المنورة، 1409 هـ- 1988م .

الباب الثالث

منهج الشيخ إبراهيم في الدعوة إلى الله

*الفصل الأول : نشاطاته وارتباطاته الدعوية

*الفصل الثاني : مواقفه ضد الصهيونية والتنصير

*الفصل الثالث : الدعوة إلى الله من خلال مؤلفاته

الباب الثالث

منهج الشيخ إبراهيم نياس في الدعوة إلى الله

مدخل:

بــدأ الشــيخ إبراهيم نياس النشاط في الحقل الدعوي مبكرا ، منذ وفاة والده سنة 1340 هــ ، وكان عمره وقتئذ عشرين عاما . فقد وجد نفسه أمام مسؤوليات التدريس والفتوى في النوازل وتوجيه الآلاف من المسلمين بعد رحيل إمامهم .(356)

وللشيخ أهداف سامية في الدعوة إلى الله تتلخص فيما يلي :

1 ــ دعــوة غير المسلمين بكل وسيلة ممكنة ليدخلوا في الدين تاركين الوثنية والمسيحية .

2 ــ الجــد والاجتهاد في توعية المسلمين ونصحهم وإرشادهم بمختلف الوسائل حتى يستمر سيرهم إلى الله وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم .

3 ــ تجنيد كل الطاقات الممكنة لنشر لغة القرآن .

4 ــ الدعــوة إلى تعميق الشعور بالأخوة الإسلامية حتى يتم للمسلمين التحرر من قيود النزعات الإقليمية والعنصرية والعرقية .

5 ــ ربــط الدعوة بالحركات والهيئات الإسلامية في العالم ، لأن هذا التعاون من مقتضيات الأخوة الإسلامية .

6 ــ التصــدي للقــوى التي تسعى لفتنة المسلمين من تبشيرية مسيحية ومن صهيونية مستترة، وغيرها. (357)

وســيتبين لنا منهج الشيخ لتحقيق هذه الأهداف في الفصول الآتية إن شاء الله .

---

356 ــ انظر: جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص: 48 .

357 ــ انظر: المصدر نفسه ، ص:51 ــ 52 .

المبحث الأول

نشاطاته في التعليم

كرس الشيخ حياته كلها في التعليم، وجاهد بنفسه وماله في سبيله، وكـان يحـرض عليه كما ورد في خطابه الموجه إلى الشباب : "أيها الشبيبة أبناء الإسلام ، هبوا من الرقاد ،وشمروا لكي تداركوا ! فإن هذا العصـر لايتأتى أن يبقى فيه أبناء المسلمين جهلة ، فتنافسوا في العلم ، علـم الدنيا والآخرة ، فنحن في عصر الصواريخ وعصر غزو الفضاء بفضـل العلـم الحديـث ، فـلا تقفـوا مكتوفي الأيدي أمام هذا التقدم البشري..." (359)

رأى الشـيخ إبراهـيم تغـير العالم بالتقدم الصناعي والتكنولوجي والبحث العلمي بفضل العلوم الحديثة ، وعلم أن صلاح الأمة الإسلامية وسعادتها في تأهب أبنائها للتنافس في هذه الميادين ، لذلك نادى الشباب المسـلم وطالبهم بالنهوض والاجتهاد والمنافسة في ميادين التعليم بدون قـيد ، كـي يواكبوا عصرهم ويسهموا في تطوير مجتمعهم الإسلامي ودفع عجلة الدين إلى الأمام .

وقـد نظـم الشيخ حركة التعليم تنظيما محكما مما أدى إلى نجاحه الباهر ، وتخرج على يديه أفواج من التلاميذ يحملون مشعل الدعوة ــ بعد ذلك ــ في السنغال وفي مختلف البلاد من القارة الإفريقية وغيرها.

أولا : المدارس القرآنية

عُنِـيَ الشيخ بالقرآن عناية شديدة ، ولازمه منذ نعومة أظفاره إلى آخر لحظة من حياته ، يختمه مرتين في الأسبوع .

وقـد أنشـأ مـدارس قرآنية لتعليم الصبيان القرآن وتحفيظهم إياه . يرسـل الأولاد إلى المدرسة القرآنية أو الكُتّاب وأعمارهم تتراوح بين

---

359 ــ الشيخ إبراهيم نياس المدرس ، المصدر السابق ، ص:10 .

الـــرابعة والســـابعة ، ويمكـــثون فيها مدة متوسطها سبع سنوات لحفظ القرآن .

1 ـــ النظام الدراسي :

تقـــوم الدراســـة علـــى فترتين : صباحية ومسائية . تبدأ الفترة الصباحية بالنسبة للمتقدمين في الدراسة ، من الساعة السادسة فجرا إلى الســـاعة الواحـــدة ظهـــرا ، يستريح خلالها التلاميذ من الساعة الثامنة والنصـــف إلـــى العاشـــرة حتى يتمكنوا من تناول طعام الفطور، ويوم الخميس كله عطلة. أما الصغار المبتدؤون فيبدؤون بعد الساعة الثامنة إلىَ الساعة الثانية عشرة نهارا .

وفـــي الفترة المسائية ، يبدأ الكبار المتقدمون في الدراسة من الساعة الثالثة حتى الخامسة فيُسَمِّعون ويسردون ما حفظوه ثم يواصلون قراءة دروس جديدة بعد المغرب إلى الساعة العاشرة ليلا ، بينما يبدأ الصغار المبـــتدؤون من الساعة الثالثة حتى الساعة الخامسة مساء . وما زالت الدراســـة فـــي هذه المدرسة تقليدية حيث يجلس التلاميذ على الأرض حامليـــن الألواح الخشبية ،غير أن التلاميذ يدرسون بنور الكهرباء بدل الحطب حاليا. (360)

2 ـــ طريقة التدريس :

يقـــوم المعلم بعملية التهجي بالطريقة الأبجدية الحرفية ، فيدرس الحروف بأسمائها وبتراتيب مختلفة حتى يميزها التلاميذ ، ثم يأتي دور الحـــركات فتدرس مع الفتحة أولا ثم مع الضمة ثم الكسرة وأخيرا مع السكون .

وبعـــد ذلـــك يكون الحرف مشكولا ومصحوبا بأحد أحرف المد الثلاثة : الفتحة مع الألف والضمة مع الواو والكسرة مع الياء .

---

[360] ـــ انظر :المصدر نفسه ، ص :40 ـــ 41 .

وبعد أن ينهي التلميذ هذه الأحرف ، يبدأ في قراءة الكلمات حتى يتمرن على القراءة تمرنا كافيا يخوله قراءة القرآن الكريم وقراءة اللغة العربية مستقبلا .

تكـــون الدراسة في البداية بالألواح الخشبية حتى يوشك أن يكمل فيعتمد على المصحف واستماع المدرس له .

كـــان الشيخ إبراهيم في بداية حياته التعليمية يتولى تدريس القرآن والعلوم الشرعية بنفسه.(361) ، ولما كثرت انشغالا ته ونشاطاته الدعوية، أسنـــد تدريس القرآن إلى علماء أبرزهم : السيد الرباني الموريتاني(362) والســـيد أحمد توري(363) السنغالي ، والسيد الحاج أست نياس(364) قريب الشيخ .

ومع ذلك ظل الشيخ يشرف على المدارس القرآنية ويراقب سير الأمور فيها حتى التحق بالرفيق الأعلى ، ويؤكد ذلك رسالته إلى أحد المعلمين: " الحمـــد لله ولـــد الروح ، أهل القرآن ، أهل الله ، السيد محمد محمود الســـلام علـــيكم ، نســـيت أن أسألك كيف صار المهدي ومحمد ياسين وخديجة ، هل هم مجتهدون في حفظ القرآن قريبا أم لا ؟ والله في

عونكم والسلام ". (365)

3 ـــ نظام الامتحان :

كـــان الشـــيخ يكوّن لجنة امتحان من حفظة القرآن ، هذه اللجنة تستمع إلى الأولاد الحفاظ فرادى ، كل حافظ يسرد ويعرض على اللجنة

---

361 ـــ انظر رسالته بخط يده إلى الشيخ سكيرج ، بتاريخ 26 ربيع الأول 1347 هـــ ، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن ، مراقي، النيجر .

362 ـــ هو أحمد ولد الرباني ، من تلامذة الشيخ الموريتانيين ، علوي من جهة أمه ، أتى به الشيخ إبراهيم نياس ليتولى تدريس القرآن في مدينته عام 1936 م ، وأسرته مشهورة بالعلم لم أقف على تاريخ وفاته .

363 ـــ لم أقف على تاريخ وفاته .

364 ـــ توفي سنة 1974 م .

365 ـــ زيادة الجواهر من يواقيت ألفاظ ودررحكم في فنون علوم شتى ، إبراهيم نياس ، جمع وترتيب أحمد أبي الفتح بن علي ، ص64 ، ط1، 1990م ، د- ب م ن .

القــرآن مــن أوله إلى آخره ، وبعد ذلك تحكم اللجنة على درجة حفظ الولد وإتقانه لعلوم القرآن . وأرى أن أقدم أنموذجا لذلك تتميما للفائدة : كتب الشيخ علي سيسى ، أمين عام وقلم الفيضة للشيخ إبراهيم ، تقريرا ينص على أن اللجنة المكونة من الحفاظ: السيد محمد محمود ابن السيد العلامة محمد الرباني، والشيخ علي سيسى بن الحسن، والسيد محمد بن الحســن سيسى، والسيد عثمان بن الحاج أبي بكر، والشيخ عبد الله ابن الشــيخ إبراهــيم نياس، والسيدة مريم ابنة الشيخ إبراهيم نياس والسيد محمــد عبد الرحمن ابن السيد عبد الله بن الحاج العلوي، والسيد محمد عــال بن فتى العلوي ، استمعت هذه اللجنة إلى عرض القرآن الكريم مــن أولــه إلى آخره من الحافظ السيد محمد الماحي بن الشيخ إبراهيم نــياس،وأقرت بالإجمــاع على جودة حفظه ودعت له ولآبائه بالخير والبركة ، تم ذلك بتاريخ 19 شوال 1371هـــ (366).

وبعــد الامــتحان وإعلان النتائج يُقام حفل كبير يحضره الأحباب والأقارب ، ويرأسه الشيخ نفسه ، وتُسلم فيه شهادات حفظ القرآن للذين نجحــوا (367)، يقيد فيها بخط يده الاسم والسن ودرجة الحفظ والذكاء ، وذلــك فرحا وسرورا بالحافظين وتشجيعا للباقين ، وإنهاضا لهممهم . كما يقوم بعد ذلك بمحاضرة دينية قيمة ، يؤكد فيها أهمية القرآن الكريم وحفظه وتجويده والتمسك به .

وبعــد الحفــظ ، يشــرع بعض التلاميذ في دراسة التجويد ورسم القــرآن .وكــان الشيخ يحرض أولاده وتلامذته الحفاظ وغيرهم على ملازمة القرآن وختمه أسبوعيا على نهجه ، ويظهر ذلك في رسالته إلى ابنــته السيدة أم سليم بعد حفظها للقرآن الكريم وهذا هو نص الرسالة :

---

366 ــ انظر : تقرير بخط الشيخ علي سيسى ، مخطوط ، مكتبة لجنة البحث والإحصاء في مدينة ، السنغال، وانظر : الملحق رقم : 27 .

367 ــ انظر : زيادة الجواهر ، المصدر السابق ، ص: 59 .

"بعـــد حفظ القرآن يا ابنتي السيدة أم سليم ، أهدي إليك هذا المصحف الكريم لتختميه في كل أسبوع على هذا الترتيب :

بكـــر عقـــود يونـــس سبحانا والشـــعرا يقطين قاف بانا[368]

فقـــد أهدى الشيخ إلى ابنته مصحفا وأرشدها إلى طريقة ختم للقرآن ليقول لها ولغيرها إن الأمر لم ينته بحفظ الكتاب ، فحفظ القرآن بداية لرحلة طلب العلم وخدمته .

وفيما يلي تفصيل طريقة الشيخ في ختم القرآن أسبوعيا :

اليوم	بداية الأسبوع	نهاية الأسبوع
السبت	أول سورة البقرة	آخر سورة " النساء"
الأحد	أول سورة المائدة	آخر سورة " التوبة "
الاثنين	أول سورة يونس	آخر سورة "النحل "
الثلاثاء	أول سورة الإسراء	آخر سورة "الفرقان"
الأربعاء	أول سورة " الشعراء	آخر سورة "الصافات"
الخميس	أول سورة "ص"	آخر سورة "الحجرات"
الجمعة	أول سورة "ق"	آخر سورة " الناس"

وقد أتى الشيخ إبراهيم نياس بطرائق وكيفيات أخرى لختم القرآن في الأســـبوع نظـــرا لاخـــتلاف الـــناس في أنماط الحياة وتفاوت القدرات والاستعدادات التحصيلية، فذكر أن من حفظ حفظ القرآن فليجتهد لختمه فـــي كل أسبوع مرة وإن استطاع أن يختم في كل ثلاث فذلك الأكمل ، لأن أفضـــل مـــا يتقرب به إلى الله كتابه المبين ، كما ثبت كتابا وسنة وإجماعـــا . أمـــا من لم يقدر على تلاوة الثلث كل يوم ولا على تلاوة

368 ـــ رسالة إلى السيدة أم سليم ، الشيخ إبراهيم نياس ، مخطوط ،مكتبة لجنة البحث والإحصاء في مدينة ، السنغال .

الســـبع فلا أقل من تلاوة حزبين كل يوم أو تلاوة ما تيسر ولو بضع آيات". (369)

أمـــا الشـــيخ فكان يختم القرآن مرتين حسب طريقته السابقة الذكر منذصـــغره ، ولم يتركه ولو مرة حتى آخر لحظة من حياته وهو على فراش المرض الذي لم يشف منه ؛ كان يقرأ حصته اليومية مرتين؛ مرة في النهار وأخرى في الليل .

وأفادنـــي الشيخ مكي إبراهيم نياس أن والده إذا كثر عنده الناس ولم يقرأ حصته اليومية ، يدخل في سيارته ويأمر سائقه بالجولة حتى يكمل قراءته ثم يعود إلى البيت .(370)

وممـــا يدل على عناية الشيخ بالقرآن وتحريض النشإ والكبار عليه ، تنظـــيمه في كل سنة حفلا يوجه فيه النداء إلى القراء لتلاوة القرآن في مســـجده بـــ "مدينة باي" ، يختمون في مدة ثلاثة أيام ما يزيد على ألف خـــتمة ، وفـــي النهاية يلقي محاضرة عن القرآن (371). ولا شك أن ما ســـبق، من شأنه أن يشجع غير الحفاظ على الاجتهاد في الحفظ ، وأن يذكر الناس على ملازمة تلاوة القرآن وامتثال ما جاء فيه .

ثانيا : المجالس التعليمية

المجلـــس ــ فـــي السنغال ــ انعقد في البداية في البيوت ، ثم انتقل منهاإلى المساجد ، وتحت الأشجار في الهواء ، وليس للمجلس فصول أو مقـــاعد، علـــى غرار المدارس الحديثة ، بل كان الطلاب يجلسون على الحصـــائر والسجادات ، وليس لطلاب المجلس عدد محدود ، يكفي أن

---

369 ــ البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين ، المصدر السابق ، ص:6

370 ــ المعلومة مسجلة في شريط بتاريخ 1/ 10 / 2002م .

371 ــ انظر :الشيخ إبراهيم نياس المدرس ، المصدر السابق ، ص:63 .

يتكاثر العدد إذا كان الشيخ مشهورا أو متضلعا في فن أو فنون ، وكان مستعدا لقبول التلاميذ .(372)

وقد أسس الشيخ إبراهيم نياس في مدينته مجلسا خاصا به يدرّس فيه شخصيا ؛ ومجالس أخرى وكّل التعليم فيها إلى كبار خريجي مدرسته ، من الجيل الأول من تلامذته ، لما كثرت انشغالا ته .ويمكن تصنيف مستويات التعليم في مجلس الشيخ إلى مستويين :

*المستوى الأول :

يخص التلاميذ الذين انتهوا من دراسة القرآن ويرغبون في دراسة مبادئ الشريعة الإسلامية واللغة العربية وله فرعان :

ـ فرع خاص بالمواد الشرعية من توحيد وفقه وغيرها ، ويشرف عليه سيدي علي سيسى .

ـ وفرع خاص بتدريس المواد اللغوية من نحو وصرف وأدب ونصوص وغيرها، ويتولى مهام التعليم فيه السيد أحمد ثيام .

والجدير بالذكر أن هذا التخصص لم يجرّهما إلى سد الباب أمام طلاب أتوا لدراسة مواد أخرى (373).

1 ـ أوقات الدراسة :

توجد فترتان للدراسة يوميا عدا يوم الخميس الذي هو يوم العطلة الفترة الصباحية : من الساعة الثامنة حتى الثانية ظهرا ، والفترة المسائية :من الساعة الرابعة حتى السادسة والنصف مساء، وفي الليل يراجع التلاميذ الدروس .

---

372 ـ انظر:تعليم اللغة العربية في المجالس السنغالية ، مصطفى جوف ، ص:7 ، المعهد العالي ، دكار ، السنغال ، 1987 م .

373 ـ انظر:الشيخ إبراهيم نياس المدرس ، المصدر السابق ، ص:49 ، بتصرف . أيضا معلومة مسجلة في شريط لمقابلتي مع ورثة الشيخ أحمد ثيام يوم 26 / 9 / 2002 م .

2ـ المقررات الدراسية

أ ـ الكتب الشرعية :

يبدأ التلميذ بتعلم المواد الشرعية قبل الشروع في دراسة المواد اللغوية والكتب المقررة هي :

ـ "مختصر الأخضري لعبد الرحمن بن محمد الأخضري"(ت 1575م) وهو كتاب في العبادات على مذهب الإمام مالك .

ـ "متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين ، ومؤلفه هو : "أبو محمد عبد الواحد بن عاشر " وهو كتاب في العقائد والعبادات .

ـ " الرسالة " لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني وهو كتاب قيم في الفقه المالكي .

ب ـ الكتب الأدبية واللغوية :

الأدب النصوص : والكتب المقررة هي :

ـ "الدالية " للشيخ أبي الحسن بن مسعود اليوسي . وهو عبارة عن قصيدة في 530 بيتا تناول فيها المؤلف فنونا كثيرة كالمدح والتصوف وعلوم البلاغة والحكم والأمثال والوقائع .

ـ "مقصورة ابن دريد " لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأنصاري تتألف من 826 بيتا ، تتناول شجاعة الشاعر وجرأته وصلابته في مواجهة الأخطار والمصائب .

ـ "لامية العرب " لثابت بن أبي أوس الأزدي (ت510 هـ) وهي منظومة في 68 بيتا ، تبدي شجاعة الناظم وكرمه وإقدامه في المعارك كما تبدي الأخلاق الفاضلة والشمائل الكريمة التي يجب أن يتحلى بها المرء .

ـ " لامية الورد " لعمر الوردي (ت749هـ) وهي قصيدة في 42 بيتا ينصح فيها المؤلف ابنه بالاتصاف بالتقوى في السر والإعلان وباجتناب الخمر والخبائث والمعاصي .

ـ "لامية العجم " لأبي إسماعيل الحسن بن علي المشهور بالطغرائي (ت 1121م) وهي قصيدة في 25 بيتا تناول فيها الشاعر شجاعته وجرأته في خوض المعارك والحروب .

النحو والصرف: والكتب المقررة هي :

ـ "المقدمة الآجرومية في مبادئ علم اللغة " لأبي عبد الله محمد بن آجَروم (ت 723م) يتناول الكتاب المبادئ الأساسية للنحو العربي .

ـ "ملحة الإعراب " لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت 1122م) يضم الكتاب 379 بيتا ، في مختلف مواضيع النحو .

ـ تحفة الأطفال وهو نظم للشيخ إبراهيم نياس في علم الصرف

ـ"لامية الأفعال " " للسيد أبي عبد الله بن محمد مالك (ت 1274م) يتكون الكتاب من 114بيتا ، تناول عدة أبواب من الصرف .

ـ "هدية المجيد " المشهور بمقدمة الكوكي من نظم العالم السنغالي الأستاذ مودو خوجا كومبا جوب بن العالم الكبير مختار جوب مؤسس مدرسة كوكي . وتميز الكتاب بتفصيل القول في الضمير وفي الجملة كذلك (374) .

3 ـ طريقة التدريس :

المدرس يلقي الدروس لكل تلميذ على حدة ، وقد تشترك مجموعة من التلاميذ في درس واحد . يستخدم المدرس التراب لإيضاح ما غمض من الدرس وخاصة في النحو والصرف وعلم الفرائض .

---

374 ـ الشيخ إبراهيم نياس المدرس ، المصدر السابق ، ص: 52 وما بعدها.

وقبل الانتقال إلى درس جديد ، يوجه المدرس الأسئلة إلى التلميذ ليقف على مدى فهمه للدرس السابق فإذا تبين له عدم استيعاب التلميذ للدرس لا يعطيه درسا جديدا .[375]

4 ــ الظروف الدراسية :

كانت الظروف صعبة لعدم توفر الكتب ، والكهرباء فكان التلاميذ يكتبون الكتب المقررة بأيديهم . أما المعيشة فكلها على نفقة الشيخ ، فما على التلميذ إلا الدراسة فقط .[376]

5 ــ نظام الامتحان :

تعـــد كـــتابة الرســـائل والإنشاء وسيلة لاختبار مستويات التلاميذ وقدرتهـــم اللغويـــة ، ومن ذلك الرسالة التي وجهها الشيخ إلى التلاميذ يأمـــرهم بكـــتابة الرسالة إليه . جاء فيها :"فإلى أشبالي فرسان اليراعة وأرباب البراعة المتصدين لسلوك سبل المعالي .

سـبل المعالــي بــنو الأعليــن ســالكة والإرث أجـــدر مـــا يحظـــى بـــه الولـــد

ليكتـــب كل أحد منكم رسالة عذراء يقترح فيها علي أن ينتظم في سلك الطلـــبة الذين يقرؤون الألفية مع "الاحمرار" ويبين لي كم قرأ من أبناء الـــنحو ..."[377] وكان الشيخ يعطي جوائز تشجيعية للمتفوقين ، ويثبت ذلك رسالته إلى الأستاذين : الشيخ علي سيسى والشيخ أحمد ثيام . وقد ورد فـــيها بعد الشكر والتحية للمعنيين : "... يليه الإعلام بأني وقفت علـــى رسائل البنين والبنات ، والله يبارك فيهم مدى الأوقات . وقد زاد شكري لكم لأنكم توليتم تعليمهم حتى بلغوا ما بلغوا فامتحنوا الرسائل ،

375- معلومة مسجلة في شريط في مقابلتي مع ورثة الشيخ أحمد ثيام ، المصدر السابق .

376- المصدر نفسه .

377 ــ الرسالة في حوزة أبناء الشيخ وتلامذته ،انظر : الملحق رقم : 28 .

فمـــا اتفقـــتم علـــى أنها أحسنها ، فأرضي صاحبها بالجائزة والتي تلي كذلك، وللجميع الشكر والرضا ..."(378)

والـــذي يلحـــظ في هذه الرسالة أن الشيخ مهتم جدا بالتعليم ويتابع ســيره ويـــتفقد أحـــوال التلاميذ مع كثرة الوفود الذين يزورونه وكثرة انشـــغالا ته. وهو رحيم بجميع الطلاب ، يشجعهم ويدفعهم إلى المزيد من الاجتهاد بتقديمه الجوائز للمتفوقين ، وبشكره وثنائه ورضاه للجميع يبعث فيهم روح الثقة والجد و يبقى تأثير ذلك خالدا في حياتهم .

المستوى الثاني :

وهو التعليم العالي ، الذي يتولى الشيخ تدريس الطلاب فيه ، تارة أمام بيته فوق المنصة ، وتارة في غرفته وتارة في المجلس ، فالمجلس ينتقل مع الشيخ حيثما انتقل .

1 ــ أوقات الدراسة

إن الحلقـــات الدراســـة في مجلس الشيخ ، كانت تنعقد بعد صلاة العصـــر فـــي غـــير شهر رمضان ، أما فيه فتنعقد بعد صلاة الظهر ، وربمـــا كـــان يخصص الصباح للمراجعة وإعداد الدروس ، لاسيما في حالـــة تفســـير القرآن الكريم ، واعتبر يوم الخميس عطلة أسبوعية لا دراسة فيه.(379)

2 ــ المقررات الدراسية

أ ــ الكتب الشرعية :

ــ تفسير معاني القرآن الكريم : قام الشيخ بتفسير معاني القرآن الكريم مـــرات متعددة في دورات كثيرة ، فسره باللغة الو ولوفية لدفعات غير قلـــيلة مـــن السنغاليين وغيرهم ، وباللغة العربية لمجموعة من تلامذته

378 ــ العقد النفيس ، المصدر السابق ، ص19.

379 ــ انظر :الشيخ إبراهيم نياس المدرس ، المصدر السابق ، ص:48.

الموريتانيين ومن شاكلهم ممن ينطق بالضاد ، وقد تم تسجيل الدورات الأخيرة في أشرطة . (380)

شـــرع فـــي تفسير معاني القرآن بعد وفاة والده حيث طلبه منه أحد طلابـــه فـــي قرية "كوسي" فكتب إلى أخيه الكبير الخليفة الحاج محمد نـــياس خطابـــا يقول فيه :" ... موجبه إعلامك بأن رجلا من تلامذتي طلـــب مني تفسير القرآن فحولته إلى غيري من جملة المفسرين ، فقال إنه سبق له نذر أن لا يطلبه من غيري أبدا ، فقلت له : أنا أيضا نذرت أن لا أرد طالـــب علم ما دمت حيا ، وليوفوا نذورهم . وقد علمت أن ليس للإنسان إلا ما سعى وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم، فلذلك تراني لم أتنافس في غيره ، كلا فكسب العلم عدتي لنفسي الوازرة إلى دار الآخرة..." (381)

وقد مدح الشيخَ تلميذُه الموريتاني الشيخ محمد عبد الله بن السيد في آخـــر تفســـيرله قبل وفاته ، بقصيدة مطولة يصفه فيها بعلوم أحار بها العقول ، علوم الأولين والآخرين يفيد الناس بها ... وفيما يلي مقتطفات من قوله(382):

واعجبـــن مـــن بحر محيط فوق كر ... ســـي نـــراه أمامـــنا مـــتربعا

هـــذا الكـــتاب وتـــرجمان مفيضـــه ... يلقي ويفتح كي نذوق ونسمعا

حشـــر المعانـــي جملـــة فـــي لفظه ... والعلـــم أجمعـــه لديـــه تجمعـــا

وتخـــال جـــبريل المـــبلغ قلـــبه ... ولســـانه طـــه الأميـــن مســـمعا

بهـــر العقـــول مدرســـا ومربـــيا ... ومـــنولا ومحـــذرا ومشـــجعا

ــ الحديث : يدرس الشيخ في الحديث الكتب الآتية :

"الجامع الصحيح " للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هــ).

---

380 ــ وفي حوزتي بعض النماذج

381 ــ الرسالة بخط الشيخ في حوزة لجنة البحث والإحصاء "بمدينة " ، كولخ ، السنغال.

382- من أخبار الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ورقة : 97- 98 .

"صحيح مسلم" للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت261هـ) .
"الموطــأ فـــي الحديث " أو "موطأ الإمام مالك" للإمام مالك بن أنس(ت 179هـ) .

كان الشيخ إبراهيم نياس يدرس الحديث في هذه الكتب ، يوميا بعد صـــلاة الظهر في المسجد إلا في أوقات تفسير القرآن ، ثم كلف سيدي على سيسى بتدريس "الموطأ " فكان يدرسه ليلا في المسجد الجامع .

ـــ السيرة النبوية : وتدرس الكتب الآتية .
"همزية البوصيري " لمحمد بن سعيد البوصيري (ت1295م) .
ـــ نور البصر في مدح خير البشر " للشيخ إبراهيم نياس .

كان الشيخ يفسر الهمزية في مناسبة الاحتفال بمولد الرسول صلى الله علـــيه وسلم ، وينطلق من الهمزية ليتحدث مع الحضور بتوسع عن السيرة وفقهها . وكان يشرح في الاحتفال الثاني للمولد ـــ بعد أسبوع ـــ كتابه "نور البصر " بتوسع .

ـــ الفقه المالكي : والمقرز في المستوى الثاني هو الكتابان الآتيان :
"الرسالة" لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني .
"المختصر" بجزأيه : الأول والثاني ومؤلفه ضياء الدين خليل بن إسحاق الجـــندي (ت 776هـ /1374م) وهو فقيه مالكي مصري . وكتابه هذا من أكثر الكتب تداولا بين المالكية .

ـــ التصوف الإسلامي : والكتب المقررة فيه هي :-
الحكـــم العطائـــية " لابن عطاء الله الأسكندري (ت 709هـــ) ، وهو شاذلي .

وقـــد اهـــتم الشـــيخ بكـــتابه اهتماما كبيرا ، وشجع تلامذته على الاستزادة منه .

"منية المريد " لابن بابا العلوي الموريتاني . وهو كتاب في فقه الطريقة التجانية وسيرة الشيخ أحمد التجاني .

"جواهـــر المعاني" ومؤلفه الخليفه علي حرا زم [383] بن العربي برادة ، جمـــع فيه كلام الشيخ أحمد التجاني ، وهو المصدر الأول في الطريقة التجانـــية .وقد دس فيه أشياء كثيرة لا وجود لها في النسخة الأصلية . وفـــي ذلك يقول الشيخ إبراهيم نياس :"... وأقرر هنا حقيقة لها قيمتها العظمـــى وهـــي أن النسخ المطبوعة من الجواهر، وهي المتداولة بين الإخـــوان ، تحـــتوي علـــى أشـــياء كثـــيرة لا وجـــود لها في نسخة المؤلف..."[384]

فمن الافتراءات على الشيخ أحمد التجاني قوله : "هذا الورد ادخره لـــي الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعلمه لأحد من أصحابه "، فهذا كذب لم يقله الشيخ رضي الله عنه ولا أحد من أصحابه [385] .

ومن الكذب أنه فضل نفسه على الصحابة رضوان الله عليهم ؛ فقد ذكر الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه ، أن فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم أيا كان لمرتبة الصحبة . وقال أيضا : "عملنا مع عملهم كمشـــي الـــنملة مـــع سرعة طيران القطاة ، لأنهم حازوا قصب السبق بصحبة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ". [386]

ـــ النحو والصرف : يدرس الطلاب الكتب الآتية :

"هدية المجيد " لمودو خوجا جوب

الخلاصـــة التـــي هـــي ألفية ابن مالك لأبي عبد الله محمد ابن مالك(ت 1274م).

[383] ـ هو معاصر الشيخ أحمد التجاني وتلميذه الأكبر.

[384] ـــ البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين ، المصدر السابق ، ص :8ـ9

[385] ـــ انظر : الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية ، المصدر السابق ، ص:14 ـــ 15.

[386] ـــ ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية ، سيدي محمد الصغير بن أنبوجة ، ص:211 ، طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر ، د – ت .

يـــتكون الكـــتاب من ألف بيت ،تناول فيه الناظم كل أبواب النحو والصـــرف ، وهـــو مشهور ومتداول في المجالس السنغالية والمعاهد والجامعات في العالم العربي والإسلامي.

"الاحمـــرار" للمختار بن بون الموريتاني وهو عبارة عن ألف بيت زيد فـــي أماكـــن متفرقة من الخلاصة كتب بالحبر الأحمر للفرق بينه وبين أبيات "الخلاصة" ويدرسه الطلاب في آخر المرحلة الدراسية.

ــ الأدب والنصوص : والكتب المقررة هي :

"مقصورة ابن در يد" وقد سبق ذكرها في المستوى الأول .

"مقامـــات الحريـــري " للقاسم بن علي الحريري (ت1122م) ورد فيها خمســـون مقامـــة علـــى مثال مقامات الهمداني (ت 1007م) ، راويتها الحـــارث بـــن همام يقص مغامرات بطلها أبي زيد السروجي ، ولغتها متينة مسبوكة ، غير أنها لا تخلو من بعض التصنع.

"الدواويـــن الكاملـــة " للشعراء الستة الجاهليين ، وهم : امرؤ القيس ، علقمة الفحل ، النابغة الذبياني ، زهير بن أبي سلمى ، طرفة بن العبد ، عنترة بن شداد .

ــ الـــبلاغة : كـــان الشـــيخ يدرس البلاغة بفروعها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع .

ــ المـــنطق : كـــان الشيخ يدرس كتاب "السلم" تأليف عبد الرحمن بن محمـــد الأخضـــري (ت1575م) ، للأجـــيال الأولى من تلامذته ، ثم أعرض عنه بعد ذلك .[387]

3 ــ طريقة التدريس عند الشيخ إبراهيم نياس :

أ ــ في تفسير القرآن الكريم : كان" يفسر القرآن بالقرآن وبالحديث ، مـــا كـــرر حكايـــة، ولا أعاد حديثا، ولا جاء بحشو، ولا تردد ينتظر

---

387 ــ انظر :الشيخ إبراهيم نياس المدرس ، المصدر السابق ، ص:53 ــ57 .

وضــوحا، ولا جــاوز آية حتى استخرج منها الدقائق، وأتى فيها ببديع الرقائق، ووضح الشرائع ، وكلما فسر القرآن تفسيرا آخر أو مر بمعنى في محل ورد مثله في محل آخر جاء بصنوف وعبر أخرى لم يأت بها في المرة الأولى" (388).

ب ــ في باقي المواد

كان اهتمام بعض شيوخ المجالس في السنغال ينصب على اللفظ وتفسيره فقط دون الاهتمام والعناية بالمعنى الإجمالي ، وخاصة في الدراسات الأدبية .

أما الشيخ إبراهيم نياس ، وإن استعمل طريقة التلقين ، فكان لا يمر بالقصيدة أو بالنص الأدبي مر السحاب ، دون أن يعنى بتحليله وإبراز خصائصـــه الفنـــية ، وذلك بالوقوف على مواطن الجمال فيه ، وعلى الأســـرار والنكت البلاغية ويعطي معلومات عامة عن صاحب القصيدة وعصـــره ، وكان يتغنى في تدريسه لاستجلاب أذهان التلاميذ وامتلاك أســـماعهم ، يقـــوم بذلـــك في سرعة غير مخلة ، لأنه لم يكن مدرسا متفرغا، بل كان إلى جانب ذلك إماما راتبا للمسجد وواعظا وشيخ تربية صـــوفية ، واتســـمت دروسه عامة ودروس اللغة خاصة بروح الفكاهة وجمال الصور والتحليل مع نقد بناء .(389)

وللخرجيـــن ، يعطـــي الشيخ إجازة في التدريس(390) ، والإجازة قد تأتي مقيدة أو مطلقة حسب أهلية المجاز له .

ثالثا: الشيخ إبراهيم نياس وتعليم المرأة

اهـــتم الشيخ إبراهيم نياس بتعليم البنات اهتماما كبيرا ، ويؤكد ذلك حفظ الغالبية من بناته القرآن الكريم في سن مبكر .

---

[388] ــ من أخبار الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ورقة: 96 .

[389] ــ انظر : الشيخ إبراهيم نياس المدرس ، المصدر السابق ، ص:61 .

[390] ــ انظر: جواهر الرسائل ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص:140.

ومــن الجديــر بالذكــر أن كل بناته تعلمن القرآن الكريم ، ودرسن مــبادئ الديــن الإســلامي ، واللغة العربية ، حتى وصل البعض إلى مستويات عالية .

ولــم يكــتف الشيخ بالعناية بتعليم البنات ، وإنما سوى بينهن وبين البنيــن فــي طلب العلم ، وكان يحرضهن إلى نيل العلى فيه ، كما في قوله :

يا أيتها البنات زاحمن إلى   نيل العلى أما بأبدان فلا[391]

وكــان يشــركهن في الحركات العلمية كما مر بنا في لجنة الحفاظ التــي امتحنــت السيد ماحي إبراهيم نياس ، هذه اللجنة مكونة من تسع حفــاظ ، ومــن بينهم امرأتان حافظتان : السيدة مريم والسيدة أم كلثوم كلتاهما ابنتا الشيخ إبراهيم نياس .[392]

ونتــيجة لعــناية الشيخ بتعليم المرأة ، تبحر كثير من بناته وحفيداته وبنات تلامذته في العلوم ، وأصبح لهن دور بارز في الحقل الدعوي، وسأذكر ثلاثة نماذج من ذلك :

ـ السيدة أم الخير ابنة الشيخ إبراهيم نياس :

تعلمــت وحفظــت القــرآن الكريم منذ صغرها، ودرست العلوم الشــرعية واللغوية ، وهي داعية كبيرة ومجاهدة في سبيل الله، أسست مــدارس فــي النــيجر ، ولها جمعية إسلامية وطنية معترف بها لدى الحكومــة ، تأثــيرها واضــح وقوي في نشر الدين ومقاومة التيارات المضادة للدعوة ، وقد سبق الحديث عنها بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من الباب الأول .[393]

391ـ مجموع رحلات الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص: 115

392 ـ تقرير بخط علي سيسي ، مخطوط ، مكتبة سيدي علي سيسي ، مدينة كولخ ، السنغال ، انظر الملحق السابق رقم : 27

393ـ انظر: الملحق السابق، رقم : 19.

ـ السيدة مريم ابنة الشيخ إبراهيم نياس [394]

حفظـت القـرآن وعمـرها خمس عشرة سنة ، ونهلت من العلوم الشـرعية واللغوية ما شاء الله ، فبادرت بتعليم أولاد المسلمين في دار زوجهـا بدكار ابتداء من 1952 م، وبمرور الزمن . وسعت مدرستها المسماة بدار القرآن الكريم لتشمل ثلاث مستويات تعليمية :

التعليم القرآني (تحفيظه)

التعليم الابتدائي مع التربية الإسلامية .

التعليم الإعدادي والثانوي . ونسبة الأجانب في المدرسة هي: 15%

ـ السيدة رقية ابنة الشيخ إبراهيم نياس :

بعـد حفظهـا للقـرآن الكريم وتعمقها في العلوم الشرعية واللغوية أسست مدرسة للتعليم ، واهتمت كثيرا بالتأليف ، ومن أبرز مؤلفاتها :

"تنبيه البنت المسلمة في الدين والحياة "

"تيسير فهم الدين للأولاد الإفريقيين من البنات والبنين "

"حظ المرأة في الإسلام". (395)

فالمـرأة عنصـر مهم في المجتمع ، إذا تعلمت ساعدت في بناء المجتمع الإسلامي ، ولا يكون ذلك إلا ببناء الأفراد وإعدادهم تربويا ، جسـميا وعقليا وروحيا وأخلاقيا ... وهذا يبدأ من ميلاد الطفل ، وللأم أكـبر دور فـي تكويـن الولـد وتربيته ، فالعناية بتعليم المرأة عناية بالمجتمع .

رابعا : البعثات الدراسية

مجـاراة مـع العصـر ، ورغبة في تربية أولاده تربية إسلامية مـتكاملة بمتطلبات عصرهم ، أرسل الشيخ أبناءه وأبناء أتباعه ، إلى

394ـ انظر : الشيخ إبراهيم نياس المدرس ، المصدر السابق، ص:69- 70 ، وانظر: الملحق رقم: 29 .

395 ـ انظر:الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ،ص:68 ـ 70 ، وانظر: الملحق رقم: 30.

المعـــاهد والجامعات الإسلامية في البلاد العربية ، لينهلوا من ينابيعها ويعودوا صالحين في خدمة مجتمعهم بعلومهم .

ومـــن أسباب ضرورة رحلة الشباب إلى طلب العلم ــ كما يرى الشـــيخ ــ هـــو أن الاســـتعمار البغيض نجح طيلة مائة سنة في سلب المســـلمين علـــم ديـــنهم وعـــوض لهم الجهل حتى إن أكابر المسلمين المســـمين بالشـــيوخ جهلة ، وبعض الشباب تثقفوا ثقافة أجنبية أورثتهم رقة الإيمان والتهاون بمقدسات الإسلام وقلة الحياء، لذلك يقول الشيخ: "فلا بد لأولاد المسلمين أن يتداركوا هذا الأمر المقيم المقعد بالرحلة إلى طلب العلم ..." (396)

ومن عادة الشيخ أن يزود الطلاب بنصائح عند رحلتهم إلى الخارج ، ومما ورد في وصيته للبعثة الموجهة إلى مصر ما يلي : "... فأوصيكم أيها البعثة والطلبة المتوجهون إلى القاهرة ، عاصمة العلم ، بأن لا تألوا جهـــدا في طلب العلم والتعمق فيه مع التمسك بمبادئ الإسلام السامية : تقـــوى الله فـــي الســـر والجهر ، ومراقبته مع الأنفاس حسب الطاقة ، والتمســـك بكتاب الله بأن يكون القرآن نصب أعينكم ..." ، واستمر في وصـــيته مؤكدا أن القرآن الذي منّ الله عليه وعليهم بحفظه ، هو كفيل بســـعادة الداريـــن ، فـــلا يســـتبدلوا بـــه غـــيره . ثم حذر من التشبه بالمعاصـــرين الذين طغت فيهم المادة عن المعنى ، لأن من تشبه بقوم فهو منهم . وارتجى الشيخ أن يتعلم طلابُ البعثة مَا فيه مصلحة لخدمة الدين والدنيا ، وإن لم يستطيعوا الجمع بين الأمرين فعليهم بخدمة الدين،

---

396 ــ انظر : خطبة الشيخ في مهرجان طلبة المدارس ، ورقة 7 ، مخطوط ، نسخ إسماعيل إبراهيم مكتبة الشيخ الحاج حسن دودو مراقي النيجر ، 1382هـ . وانظر: الملحق رقم : 31 .

بأن يتفقهوا ويتصوفوا ويتحققوا ، ليرجعوا إلى المجتمع ، ومنهم قضاة ووعاظ وكُتّابٌ وأئمة ومفتون ومدرسون كاملون ومكمّلون (397) .

وفيما يلي أبرز البعثات العلمية :

ـ البعـــثة المغربية : وهي الدفعة الأولى للمرتحلين إلى الخارج لطلب العلم ، سنة 1961م .

ـ البعثة المصرية سنة 1964م .

ـ البعثة التونسية سنة 1966م .

ـ البعثة السودانية سنة 1967م .

ـ البعثة الليبية سنة 1968م.

واستمرت البعثات حتى الآن.

والجديـــر بالإشـــارة ، أن الغالبـــية العظمـــى من هؤلاء الطلاب تم تحويلهـــم في آخر المطاف إلى مصر حيث التحقوا فيها بمعاهد وكليات متبايـــنة : كلية الحقوق ، وكلية أصول الدين ، وكلية الشريعة ، وكلية الشريعة والقانون ، وكلية التربية بأقسامها ، وكلية التجارة ، وكلية اللغة العربية بشعبها الثلاث : الشعبة العامة ، التاريخ والحضارة ، الصحافة والإعلام.

كـــان الشـــيخ يتكفل بنفقات سفر البعثات العلمية وإقامتها ، ويسافر إلـــيهم في أماكن الدراسة لتفقد أحوالهم المعيشية ومستوياتهم الدراسية ، ويـــزودهم بتذاكر السفر لقضاء الإجازة في السنغال . وإذا وصلوا إلى الـــبلد يستضـــيفهم ويســـكنهم في دار الضيافة ، ويتناول معهم وجباته الغذائية ، ويزور مع بعضهم الحقول ، وقد يسافر معهم ، وكل ذلك لا

---

397 ـ رسالة بخط يدالشيخ إلى طلبة العلم الموجهين إلى مصر ، مخطوط ، لجنة البحث والإحصاء في مدينة ، السنغال ، 1964م.

يمنعه من مواصلة دراسة ومناقشة بعض المتون معهم وتصحيح بعض المفاهيم (398) .

والحق ، أن هذه المعاملة الطيبة أسلوب دعم وتعزيز ، أسلوب تنشيط وتشجيع ، أسلوب ترغيب وإنهاض لهمم الأولاد الذين هم في المجالس والمدارس ، ليزيدوا من التحصيل والمثابرة ، حتى يتمكنوا من الذهاب إلى الوطن العربي لمواصلة الدراسة.

ومما هو مشهور أن الشيخ كان يأمر بتنظيم أمسيات ثقافية يشارك فيها الطلاب باختلاف مستوياتهم الدراسية ، بخطبهم وقصائدهم ، يدير الجلسات أمين سره الشيخ إبراهيم محمود جوب ، وهو المعلق على الكلمات والأشعار التي ألقيت، وفي النهاية يلقي الشيخ كلمته ، يتحدث فيها عن القضايا المعاصرة محرضا الطلاب على مزيد من الاجتهاد في التعلم والتثقيف والبحث، ومما ورد في كلمته في إحدى المناسبات قوله: "... أشكركم على كلماتكم الرائعة ، وإلى الأمام ، فإن مستقبل كل وطن إنما يتوقف على شبابه ، لكن لا على كل الشباب، بل على الشباب المثقفين ذوي الأخلاق الحميدة والهمم العالية. فأما الشباب بلا ثقافة ولا أخلاق فغرس بلا ثمر ... " . واستمر الشيخ في كلمته محرضا الطلاب على الجد والاجتهاد في تحصيل العلم ، ليس علم الفرائض والنوافل فحسب ، وليس علم الحساب فحسب ، وليس علم اللغة والنحو والصرف والبلاغة بفروعها فحسب ، ولكن بمشاركة من ترقت هممهم إلى أسرار الكون . (399)

---

398 ـ انظر :الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ص: 80 ـ86 .

399 ـ انظر : جواهر الرسائل ، المصدر السابق ، ج2،ص:28 ـ29.

خامسا : معهد الحاج عبد الله نياس الإسلامي

أسس الشيخ هذا المعهد سنة 1970م ، لمواكبة العصر والتمشي معه لأن الأساليب والوسائل التعليمية تطورت ، فأراد الشيخ أن يتمشى مع متطلبات العصر حتى يكوّن جيلا مسلما قادرا على خدمة المجتمع الإسلامي دينا ودنيا .

وعند تدشين المعهد ألقى خطبة بليغة تدور حول العلم وفضله وتحريض الشباب عليه مع الصبر والمثابرة في تحصيله ، يقول : "... أيها الطلبة أوصيكم بالجد والصبر والاجتهاد ، ولا بد من التعب ، من أراد العلم لا بد أن يصبر على الجوع ، لا بد أن يصبر على النوم ، لا بد أن يعتزل الخلق ، لا بد أن يترك الكلام مع أقرانه ، من لم يكن يطيق منكم الجوع ولا يفارق أقرانه ولا بد له من النوم كله ، فليترك العلم ، فلا يكون له العلم أبدا ..."، واستمر يوصيهم بتعلم جميع العلوم والفنون التي فيها نفع في الدنيا والآخرة، ثم بيّن سبب تسمية المعهد بمعهد الحاج عبد الله نياس ، مؤكدا أن تلك التسمية ليست عاطفية ولا عنصرية ولا مجازاة ولا مكافأة ، وإنما هي تعبير في الحقيقة عن الواقع، إذ الحاج عبد الله هو أول من نصب هذا المعهد "...وأنا طالب من تلامذته ..." على حد قوله ، وأضاف قائلا : "... كنت أتمنى جدا أن أكون منشئ هذه المدرسة ، في زمنه لم تكن البنايات موجودة ، بل حلقات في المساجد على عادتهم ، وهذا الزمن يقتضي منا أن نجاوز الزمن ونفعل ما يوافق أبناء العصر ، فأنشأت بناية هذا الفرع من ذلك المعهد الممتد من كل أقطار السنغال وفي كل أقطار إفريقيا ... " (400)

400 ــ انظر: خطبة تدشين المعهد بخط يد الشيخ إبراهيم نياس ، ورقة: 1 ــ3 ، مخطوط ، ملف وثائق المعهد ، مدينة، السنغال، 1970 م .

بدأ المعهد بالمرحلة الابتدائية ثم تطور فتكون من ثلاث مراحل : المرحلة الابتدائية ــ المرحلة الإعدادية ــ والمرحلة الثانوية (401).

يستقبل المعهد الطلاب السنغاليين والأجانب من مختلف الدول الإفريقية مثل غامبيا ، وغينيا ، ومالي ،والنيجر ، ونيجيريا ، وتوغو ، وغانا وسيراليون ، وكوتديفوار(ساحل العاج) ، وبينين وبوركينا ...

ولقد قام المدير الشيخ نذير ابن الشيخ إبراهيم نياس (402) بجهود لا يستهان بها في تطوير المعهد ، وجلب الأساتذة وإنشاء مدارس فرعية تابعة للمعهد ، في السنغال والدول المجاورة ، وقام بتوحيد المناهج بين هذه المدارس على الرغم من نقص الإمكانيات المادية والتربوية ، فكان يطالب تلاميذه بنسخ المقررات بالكتابة اليدوية ويرسلها إلى المدارس الفرعية(403).

وتمكّن المدير أيضا من توفير كتب كثيرة للمعهد من الأزهر ، وبعض المنح الدراسية سنويا للخريجين من تلامذته. ونتيجة لعلاقة والده مع مصر ومع الشعب الموريتاني وحكومته ، استطاع أن يزود المعهد بأساتذة مصريين وموريتانيين ، وعدد أفراد البعثة الأزهرية يتراوح بين خمسة وعشرة أفراد ، وعدد البعثة الموريتانية لا يقل عن ثلاثين. (404)

أ ــ نظام الدراسة في المعهد

401 ــ انظر: شخصية الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ورقة: 17، بتصرف.

402 ــ ولد سنة 1938م بمدينة كولخ حفظ القرآن منذ صغره ، وتابع دراسته الشرعية على يد الشيخ علي سيسي والشيخ عبد الله ثيام ثم على يد والده الشيخ إبراهيم نياس ، ثم سافر إلى المغرب وإلى القاهرة للدراسة . تولى إدارة المعهد سنة 1970م حتى 1998م حيث وافته المنية رحمة الله عليه .

403 ــ انظر: الشيخ إبراهيم المدرس ، المصدر السابق ، ص :101

404 ــ **معلومة مسجلة في شريط لمقابلتي مع أحد أفراد البعثة الموريتانية في مدينة بالسنغال بتاريخ 12/2 /2002 م .**

إن الدراسة في المعهد تتم باللغة العربية باعتبارها اللغة الأولى ، بيـــنما تدرس اللغة الفرنسية لغة ثانية في المستوى الابتدائي ،في حين أن اللغة الإنجليزية لا تدرس إلا في المستويين: الإعدادي والثانوي .

والتلامـــيذ يدرســـون في المعهد بطريقة عصرية ، يتلقون الدروس من الأساتذة النظاميين الذين يستخدمون طرق التدريس ووسائل الإيضاح.

ب ــ مراحل الدراسة

1 ــ المرحلة الابتدائية

إن مـــدة الدراســـة فيها ست سنوات ، بدأت الدراسة فيها منذ افتتاح المعهد عام 1970م ، ويدرس التلاميذ يوميا خمس ساعات مقسمة على ست حصص دراسية ، وزمن كل منها خمس وأربعون دقيقة ، تتخللها فترة استراحة مدتها ثلاثون دقيقة . ولتفصيل ذلك أورد الجدول الآتي :

المواد الدراسية	عدد الحصص الأسبوعية في كل مادة					
	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة	سادسة
القرآن	5	5	5	5	5	5
تربية دينية	5	5	5	5	5	5
تفسير القرآن			1	1	1	1
الحديث النبوي			1	1	1	1
القراءة	5	5	5	3	3	3
التعبير (المحادثة)	5	5	3	3	1	1
النحو والصرف			2	2	3	3
التاريخ والجغرافيا			1	2	2	3
العلوم			2	2	2	2
الحساب	5	5	3	3	3	3
الأناشيد والمحفوظات	1	1	1	1	1	1

اللغة الفرنسية	3	3	3	3	3	3
الرياضة البدنية	1	1	1	1	1	1
عدد الحصص في الأسبوع	30	30	33	32	31	32

تنبيهات :

ــ إن الأعداد المذكورة في الجدول (أولى ، ثانية...) تمثل السنوات الدراسية في المرحلة الابتدائية .

ــ الأماكن الخالية في الجدول تدل على عدم دراسة المادة في الفصل.

ــ التربية الدينية تشمل العبادات والتهذيب والسيرة النبوية ، والعقائد

2 ــ المرحلتان : الإعدادية والثانوية

افتتحت المرحلة الإعدادية عام 1976 م بعد سنة من وصول أول بعثة تعليمية من الأزهر الشريف، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

أما المرحلة الثانوية فكان افتتاحها سنة 1984م ، ومدة الدراسة فيه أربع سنوات ، وزمن الدراسة في المرحلتين خمس ساعات وثلاثون دقيقة يوميا ، مقسمة على سبع حصص دراسية ، زمن الواحدة خمس وأربعون دقيقة ، وفترة الاستراحة لا تتجاوز خمس عشر دقيقة . والجدول الآتي يبين أنواع المواد الدراسية وعدد الحصص الأسبوعية لكل مادة في المرحلتين :

عدد الحصص الأسبوعية في كل مادة							
المواد الدراسية	المرحلة الإعدادية			المرحلة الثانوية			
	أولى	ثانية	ثالثة	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة
القرآن الكريم	3	3	3	3	3	3	3
التفسير	1	1	1	1	1	1	1
الفقه	3	3	3	3	3	3	3
التوحيد	1	1	1	1	1	1	1
الحديث	1	1	1	1	1	1	1
التجويد	1	1	1	1	1	1	1
النحو والصرف	3	3	3	3	3	3	3
الإنشاء	1	1	1	1	1	1	1
البلاغة				1	1	1	1
الأدب والنصوص	3	3	3	3	3	3	3
المطالعة	1	1	1	1	1	1	1
المنطق				1	1	1	1
التاريخ والجغرافيا	2	2	2	2	2	2	2
العلوم	2	2	2	3	3	3	3
الرياضيات	2	2	2	2	2	2	2
الفلسفة							1
علم النفس							1
الفرنسية	3	3	3	3	3	3	3
الإنجليزية	3	3	3	3	3	3	3

عدد الحصص	30	30	30	33	33	33	35

ملحوظة:

إن مادة العلوم تتفرع في الثانوية إلى ثلاث مواد هي : الفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي (الإحياء) .

ج ـ الامتحانات :

يجري في المعهد والمدارس التابعة له اختبار نصف العام الدراسي ، في الأسبوع الثاني من شهر فبراير من كل عام ، واختبار آخر العام الدراسي في شهر يونيو من كل عام لمعرفة من يستحق الانتقال من فصل إلى آخر أعلى منه ، ومن يرسب يعيد السنة نفسها . كما تجرى فيه امتحانات لنيل شهادات : ابتدائية وإعدادية وثانوية ، يشترك في هذه الامتحانات التي تقام في الأسبوع الثالث من شهر يونيو من كل عام ، تلاميذ السنة الأخيرة من كل مرحلة من المراحل الثلاثة ويـنظم الدور الثاني في الأسبوع الثاني من شهر أكتوبر من كل عام دراسي ، وذلك لإعطاء فرصة أخرى للتلاميذ الذين لم يوفقوا في الدور الأول . هذه الفكرة للدور الثاني لم تظهر إلا مع وصول البعثة الأزهرية .

والمعهد ينظم أمسيات ثقافية يشترك في إثرائهاالتلاميذ والأساتذة، ولا شك أن هذا الأسلوب له أهميته التربوية في تكوين شخصية التلاميذ علميا وثقافيا .

د ـ الإجازات والعطل

يتعطل تلاميذ المعهد عن الدراسة يومي السبت والأحد أسبوعيا، في المرحلة الابتدائية ، بينما يتعطلون يومي الجمعة والأحد في المرحلة

الإعداديـــة والـــثانوية . ولجميع المراحل إجازة نصف العام الدراسي مدتها عشرة أيام والعطلة الصيفية التي تمتد إلى ثلاثة أشهر . ويتوقف المعهد عن الدراسة كذلك في الأعياد الدينية الإسلامية والوطنية .(405)

سادسا: مكتبة الشيخ

للشـــيخ مكتبة جمعت أمهات الكتب الإسلامية والعلمية والثقافية ، وهي مزودة أيضا ، بالمعاجم والخرائط والإحصائيات التي تصدر عن المـنظمات العالمـية الإسـلامية المتخصصـة ، كمـا تضـم جناحا للمخطوطات النادرة .

وكانــت تــرد علــى المكتبة أعداد كثيرة من المجلات والجرائد الشــهرية والأســبوعية من مختلف البلاد العربية والإفريقية ، بمختلف اللغات(406).

والشــيخ في وصيته عند وفاته ارتجى إبقاء هذه المكتبة بجميع ما فــيها مــن الكتــب حيث يقول : "... وإن رأوا أن يبيعوا جميع تركتي وكتبي ما عدا المخطوطات فذلك لهم ، وإن رأوا إبقاءها فأرجو الله أن يغنــيهم عن بيعها ، وكتب والدي تبقى وقفا على عقبه كما أوصى بذلك رضــي الله عــنه ..." (407) ، و الحمد لله بقيت الكتب كما أراد الشيخ ، وجزى الله أولاده خير الجزاء ، وستحول المكتبة هذه إلى مركز ثقافي حيــث بنيــت قاعاتــه على سطح المسجد الجامع ، ويُنتظرُ الدعم من المحسنين لإكمال هذا المشروع حتى ترى المكتبة النور إن شاء الله .

405 ــ انظر :الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ورقة: 95 ــ 99 .

406 ــ انظر : شخصية الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ورقة: 20 وأنا شهدت بذلك حيث أني استفدت من المكتبة خلال إقامتي في مدينة الشيخ التي استغرقت تسعة أشهرلغرض جمع المادة العلمية سنة 2002م .

407 ــ زيادة الجواهر ، المصدر السابق ، ص:41 ــ 42 .

المبحث الثاني

ارتباطاته الدعوية

أولا : رحلاته في سبيل الدعوة

مما اشتهر به الشيخ إبراهيم نياس ، اهتمامه بتقصي أحوال المسلمين ، مجاهدا في سبيل ذلك بماله ونفسه ، فكان يتابع الأخبار عبر الإذاعات المختلفة الوطنية والعالمية ، ويطالع الكتب قديمها وحديثها ، وكذلك الصحف والمجلات دائما (408) ليقف على المستجدات من أخبار الأمة الإسلامية.

ولحرصه الشديد على الإسهام بدوره في البحث عن طرق حلول مشاكل المجتمع الإسلامي ودفع عجلة الإسلام إلى الأمام ، قام برحلات عديدة إلى مختلف البلدان في ثلاث قارات : إفريقيا وآسيا وأوربا ، فلم يغلق الباب على نفسه ولم يتخذ أسلوب العزلة في منهجه للدعوة فهو اجتماعي فطريا وتنشئة ، إذ كان بيت والده وبيته من بعده ، ملتقى للعلماء والطلاب والزوار: في داخل السنغال ، لم يترك إقليما إلا زاره عدة مرات إما للدعوة إلى الله أو لصلة الرحم . ومن الدول التي زارها في إفريقيا : النيجر ، نيجيريا ، ليبيا ، موريتانيا ، غينيا ، مالي ، بينين، سيراليون ، ساحل العاج ، توغو ، إفريقيا الوسطى ، كميرون ، غانا ، موزمبيق ، مصر ، الجزائر ، تونس ، المغرب ، غامبيا ، ... ومن الدول الآسيوية زار : السعودية ، الكويت ، العراق ، لبنان ، الأردن ، سوريا ، أبوظبي ، فلسطين ، باكستان ، الهند ، الصين ، هنكوك ، بنكوك ، ... ومن الدول لأوربية التي زارها : فرنسا، إيطاليا، بلجيكا ، لندن ،...

---

408 ــ معلومة مسجلة في شريط ، في مقابلتي مع مكي ابن الشيخ إبراهيم بمدينة في السنغال بتاريخ 10/1 /2002م .

لـــم يزر أمريكا بجسمه ولا أستراليا لكنه دعاهما إلى الإسلام معنى. يقـــول أمين سره الشيخ إبراهيم محمود جوب في ذلك : "... ولكنه ذات مرة كنا في حفلة يوم عيد المولد النبوي في كولخ ، الخاصة بالمستعربين والعـــرب ، كان يختمها بخطبة يعدها ويلقيها ، فاجأنا بدعوة وجهها إلى الأمريكتيـــن وإلى أوروبا ، يدعو الجميع وهو على منبره ، على منصته يدعوهـــم إلـــى الله ويتلو قوله تعالى:(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَـــوَاءٍ بَيْنَـــنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (409) .

وقد سجل الشيخ وقائع بعض رحلاته في أربعة كتب مختلفة : "الرحلة الكـــنارية والكماشـــية" ـــ "نفحات الملك الغني ".(410) الرحلة الحجازية الأولى " ـــ "نيل المفاز بالعودة إلى الحجاز"411

وتـــارة يذكـــر بعـــض البلدان التي زارها في قصائده الشعرية . وسأذكر بعض الشواهد على سبيل المثال لا الحصر :

يقول الشيخ إبراهيم نياس :

ـ تذكـرت مخـــتار الخلائـــق موهـــنا   لـــدى ليبيا الغراء وأرضى بما قضى(412)

قـــال هذا البيت الشعري وغيره في ليبيا عندما زارها وقد سبق الحديث عن هذه الزيارة .

ـ ببلجـــيكا يـــوم ثـــم يومـــاتجوُلاً   بقاهـــرة أبغـــي هـــناك جمـــالا(413)

هـــذه إشارة إلى زيارته لبلجيكا في أوربا ، ومصر لزيارة صديقه جمال عبد الناصر .

409 ـــ آل عمران:64 . معلومات مسجلة في شريط بصوت الشيخ إبراهيم محمود جوب . وانظر : جواهر الرسائل ، المصدر السابق ، ج1 ، ص:22 .

410 ـــ وقد جمع ابنه الشيخ محمد المأمون هذه الكتب في كتاب واحد سماه "مجموع رحلات الشيخ إبراهيم " .

411- انظر: آثاره العلمية في الباب الأول.

412- نزهة الأسماع والأفكار في مديح الأمين ، المصدر السابق ، ورقة: 249 .

413- المصدر نفسه ، ورقة : 220 .

ــ بكولخ طورا أو بيوف ومرة		بــباريس دار الفاسقين كسالا(414)

إشارة إلى زيارته لبازيس .

بيــيروت نحو الصين بالشرق خادما رســـول إلــه العــرش وهو تعالى(415)

يقــر بزيارته إلى لبنان ثم الصين بدعوة من الجمعية الإسلامية الصــينية .(416) وهـــذا مـــا يلمح به الشيخ أن هدف هذه الزيارة وغيرها هو خدمة الدين الإسلامي الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ــ كراتشـــي بهـــا خلفتُ أهل مودتي هــمُ نصــروا ديــن النبــي فِعَالا(417)

يتحدث عن زيارته لباكستان والأثر الذي تركه فيها ، وكان وقتئذ نائـــبا للمؤتمـــر العـــالم الإسلامي بكراتشي ، وبها أمانة المؤتمر الإسلامي ، ومقر رئاسته في لبنان .(418)

ــ بلاهــور بالهـــند القديــم عمارة مســيري إلـــى المولى وجل جلالا(419)

دلالة إلى زيارته للهند .

ــ لهــنكوك من بنكوك جاء خديمكم يوالـــي لـــك الأبســفار وهـــو أطـــالا (420)

يشير إلى زيارته لهنكوك وبنكوك.

ــ وجاءنـــي مـــن بورنو والمراقي قـــوم كـــرام رغـــبة التلاقـــي
مـــنهم محمّـــدٌ ومـــنهم موســـى كفاهمـــا ربـــي بـــلا وبؤســـا(421)

414ـ المصدر السابق ، ص: 220 .
415ـ المصدر السابق ، ص: 220 .
416ـــ معلومة مسجلة في شريط بصوت الشيخ إبراهيم محمود جوب، المصدر السابق .
417ـ نزهة الأسماع والأفكار في مديح الأمين ، المصدر السابق ، ص:220 .
418ـــ معلومة مسجلة في شريط بصوت الشيخ إبراهيم محمود جوب ،المصدر السابق .
419ـ نزهة الأسماع والأفكارفي مديح الأمين ، المصدر السابق ، ورقة:220 .
420ـــ المصدر نفسه ، ورقة: 220 ـــ 221 .
421ـــ مجموع رحلات الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ص:69 .

يتحدث هنا عن رحلته إلى الحجاز فمر ببلاد منها نيجيريا حيث نزل بكانو فأتته الوفود من داخل نيجيريا ومن الدول المجاورة ، فقوله: " والمراقي " إشارة إلى وفد النيجر لأن "مراقي" مدينة من المدن النيجرية ، واكتفى بذكرها فقط للإيجاز لأن مجموعات كثيرة من مدن أخرى أتته مثل وفد جيوتا الذي يرأسه صهره الشيخ أبوبكر هاشم ...

ـ بجوت مياك قد ذكرتك موهنا وقد نام كل الناس والقلب يرجف(422)

بهذا البيت وغيره يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في جوتا بالنيجر أثناء زيارته لها ، إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التي لايسع المقام لسردها .

والجدير بالذكر أن الشيخ إبراهيم تعب كثيرا في رحلاته لأجل الدعوة إلى الله ، ويظهر ذلك في الأبيات الشعرية التالية :

علوت البحار الزاخرات وإنني علوت القرى والمدن بله الجبالا
أروم رضا الباري لنصرة دينه وأبرز للجيل الجديد مثالا
ضعيف عليل شائب متحمس لينصر دينا لا يريد قتالا

إلى أن قال :

فيا رب قرر لي العيون بأن أرى سوى الحق من ذا القرن زال وزالا
ويعلو لواء الهاشمي وقد هوى لوا الغي والطغيان وهو تعالى(423)

والمضمون في هذه الأبيات هو أن الشيخ يذكر بعض الصعوبات التي لقيها في رحلاته الدعوية ، فكان يقطع البحار المتلاطمة الأمواج ويشق الغابات والطرق الوعرة والأماكن الجبلية ، لكي يصل إلى القرى النائية ويدعوها إلى الله ، منذ فترة شبابه حتى بلغه الكبر واشتعل رأسه شيبا وضعف جسمه ونقصت صحته ، وكل ذلك لم يؤثر في نشاطاته بل كان متحمسا جدا في دعوته إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ،

---

422 ـ مجلة المولد النبوي الشريف ، مدينة جوتا ، سنة 2002 م، د- ب م ن .

423 ـ نزهة الأسماع والأفكار في مديح الأمين ، المصدر السابق ،ورقة: 221 .

بعـــيدا عـــن أسلوب القتال والعنف . وكان يدعو الله سبحانه وتعالى أن يحقق رجاءه وهو أن يعمَّ الإسلام الدنيا كلها ، وينتشرَ الحق ، وينمحيَ الباطل ، وتعودَ السيادة والعز والمجد والسؤدد إلى الإسلام والمسلمين ، ويـــنهزمَ أعداء الدين وكيدهم ، ويصيروا أشد سفلا من السافلين ، فتقر عيونه .

ثانيا : نتائج رحلات الشيخ نياس إبراهيم

وتتلخص فيما يلي :

1ـ هداية الملايين من البشر على يديه ، منهم من كان قبل ذلك وثنيا ، ومـــنهم مـــن كـــان مسيحيا ، ومنهم من كان مسلما ، فانخرط في سلك أتـــباعه فاســـتفاد مـــنه روحيا وحسيا ومعنويا علما وأدبا وخلقا ظاهرا وباطنا . وأرى أن آتي ببعض الشواهد :

(أ)ـ فقلـــت لا إلـــه إلا الله ... محمـــــد أرســـله الإلـــه
فقالهـــا الكفـــار والمجـــوس ... والأُمَـــرَا فطابـــتِ الـــنفوس
كذلـــك النســـاء فالتوحـــيد ... هـــناك منصُورُ اللوَا مجيد(424)

يذكـــر الشـــيخ هنا الفتوحات التي نالها في غانا ، وبالتحديد في مديـــنة "يـــند " حيـــث أسلم على يديه كثير من الناس،منهم الكفارومنهم المجـــوس ومنهم الأمراء ومنهم الملوك رجالا ونساء، وحدث ذلك سنة 1371هـــ .

(ب) ـ كذاك في تمل حين قلت ... كلمـــة التوحـــيد إذ نطقـــت
أنطقـــت كـــل الـــناس بالشهادة ... وهـــم ألـــوف قبلوا السعادة(425)

قـــال الإمـــام الشـــيخ حسن ابن سيدي علي سيسي أنه رأى في المـــتحف البريطانـــي أنه دخل في ذلك اليوم الإسلام أكثر من أربعة

424 ـ مجموع رحلات الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص:97 .

425 ـ المصدر نفسه ، ص:97 ـ 98 .

آلاف شخص في تلك المدينة التي ذكرها الشيخ وهي مدينة تمل بغانا ، وتاريخ الرحلة سنة1371 هـ أيضا. (426).

(ج) ـ بعد انتهاء دورة الأعمال لرابطة العالم الإسلامي التي كان الشيخ عضوا تأسيسيا فيها ، وفي طريقه إلى السنغال مرّ بدول إفريقية، وهدى الله على يديه آلافا من الناس . ذكر ذلك في رسالته إلى الأمين العام للرابطة بعد ما شكره على الحفاوة وكرم الضيافة أيام إقامته للدورة سنة 1390 هـ ، يقول :" ... يليه الإعلام بأني وصلت إلى أرض الوطن سالما ، ووجدت الأهل والإخوان كذلك ، بعد جولة في أنحاء نيجيريا وداهومي وساحل العاج ، واعتناق الآلاف من هذه الأقطار الدين الحنيف ، والحمد لله ..." (427)

د ـ ذكرت الصحف والمجلات الحكومية الوطنية والدولية الموثوق بها أعداد تلاميذه كما يلي :

تقول "صحيفة الشمس" لحكومة السنغال في عددها الصادر بتاريخ 1975/7/29م : " .... وأتباعه يعدون بالملايين ... " (428)

أما مجلة "آخر ساعة" المصرية فتقدر تلاميذ الشيخ وأتباعه بأكثر من ثلاثين مليونا في عددها الصادر في 6 أغسطس 1975م .

وقد ذكر حفيده وإمام مسجده الشيخ حسن ابن سيدي علي سيسي ، في حديثه مع صحيفة الدعوة الإسلامية ، بأن عددهم وصل إلى مائة وعشرين مليون تلميذ .(429)

فهم يتزايدون دائما بفضل جهود أبنائه وحفدته ومقدميه الذين يواصلون المسيرة وفقا لمنهجه الدعوي ، لكن الشيخ لا يهمه كثرة العدد

---

426 ـ المصدر نفسه ، هامش ص: 98 ، والشيخ جسن سبقت ترجمته .

427 ـ العقد النفيس ، المصدر السابق ، ورقة: 65 .

428 ـ ملف الشيخ إبراهيم نياس ، وثيقة بتاريخ 29 /1975/7 م، المركز الوثائقي الوطني ، دكار ، السنغال.

429 ـ انظر : صحيفة الدعوة الإسلامية ، العدد 841 ، ص:3 ، طرابلس ، ليبيا ، 2003 م ، بتصرف.

بقــدر مــا يهمه صلاح التلاميذ واستقامتهم وتقواهم وتطبيقهم الشريعة الصحيحة بلا تفريط ولا إفراط ، وفق ما جاء بها سيدنا محمد صلى الله علــيه وسلم ، فقد قال للصحفي الذي سأله عن عدد تلامذته : " ... لا أعلم عددهم ولم أحاول ذلك ، فالذي يهمني بالدرجة الأولى هو أن يهدي الله فردا أو أفرادا إلى دينه الحق على يدي أو على يد غيري ..."(430)، ولذلك ظل الشيخ يوصي المنتسبين إليه دائما بتقوى الله حتى عند وفاته حيث يقول : " ... وأوصيكم وأوصي نفسي بتقوى الله في السر والجهر وصــلة الــرحم والمحافظــة علــى الــورد التجاني فهو كنز للأحياء والأموات ... " (431)

2 ـ مــن نــتائج رحلاتــه ملاقاته لعلماء عصره في مختلف الدول الإســلامية متباحثا معهم في العلم وفي شؤون الأمّة الإسلامية ونتيجة لذلك نال ثقتهم حيث اعترفوا وأقروا بتفوقه في علوم الشريعة والحقيقة وبمكارم أخلاقه ؛ فمنهم من سلموا له القيادة وجددوا التتلمذ على يديه ، ومنهم من زودوه بكل ما يملكونه من الفوائد والأسرار النادرة ، ومنهم مــن أجازوه بكل ما عندهم من الإجازات في العلوم المختلفة والإطلاق في الطريقة التجانية ، و منهم من وصّوا أولادهم و تلامذتهم بالانخراط في سلك تلامذته و تسليم القيادة الروحية له ، ومنهم من أثنوا عليه ... ، وسأذكر بعض الشواهد كنماذج :

* يقول الشيخ أحمد التجاني بن عثمان(432) :

فكــن لي أيا شيخي وليا وناصرا   حفــيا معيــنا فالعدو كثير

---

430 ـ جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ،ص :51 .

431 ـ زيادة الجواهر ، المصدر السابق، ص:42 .

432 هو عالم كبير وبحر عميق في العلم ، معاصر للشيخ إبراهيم ، من أعيان العلماء في نيجيريا ، جدد تتلمذه على الشيخ .

رموني ووشوا بي وسبواوزندقوا بتزويرهم أنّي إليك فقير
بدون ذنوب غير أني أحبكم وآثركم قافٍ ومالي غيرُ
وقفوي لكم قفو لطه أحقه على ذامن الأعداء بان نكير
فكونوا لنا دنيا وأخرى تفضلا بلاسبب منا تلين صغور (433)

المقصود من الأبيات بإيجاز هو أن قائلها وهو الشيخ أحمد التجاني النيجيري ، تعرض لإذاية الناس عليه وسخريتهم منه ، لأنه سلم قيادته للشيخ إبراهيم وهو علاّمة في العلم وله تلاميذ كثيرون، فاشتكى ذلك إلى الشيخ ، وأقرّ له بأنه فانٍ في حبه ومقتد به لأنه اقتدى بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطلب من الشيخ أن يدعو له بسعادة الدارين . ويُلحظ من قوله أنه سلم للشيخ تسليما تامّا بحيث لا يرى نفسه وعلمه.

* الشيخ الهادي بن الشيخ مولود فال : هو موريتاني وعالم كبير ، والده من مشايخ الشيخ عمر الفوتي ، وهو الذي أتى بأسرار الطريقة التجانية إلى إفريقيا ، جدد الشيخ الهادي الطريقة والتّتلمذ على يد الشيخ إبراهيم، واتخذه الشيخ سفيرا له إلى بعض الدول الإفريقية و أبرزها نيجيريا .

* الشيخ محمد المشري الموريتاني (434) يقول :

عليكم سلامي من مدينة كولخ ومن أرض سنغال عليكم ومن أرضي
فموجبه أني دواما أحبكم ومالي من نفل سواكم ولا فرض
وإن مسّ من عرضي كريمٌ لحبكم فأشهدكم أني أبحت له عرضي(435)

---

433 ـ 25 سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ص: 134 .

434 كان جده ممن ادعوا الفيضة و تراجع أخيرا وأقرّ بأنّ الشيخ هو صاحبها . وأوصى أولاده باتباع الشيخ.

435 المصدر نفسه ، ص: 132 .

يصـــرح بتسـلمه الــتام للشيخ وحبه الشديد الخالص له الذي لا يقبل الــبديل لأن الشــيخ يكفــيه عن جميع الشيوخ حيث وجد عنده ضالته المنشــودة ولذلــك لا يتضرر بكل ما يؤذيه إن كان صادرا من محب الشيخ المخلص.

لاشــك أنه مشغوف بحب الشيخ ، وقد صاهره وله ذرية مع بنت الشيخ . وأولاده من بعده سواء من بنت الشيخ أو من غيرها، بقوا على عهــده وخدمـــة أولاد الشــيخ ، وأبرزهم خليفتة الحاج عبد الله الملقب بالحـــاج المشري [436] الذي قام برد علمي على طاهر مغيري، النيجيري الــذي كان عميلا في محاربة الشيخ عن طريق كتابه المعنون "الشيخ إبراهيم السنغالي : حياته، وآراءه، وتعاليمه" وعنوان الكتاب الذي رد به عليه هو "إنذار وإفادة إلى بائع دينه بشهادة ".

* يقول الدكتور حسن عباس زكي[437]:

" ...فضـــيلة العارف بالله ووليه الشيخ العالم الرباني إبراهيم نياس، ولا يمكـــن أن نكتـــب عـــنه في صفحة ولا كتاب لأنه جمع بين علوم الشـــريعة والحقـــيقة ، وكـــان ملهَما ومصلحا ومربيا على طريق الله ورســـوله ..." واســـتمر يذكر تاريخ علاقته به ومذاكرتهما معا فى الله وخاصـــة فـــي الكتب التي ألفها الشيخ وانتهى بقوله : "ولا نملك إلا أن ننصـــت له كأنـــه بحـــر فـــياض حـــتى في أعماق المعاني الصوفية والمشـــاهدات الربانية وأرجو الله أن يوفق مريديه وأعوانه أن يعملوا على نشر تراثه وآثاره ففيها الفائدة الأخروية والدنيوية ..."[438]

436- انظر : الملحق السابق رقم : 11

437 هو من معاصري الشيخ إبراهيم ، كان وزير اقتصاد مصر الأسبق في عهد جمال عبد الناصر وعضو مجمع البحوث الإسلامية . انظر: 25 سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص: 9 .

438- المصدر نفسه ، ص: 9 . انظر: الملحق رقم: 32

هذا النص يدل بكل تأكيد على ثناء صاحبه على الشيخ وإثبات ريادتـــه في علوم الشريعة والتصوف الإسلامي في عصره، مع رجائه بأن تنشر آثار الشيخ لقيمتها وفوائدها فيما يحتاج إليه الناس من أسباب السعادة الدنيوية والأخروية.

فـــي رحلـــة الشيخ إبراهيم نياس الأولى إلى الحجاز مر بالمغرب وهـــي أولـــى زيارتـــه لها أيضا ، فما من مكان يمر به إلا ويجد فيه اســتقبالا وترحيــبا وتقديرا واعترافا من أهل المكان له بمكانته العلمية الراقـــية ، وأعطـــي مثالا واحدا للاستشهاد : لما تذاكر الشيخ مع مقدم زاوية البيضاء سيدي محمد بن علي السوسي ، في العلم والطريقة قال للشـــيخ : " ... صدق المقدم الولي الكبير سيدي الحسين الإفريني قال : "إن الســـودان معـــدن الولاية ، وقد قال سيدي أحمد سكيرج إنك عالم السودان " (439).

نفهـــم من هذا النص أنه يقر بولاية الشيخ وأنه لا يجاريه أحد في العلم من علماء السودان أي في إفريقيا السوداء .

ومن العلماء من أبرز للشيخ جميع ما عنده من الأسرار كما فعل القـــائد عـــبد الســـلام السعدي في مدينة طنجه ، وقد اجتمعت عنده من أســـرار الطـــريقة التجانية مالم يكد يجتمع عند أحد ، وطلب من الشيخ الإذن في جميعها ـــ وهي أسراره ـــ فأذن له في بعضها وأعطاه أخرى مما ليست عنده ، ثم طلب من الشيخ الدعاء لنفسه ولأهله ولأهل بلده ، وقـــال بعد الدعاء : " نحن معاشر أهل طنجه يجب علينا الحمد والشكر حيـــث أكرمنا الله بنزول خليفة من خلفاء الشيخ ... " : أما مقدم زاوية طـــنجة فهـــذا قوله للشيخ : " إني منذ نزلتَ أريد أن آخذ عنك وأطلب مـــنك بعض ما ينفعني من أوراد الشيخ رضي الله عنه ،واستخرت الله

439 ـــ مجموع رحلات الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص:24 .

مـــرارا ، والـــيوم أتاني آت بين النوم واليقظة وقال لي : سر إلى فلان وهو عنده المفتاح" فقبل له الشيخ وأعطاه بعض الأسرار مشافهة .(440)

ففي هذا القدر كفاية لأن الشواهد كثيرة .

3 ـــ ومن النتائج اهتمام وكالات الأنباء بإجراء المقابلات مع الشيخ فيما يـــتعلق بالدعوة ومشاكل الأمة الإسلامية ، سواء وطنيا أو دوليا : فمن الصـــحفيين مـــن أتوا إلى مدينته من بلاد نائية للقاء معه ، ومنهم من قابلوه وهو في سفرياته ، وسأكتفي بذكر ثلاثة نماذج للاستشهاد :

أ ـــ المقابلـــة الإذاعية التي أجراها مندوب إذاعة دكار بالسنغال : ومما ورد فـــيها مسألة الاحتفال بذكرى المولد النبوي ، سأل الشيخ قائلا : " ... ما رأي حضرتكم في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، وخاصة أن هناك من يعتبر الاحتفال بهذا اليوم بدعة ؟"

كانت إجابة الشيخ أنهم يستنبطون الاحتفال بالمولد النبوي من الآية الكريمة : (وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِـــي هَـــذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (441) ، فهم في هذه الليلة يقصون على المسلمين ويذكرونهم أنباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليثبـــت الله قلـــوب الجميع على الإيمان به وبما جاء به وتزداد محبتهم للرســـول صـــلى الله عليه وسلم ، ويكونوا في معيته لأن المرء مع من أحب ، وخاصة أن استماعهم إلى قصص الرسول صلى الله عليه وسلم فـــي هـــذه اللـــيلة المباركة ربما يعطيهم شرف رؤيته وهي حق ، لأن الشـــيطان لا يتمثل به . ومن ناحية أخرى ، إذا كانت الشعوب تحتفل بيوم استقلال بلادها من قيود الاستعمار أو بانتصاراتها على الأعداء أو بأعـــياد مـــيلاد عظمائها ، فلماذا لا يحتفل المسلمون بهذا اليوم العظيم

---

440 ـــ انظر :المصدر نفسه ص:27 ـــ 28 .

441 ـــ هود:120

الذي اختاره الله وجعله ميلاد خير البشر وإمام الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟(442)

أنا مع الشيخ في هذه المسألة ، لكنني أقول للذين ينتهزون فرصة المناسبة بالاحتفال بالمولد النبوي وسيلة لارتكاب المعاصي جهلا أو عمدا ، ويزعمون أنه لا بأس بها لأنها صدرت في يوم عيد المولد النبوي ، هذا فهم خاطئ ، وعليهم أن يتوبوا إلى الله ويستقيموا على الصراط المستقيم ؛ فالمعصية تسجل على فاعلها ما دام متعمدا لها ، وعليهم أن يفهموا أن المطلوب من الاحتفال بعيد المولد النبوي هو أن يكون خاليا من البدع والمحرمات ، وأن يكون القصد في إقامته خدمة الإسلام والذي جاء به .

ب ـ زيارة الصحفي جميل عارف للشيخ إبراهيم نياس : كان الكاتب الصحفي المصري جميل عارف أول صحفي عربي يقوم بزيارة مدينة كولخ عند الشيخ إبراهيم ، وقد قرر هذه الزيارة لما شاعت سمعة الشيخ بأن له أتباعا كثيرين يعدون بالملايين ، وأنه وقف وحده يواجه قوى الاستعمار الفرنسي وجمعيات التبشير قبل أن تحصل السنغال على استقلالها ، فعزم على زيارته للتعرف عليه ، وبعد عودته إلى مصر كتب تحقيقا نُشرَ في مجلة "آخر ساعة" المصرية في مارس عام1961م، وهذا موجز ما كتبه في الفقرات التالية :

أفاد بأنه رُويت له حكايات كثيرة عن الحرب التي كان المستعمرون الفرنسيون يشنونها على الشيخ ، كانوا يعتبرونه خطرا يهدد استعمارهم في البلاد التي يعيش فيها أتباعه ، وكان هذا الخطر يتمثل في مدارس اللغة العربية التي افتتحها ، وكان ينفق عليها من جيبه الخاص ، لتعليم أولاد المسلمين لغة القرآن ، وحاول الفرنسيون أكثر من مرة إغلاق

442 ـ انظر:25 سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص:101.

هذه المدارس ، وكانوا يهددونه دائما بالاعتقال والنفي: قالوا له : "افتح ما شئت من المدارس ولكن لتدريس اللغة الفرنسية لا اللغة العربية " .

وقال لهم الشيخ :"ولكن اللغة العربية هي لغة القرآن ".

قالوا : "لا يُمنع تدريس القرآن باللغة الفرنسية ".

رفض الشيخ قائلا :" اعتقلوني ... انفوني ، وافعلوا بي ما شئتم ، ولكنني لن أسمح لكم بالتدخل في شؤون الدين !".

كما أُخبر بأن السلطات الفرنسية قد حاولت ــ قبل أن تحضل السنغال على استقلالها ــ أن تحول بين المسلمين في السنغال وبين الاستماع إلى إذاعات صوت العرب ، فأخذت تشيع شائعات كثيرة عن إذاعات صوت القرآن الكريم في الراديو (443) قالت: إنه حرام وأن من يستمع إلى هذه الإذاعات ملحد ، ولا تقبل توبته عند الله ! وانبرى بعض مشايخ الطرق الصوفية من عملاء الاستعمار يرددن هذه الشائعات والأقاويل ، ويحاولون تأكيدها على أسس دينية ! وامتدت موجة التشكيك حول إذاعات القرآن الكريم في الراديو ، حتى عمت غالبية المناطق التي يعيش فيها المسلمون في غرب إفريقيا .

وفوجئ الشيخ بوصوله الكثير من الاستفسارات حول هذا الموضوع ، وحول استخدام مكبرات الصوت في المساجد أثناء الصلاة، فبادر بإعداد رسالة نُشرت على المسلمين في منطقة غرب إفريقيا ، وفيها يثبت أن إذاعة القرآن من الراديو حلال، وأنها وسيلة لرفع شأن الدين ونشر تعاليمه بين الناس ، ففشلت مخططات الاستعمار في منع المسلمين من الاستماع إلى إذاعات صوت العرب .

---

[443] ــ كان الشيخ هو أول من سن سنة إذاعة القرآن في الراديو على الإطلاق ، معلومة مسجلة في شريط بصوت إبراهيم محمود جوب.

ومما حققه الصحفي الدور الفعال الذي اضطلع به الشيخ في مقاومة التنصير والكشف عن مآمرات إسرائيل في المنطقة ، وسيأتي الحديث عن ذلك في الفصل التالي .

وقد رأى الصحفي الآلاف من أتباع الشيخ من مختلف الجنسيات ، وهم يتقنون اللغة العربية التي تعلموها منه ، وشغلهم الشاغل ذكر الله ليلا ونهارا ، وكذلك الزراعة حيث إن الشيخ كان أكبر مزارع في السنغال وقد أعجبه منظر مدينة الشيخ معربا أنه مثير للغاية ، لما فيه من حيوية الذكر ونور العبادة وروح الأخوة والتعاون الإسلامي الحقيقي ، كما أعجبته شخصية الشيخ المهيبة ، بما فيها من الأخلاق الطيبة النبيلة ، ولا تفارقها ابتسامة الوجه ، وهي متمكنة من شؤون الدين الإسلامي .

وكان هذا التحقيق الصحفي تمهيدا لزيارات الشيخ إلى مصر ومفتاحا لآفاق أخرى.(444)

ج ـ مقابلة الشيخ مع مراسل جريدة البلاد بمكة المكرمة(445)

أكد الصحفي على أنه لما أتى الشيخ للمقابلة وجده بشوشا وبيده مصحفه الذي لا يكاد ينقطع عنه دائما ، حسب ملاحظته ، وكذلك بجنبه شباب مثقفون ، فألقى عليه أسئلة كثيرة ، أورد بعضها للاستشهاد:

سأل الشيخ عن المشاكل التي تواجه الدعوة ورأي الشيخ في حلها؛ ومما أجاب به الشيخ : أن طريق الدعاة لا يخلو أبدا من عقبات ، ولكن الله تعالى إذا أذن لعبده بالدعوة إليه هيأ له أسباب النجاح ، فما على العبد إلا أن يجاهد في الله وينصر دين الله بكل ما يملك ، والله يتولى

[444] ـ انظر: 25 سنة على رحيل الشيخ، المرجع السابق ، ص:117 ـ 128.

[445] ـ أجرى المقابلة أ . عبد الكريم لم أقف على تاريخها ، وتمت في مكة .

هدايته ، وكثرة المشاكل لا تدل على فشل الداعية ، كما لا يقاس نجاحه بقلة ما يعاني من مشاكل .

وسأله عن رأيه فيما يسمى بحركة الشباب المضادة ؛ أجاب الشيخ بأن الشباب المتمرد قسمان قسم في أروبا ، تمرُّده ردُّ فعل للحياة المادية الجافــة التــي تعيشــها تلــك المجتمعات المشركة ، وقسم في العالم الإســلامي ، أكــثرهم مقلــدون تقلــيدا ، ولكن المشكلة تستدعي جهدا إصــلاحيا كبــيرا ، وعلــى الآبــاء والأمهات مسؤولية كبيرة، وعلى الحكومات ورجال التربية كذلك مسؤوليات .

وســـأله عــن النصيحة التي يقدمها إلى الدعاة ، فقال : "إن دعاة الإســـلام يعرفون واجبهم وهم في المعركة كل حسب إمكانياته ." وسأل الله لنفسه وللجميع مزيدا من الإيمان والعمل والصبر والتجلد ، والحذر من مكائد أعداء ما أكثر أسلحتهم وما أصبرهم على الكيد .

والسؤال الأخير هو : "هل من نصيحة لشباب العالم الإسلامي ؟"

أجــاب الشــيخ بأن على "هذا الشباب أن يعرف أنه هو الهدف الحقيقي لضــربات العــدو ، فالغد غد الشباب والمستقبل مستقبل الشباب ، وما الأفلام الداعرة والمجلات والجرائد الخليعة والكتب والنشرات المسمومة ووجود الاستشراق والتضليل التي تجوس خلال دار الإسلام إلا أسلحة موجهــة ضــد الشباب المسلم ، ولا عاصم من ذلك إلا الإسلام عقيدة وشريعة. (446)

446 ــ انظر: جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص:50 ــ 53

ثالثا: توطيد علاقته مع القادة في العالم الإسلامي [447].

من نتائج رحلاته ، اتصال الشيخ بكثير من قادة الدول الإسلامية وتوطيد علاقاته معهم بهدف مباحثاته معهم في شؤون الأمة الإسلامية ومشاكلها وسبل توحيد كلمة المسلمين واسترجاع قوتهم وسيادتهم ومجدهم . وأبرز هؤلاء القادة هم :

جمال عبد الناصر : رئيس جمهورية مصر الأسبق .

الملك سعود : ملك المملكة العربية السعودية الأسبق .

جعفر نميري رئيس جمهورية السودان الأسبق

المختار ولد داده رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية .

د. كوامي نكروما : رئيس جمهورية غانا الأسبق .

الأخ معمر القذافي : قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية .

وفيما يلي بعض الوثائق للاستشهاد :

أ ــ رسالته إلى الأمانة العامة(448) للجامعة العربية بمناسبة انعقاد القمة العربية بتاريخ 7 / 8/ 1383 هـــ . بدأ الشيخ الرسالة بقوله: " فإننا معشر المسلمين في إفريقيا السوداء غمرتنا موجة من الفرح والسرور والارتياح والرضا ، منذ حملت إلينا أمواج الأثير تلك الدعوة المتجردة التي بهت منها الأعداء ، لعقد مؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول العربية في مقر جامعتهم العتيدة ، فقد عاد الأمل يراودنا من جديد ، وما رامنا إلا ذلك الترحيب الحار المدهش الجاد الذي لقيته الدعوة ..."

447- انظر: الملحق رقم: 33 .

448 ــ كانت وقتئذ على يد السيد عبد الخالق حسونة ، مصري ولد سنة 1898 م، درس القانون بمصر عين وزيرا عدة مرات ثم تولى الأمانة المذكورة عام 1952م . انظر: جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ، المصدر السابق ، ص:43 .

واستمر الشيخ في رسالته ذاكرا أن هذه رحمة الله الواسعة التي تهب لاسترداد حقوق الأمة المسلوبة في وقت عصيب كاد اليأس يتغلب فيه على النفوس أمام الواقع المر الأليم.

ثم تحدث عن اعتقاده أن كل ما يقال عن الخلاف بين الدول العربية الشقيقة إنما هو مجرد غبار تحت أضواء مجرد جليد لا يلبث أن يذوب ويتلاشى تحت شمس التضامن والوحدة وهي طالعة ما دامت هناك عزائم ، وما دام هناك الصدق والتجريد في اللقاء ، وذلك كفيل بإزالة سوء التفاهم بين الإخوة .

وتحدث عن موضوع الاجتماع وهو قضية فلسطين فقال : إنهم ليسوا أجانب من هذه القضية ، لأنها تهم كل مسلم، بل يجب على كل المسلمين الانتصار لها ، لأن المسجد الأقصى ملك لكل من آمن بالله ، بينما يحاول الاستعمار والصهيونية طمس معالم هذه الحقيقة وتصوير القضية بصورة أخرى بعيدة عن الواقع .

والشيخ واثق من أن العدو ، على الرغم من قوته الهائلة لن يستطيع صبرا مع قوة المسلمين التي تتمثل في العدل وقوة الإيمان والمساندة والثروة التي في بلاد المسلمين ومكانة هذه البلاد والتراث الروحي والصبر .

وبهذه الكلمات يوجه الشيخ القادة والرؤساء والملوك المشاركين في المؤتمر ويوصيهم كذلك بالصبر والثبات والحزم والعزم لمواجهة العدو،مستدلا بآيات قرآنية مناسبة ومؤكدة لوصاياه ؛ لأن أمل الأمة الإسلامية فيهم وفيما سينتج من أعمالهم ، ودعا لهم بالتوفيق حتى

يكون مؤتمرهم هذا سببا لتوحيد الأهداف والصفوف فيرجع المجد القديم وتنتهي الجروح وتستريح الضمائر . (449)

والذي يستنتج من هذه الوثيقة :

- أن الشيخ ممن يرجع إليهم في البحث عن حلول مشاكل الأمة الإسلامية.

- أنه يهتم بقضايا ومشاكل الأمة الإسلامية وقضية فلسطين خاصة ، وسيأتي تفصيل هذا في الفصل القادم إن شاء الله .

- أنه مثقف ويتابع الأحداث والمستجدات من الأخبار.

- أنه داعية مخلص يقول الحق ولو كان مرا وهذا ما جعله يوصي القادة بالإخلاص والاتحاد والتضامن والبذل في سبيل نصرة الدين ، والعدل وإيقاظ الهمم والصبر والثبات في مواجهة العدو، وتقوى الله في السر والعلن والعمل في الله ولله مجردا من كل الحسابات ...

- أن الشيخ قوي الإيمان وهمه أن يعود للأمة الإسلامية مجدها وسيادتها وقوتها .

ب ـ رسالته إلى جمال عبد الناصر بمناسبة هزيمة مصر أمام إسرائيل وحلفائها سنة 1967 م ، يقول : "بمناسبة ما كشفت التجربة هذه الأيام ، نتلقى مجاري الأقدار بالرضى عن الله والتسليم له فالأمر كله له وكل بقضائه وقدرته ، عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم فصبر جميل والله المستعان ، فإنه قد وعدنا بالنصر ، وإن النصر مع الصبر ، فالإسلام قوة لا تقهر، وعلينا أن نسير مع خط النصر ..." واستمر الشيخ مستدلا بآيات قرآنية منها: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)(450)

---

449 ـ انظر: جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ،ص: 43 ـ 45

450 ـ محمد: من الآية7

(واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُو) (451) (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) (452) (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين) (453) ثم ذكّره بأمجاده وبما حققه من توحيد صفوف المسلمين والعرب ، وأن قوة العدو مهما كانت تنهزم يوما ويكون النصر للمسلمين ثم وصاه بقوله : "فاتق الله يا أخي وحبيبي واتبع سبيل قائدك الأعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يقول : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وكان خلقه القرآن ... " واستشهد بآية قرآنية : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (454) وأكد له أن هذا الخط هو الخط الذي يسير عليه النصر ، فأوصاه بالتمسك به والسير عليه ، وكذلك بكثرة الوقوف بباب الله بالتضرع والدعاء ، فإن طبق وصيته فلا بد له من النصر.

وأضاف أنه لا يملك سلاحا فيمده به إلا الدعاء ودعاؤه له في كل وقت وفي كل مكان بالنصر والتوفيق والتغلب على قوى الشر في العالم وشكره بعدوله عن القرار الذي أعلنه ورفضه الشعب وكل الشعوب المسلمة والعربية وبعوده إلى القيادة ، وانتهى بإشعاره بأن الجماهير المسلمة في السنغال متأثرة بالحادثة وبتكرار الوصية له بالاستقامة فهي كفيلة له بالفرج والنصر .(455) وأستنبط من الوثيقة ما يلي :

- علاقة الشيخ بجمال عبد الناصر علاقة متينة مبدؤها الأخوة الإسلامية والعمل المشترك في الحقل الدعوي ، وفي البحث عن حلول مشاكل الأمة الإسلامية .

---

451 ـ آل عمران :من الآية103

452 ـ آل عمران :من الآية120

453 ـ الشعراء:215

454 ـ آل عمران: من الآية159

455 ـ انظر: جواهر السائل ، المصدر السابق ، ج2 ، ص:136 ـ 137 .

- الشيخ يعزيه فيما أصيب به من الهزيمة نتيجة للحرب مع إسرائيل ، وأن هـذا قـدر وقضـاء من عند الله وعليهم جميعا أن يتلقوه بالتسليم والقبول والرضا .

- قدم له مجموعة من النصائح التي تضمن له النصر والفرج ، وهي : الـتقوى والاسـتقامة واتـباع النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به ، والترابط والصبر والعدل والشفقة على الرعية والأخذ بمبدأ الشورى في القيادة ، والتضرع إلى الله بالدعاء دائما ، ... وأكد له أنه إن عمل بهذه النصائح فالله لا يخذله ولا بد له من النصر .

- علـى المسلم أن يأخذ بالأسباب ويتقي الله ويتوكل عليه ويفوض له أموره ، فهو يكفيه ويتولى شؤونه .

- إن الشـيخ مهتم بتفقد أحوال الأمة الإسلامية ومشاكلها وليست هناك حلـول عنده إلا الرجوع إلى الله والعمل بما جاء به سيدنا محمد صلى الله علـيه وسلم ظاهرا وباطنا والتوكل عليه وقبول كل ما جاء منه من القضاء والقدر . والله أعلم

ج ـ رسـالته إلـى المخـتار ولـد داده ، رئيس جمهورية موريتانيا الإسـلامية الأسبق ، وذلك لما وُشي له بأن الشيخ يساند حركة النهضة التي تعارض انفصال موريتانيا عن المغرب وتساندها المغرب إذ ذاك: ومضـمونها بإيجـاز شـديد هو ، أن الشيخ لفت انتباه الرئيس أولا ، بضرورة الأخوة الإسلامية والتضامن الإفريقي والتعاون الجاد المخلص لبـناء مسـتقبل القـارة الإفريقية والأمة الإسلامية جمعاء، لكن أعداء الحرية وأ عداء الإسلام الألداء المنتشرين في كل مكان لا يريدون ذلك، ولهـم عـدة طـرق ووسـائل لبث التفرقة بين المسلمين عامة ، وبين الأفارقـة خاصـة ، وبينه وبين الشيخ على الأخص ، وهم جادون لا يضعون السلاح إلا اضطرارا،فلا يقبل منهم أبدا لأنهم مفترون ولاخير

فـــيهم ، وأوصاه بعدم موالاة فرنسا في الحكم والإطاحة بعملائها ، ثم أفاده بأن المشكلة القائمة بين موريتانيا والمغرب سيجد لها حلا عند ما يزور المغرب في المستقبل القريب ، وذكر أنه مستعد بأن يلبي دعوته لمقابلـــته في موريتانيا في أي وقت ، مطمنا إياه أنه ليست هناك مشكلة تستعصي على الحل مهما بلغت من التوتر.

أمـــا عن الخدمة التي قام بها للرئيس دوليا ، في الله فيقول: " ... فقد أنهيت مرحلتي الأولى من جولتي في العالم العربي والإفريقي ،.وقد زرت حـــتى الآن كلا من : غانا ونيجيريا والجمهورية العربية المتحدة بإقليميها والعراق والأردن وبيروت زيارة رسمية ، وخلال تلك الجولة الواســـعة كنت أجيب كلما سئلت عنكم بما أعلم ويعلم الناس من تمسك بالإســـلام ، وحرص على العلم ، واستعداد خصب للمساهمة في خدمة الإسلام ولغته الخالدة ... " (456)

ما يستفاد من الوثيقة :

- إن الشـــيخ من أنصار الاتحاد الإفريقي ، بل أبعد من ذلك ، إنه من الذين سعوا لاسترجاع الأمة الإسلامية مجدها وسيادتها وقوتها .

وهو من الذين حاربوا الاستعمار محاربة ثقافية ، وقد سبق الحديث عن ذلك في الباب الأول .

- إن المســـتعمرين حـــاربوه بشتى الوسائل ، ومنها سعيهم إلى إفساد سمعته بالافتراءات والتشويهات مما لا أساس لها من الصحة .

- إن المستعمرين وإن تركوا الأراضي الإسلامية المحتلة ، إنما تأثيرهم السلبي لا يزال قائما ولهم عدة وسائل للفساد ، منها غرس عملائهم في هذه البلاد والغزو الثقافي .

[456] ـــ انظر : جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص: 46 ـــ 47 .

- إن الشيخ إبراهيم من الشخصيات المبرزة التي قامت بدور فعال في العلاقات الدولية وحل النزاعات بين الدول على مستوى القمة .

- إنـــه شـــعبي على مستوى العالم الإسلامي ، بدليل الدول التي زارها زيارة رسمية .

- إنـــه خبير بالسياسة الدينية ومخلص في تصرفاته لوجه الله ، لا يريد جزاء ولا شكورا .

د ـــ ومـــن الرؤساء من أخذ عنه الطريقة التجانية مثل جعفر النميزي رئيس جمهورية السودان الأسبق ، كما أفادني أمين سره إبراهيم محمود جوب الذي تشرف بكتابة هذه الأذكار وشروطها له بأمرمن الشيخ .(457)

رابعا : مواقف بعض قادة الدول الإسلامية لدى الشيخ إبراهيم نياس

أثنى على الشيخ إبراهيم كثير من القادة ، وسأورد ثلاثة شواهد .

أ ـــ ما قاله وكتبه رئيس نيجيريا الأسبق جنرال يعقوب غاون (458) :

ذكر أن علاقته مع الزعيم الديني الكبير الشيخ إبراهيم نياس كانت علاقـــة قوية ، رغم اختلاف العقيدة بينهما ، وقد زاره في مدينة كولخ بالســنغال ســنة 1973م ، وأقــر بأنه كان زعيما عظيما وكان يحب نيجـــيريا ويحبه شخصيا ، داعيا له بالتوفيق والنجاح في قيادة نيجيريا وإعـــادة الهـــدوء والاســـتقرار فيها بعد الحروب الأهلية التي كادت أن تعصف بها إلى الهاوية ، ثم أكد أن الشيخ كان يطلب دائما من الرئيس الســـنغالي "ســـنغور" بمساندته ودعم جهوده لإعادة الهدوء والوفاق بين أفراد الشعب النيجيري . وقد سمّى أحد أبنائه بالشيخ إبراهيم نياس تأثرا

---

457 ـــ معلومة مسجلة في شريط عندي بصوت إبراهيم محمود جوب .

458 ـــ هو الرئيس الثالث لنيجيريا ، تولى الحكم بعد انقلاب عسكري سنة 1966م ، قضى تسع سنوات في الحكم ، وتمت الإطاحة بنظامه في 29 يوليو 1975م ولم يمسه سوء وطلب من الشعب أن يتعاون مع الحكومة الجديدة . انظر : 25سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص. 111 .

بعلاقته الطيبة مع الشيخ (459) ودعا لروحه الطاهرة مع رجائه أن يجتمع معه في الجنة أمام الله ويجد كل دعواته شفاعة لهم .(460)

ومما يستفاد من هذه الوثيقة ، أن الشيخ ذو مكانة عظيمة عند الرؤساء لأجل مكارم أخلاقه وشدة قربه إلى الله وسعيه الدائم إلى خدمة الإسلام والمسلمين .

ب ـ كلمة الرئيس عبد ضِيوف(461) : وفيما يلي نص كلمة المترجم : " ألمكـم هـو ألمنا كذلك ، لأن الذي انتقل إلى رحمة الله هو عندنا شيء نفيس وغالٍ ، لحكمته وإعراضه عن حطام الدنيا ، وشفقته على الخلق وإحســانه ، فهو يغطينا ويعلو علينا بهذه الصفات ؛ كان يتصف بجميع صــفات الشخص المتواضع ذي المكانة العالية ، وهذه الصفات يستعين بهـا لخدمــة الجمــيع ، فهذا الذي حدث يعد خسارة كبيرة لا تدرأ ولا تعــوض . ورئــيس الجمهوريــة لم يتمكن من الحضور بنفسه لتقديم التعزية، وأعتقد أنه لو جاء لكانت كلمته أقوى وأفضل من كلمتي ، لأني ممــا أعلمه أنه يُكِنُّ له كل حب وتقدير فائق ..." واستمر كلامه مذكرا الدعــم الذي يدعم به الحكومة دائما لإيجاد حل كلما تتعرض الحكومة لمشــكلة كبرى ، وهذا بطبيعة الحال يرفع من قيمته ومكانته وشرفه ، كمــا أبــدى رجاء الحكومة التعاون مع أسرته دائما مثلما كانت معه ، وانــتهى بقولــه : " ... لم يمت ، لأن نوره يظل يهدينا . هدانا الله إلى الطريق الذي سار عليه " (462).

يستفاد من الكلمة ما يلي :

459 ـ انظر: 25 سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص111: ـ 112 .

460 ـ انظر الملحق رقم : 34.

461 ـ ألقاها باسم الحكومة السنغالية في مدينة الشيخ إبراهيم وكانت عزاء في وفاة لشيخ إبراهيم لأسرته ، وكان عبد ضيوف وقتئذ رئيس الوزراء ، والوفد المرافق له يتكون من رئيس مجلس النواب وكثير من الوزراء والنواب ومدير مكتب الرئيس وكثير من الشخصيات الدبلوماسية وغيرهم .

462 ـ انظر الملحق السابق، رقم: 14.

- إن الرئـــيس عبد ضيوف واثق ثقة تامة بالشيخ وفان في حبه ومتأثر جدا بوفاته ، وينطبق الأمر على الرئيس سنغور كذلك.
- إن الشـــيخ متفرغ للدعوة إلى الله وخدمة الأمة الإسلامية على جميع المستويات.
- إنه خبير في المصالحات والمفاوضات في جميع المستويات
- على الرغم من مكانته الاجتماعية العليا ، فلم يلتفت إلى الدنيا ولا إلى شهواتها من مال وجاه وغيرهما .
- إنـــه مكـــرم ومقـــبول عند الله وعند عباده لشهادة الخلق له بالخير والتقوى والتواضع ...

ج ــ كلمة السيد حسين الشافعي نائب رئيس جمهورية مصر العربية الأسبق في عهد جمال عبد الناصر قال : " إني أبعث بتحيتي وتقديري لذكـــرى المجـــاهد الإسلامي الكبير الشيخ إبراهيم نياس ، تحية لنضاله وفاتحـــة لروحه ، وجزاه الله عن جهاده وما تركه من أثر في محاربة الكفـــر والاســـتعمار فـــي غـــرب إفريقـــيا ، فكان بدعوته ودعوة كل المخلصين الحريصين على دين الله ولتكون كلمة الله هي العليا،حيث إن الدين عند الله الإسلام..." وختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم (463).

ويســـتخلص من الوثيقة أن الشيخ مشهور عالميا بالكفاح والجهاد فـــي سبيل الله ، ومحاربة الكفر والاستعمار ، وأن أثر دعوته باق إلى يوم الدين وكان هدفه من دعوته أن تتوحد كلمة الأمة الإسلامية وترجع لها سيادتها ومجدها وعزها .

463 ــ انظر: الملحق رقم :35 .

المبحث الثالث

نشاطاته في ظل المنظمات والمؤسسات الإسلامية

وتنقسم إلي قسمين :المنظمات، الوطنية والمنظمات الدولية الإسلامية .

أولاً المنظمات الوطنية:

وتتفرع إلي فرعين : المنظمات الخاصة والمنظمات المشتركة .

(أ) ـ المنظمات الخاصة:

وهـــي التـــي أسسها الشيخ نفسه ، وعددها إثنتان:جمعية أنصار الدين ومنظمة الاتحاد الإفريقي لدعاة الإسلام.

1-جمعية أنصار الدين (464)

ذكـــر الشـــيخ أن ســـبب تأسيسها هو مجاراة مع العصر الحاضر ، وهدفهـــا الرئيســـي هو خدمة الإسلام بنشر العلم وبناءِ المساجد والقيام بـــالدعوة إلـــي الإسلام والتعاون مع المسلمين في سائر أنحاء العالم . شعارها هو :" نحن أنصار الدين "، ومصدرها المالي هو الاعتماد علي النفس حيث إنها تعتمد على أموال أعضائها سواءً الذين في المكتب أو غـــيرهم .وتـــتكون من : الرئيس ، وكاتب، وأمين ، ومساعدان ، ولها فروع في كل قرية وفي كل مدينة دانية أو قاصية ، وبعد انتهاء تشكيل الفروع يتم انتخاب مجلس دائم للتنفيذ (465).

2- منظمة الاتحاد الإفريقي لدعاة الإسلام :

تأسيسها: أسسها الشيخ عشية يوم الجمعة 18ربيع الأول1391هـــ ، بحضـــور جمهـــور غفـــير من المسلمين أهل الإرادة الصافية الصادقة والحب في الله .

464- لم أقف على تاريخ تأسيسها .

465 - انظر الملحق رقم : 36 .

هدفها: الهدف منها هوالعمل بعزم وبعلو همة لمضاعفة الجهود في ميدان الدعوة إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتسهيل أسباب التعاون علـــى الـــبر والتقوى ، وذكر الشيخ أن هذه الرسالة ليست جديدة وإنما القصـــد مـــنها هو تنظيم وتنسيق يستمد من روح الإسلام الذي هو دين النظام ، ومع تنظيم إسلامي دقيق سوف تتضاعف الجهود بدون عناء ، وتزداد الانتصارات بإذن الله .

الأمانـــة العامة المركزية : تتكون من اثني عشر عضواً من مختلف الأفارقـــة ، والشيخ إبراهيم هو الرئيس العام للمنظمة ، ولها فروع في المدن والقرى في إفريقيا الغربية والوسطى و كل فرع له مكتبه المكون مـــن رئيس واحد ونائب أو أكثر ، وأمين عام ونائبه أو نوابه ، وأمين للصندوق ونائب له أو أكثر ، وأمين للدعاية ومجموعة من المساعدين ، ومجموعـــة مـــن المستشارين ، ولكل قطر صلاحية التوسع في تنظيم مكتبهم ،حسب ما يرونه مصلحة .

حـــذر الشيخ المنتمين إليه من الاشتغال أبداً بالمناصب والمظاهر ، ثـــم قـــدم وصية بليغة لجميع أعضاء المنظمة وكافة أتباعه ،وهذا نص الوصـــية:"...أوصيكم يا أهل القرى يا أهل المساجد والزوايا، يا أهل الأوراد والأذكـــار تقرباً إلي الله ، يا أهل الأخوة والمحبة في ذات الله ، أوصـــيكم بتقوى الله وبدوام مراقبته تعالى ، وبالإخلاص في كل حركة وســـكون ، وهـــو مـــن ثمرات المراقبة ، وإياكم ثم إياكم والتورط في مشاكل السياسة بمفهومها اليوم ، فالحركة ليست سياسية ولا ولن تكون سياسية أبداً، ولا يسمح لأحد أن يستغلها لغرض سياسي أو شخصي ، وهـــو أصل كبير من أصول المنظمة يجب أن يلاحظه كل عضو على الدوام ..." (466)

466- جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ص: 59- 60.

ويلحـــظ أن الشيخ قضى حياته كلها في الدعوة إلى الله والسعي إلى خدمـــة الإســـلام والمســـلمين ولمّ شملهم ، وقد كان ناجحاً في دعوته لأســـباب مـــنها :هـــذا التطور من النشاط في ظل الجمعيات الإسلامية الإقليمـــية في مبدإ أمره، إلى النشاط تحت المنظمات الإسلامية الدولية فيما بعد .

ب –المنظمات المشتركة:

وتنقسم إلى قسمين :

1–المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالسنغال

ســـعى الشيخ إبراهيم إلى جمع شيوخ السنغال الآخرين ممن ليسوا في طريقته لتكوين هذا المجلس في فترة ما قبيل الاستقلال، والمقصود منه هو الإعداد لرعاية حقوق المسلمين بعد تسلم الأهالي سلطةالبلد (467)

وقـــد حقـــق المجلـــس أهدافـــه ، لأنه استطاع فعلاً أن يثبت ذات المســـلمين في السنغال ، حيث إن الحكومة تعترف بهم وتحترم كلماتهم إلى الآن ، ومن نتائج أعماله إدخال اللغة العربية في المناهج التعليمية .

وممـــا هـــو جدير بالذكر ، أن الحكومة السنغالية لما أعدت مشروع قـــانون الأحوال الشخصية عرضته على المجلس لأخذ الرأي ،وقد دافع المجلس عن الإسلام كما نص عليه تقرير كتبه الشيخ بصفته أميناً عاماً ووجهـــه إلى الحكومة بعد توقيع الأعضاء البارزين، وأهم ما ورد في هذا التقرير ما يلي :

* ذكـــر الشـــيخ مســـؤوليتهم الدعوية حيث قال : "وحرصاً منا على التعاون مع كل من يعمل لخدمة الشعب السنغالي وتسهيل أسباب التقدم السليم له، تعاوناً مبنيا على التجرد والصراحة والإخلاص لله ولرسوله ، واســـتجابة منا لرسالة الإسلام التي يتحمل العلماء في ظلالها مسؤولية

467- معلومة مسجلة في شريط بصوت إبراهيم محمود جوب ، المصدر السابق .

نصـــح الأمـــة وإرشـــادها ، نظراً لما وفقهم الله له من فقه تعاليم الدين والــتفرغ لحمل تراث الأنبياء ، كما تخصص غيرهم من أفراد الشعب في الطب والهندسة وغيرهما من الفنون ... ".

*الوفاء وصون الأمانة : " ... ووفاءً للجماهير السنغالية المسلمة الذين وضــعوا فينا ثقتهم الكاملة لقيادتهم في الطريق إلي الله عز وجل ناقلين إلــيهم تعاليم الإسلام سليمة أصيلة كما تلقيناها من السلف رضوان الله عليهم ..."

* تشــجيع الحكومــة علــى أخذها بمبدإ الحوار والشورى مع المشايخ والعلماء قبل البت في أي قضية أساسية .

* النتــيجة التي فيها صراحة للدفاع عن الشريعة الإسلامية : "... من جملة ما طالعنا من مشروع القانون أبواباً ومواد تتعلق بالنكاح والطلاق و مدة الحمل والميراث وثبوت النسب ، وهي قضايا وأحكام قد فصلت في الشريعة الإسلامية تفصيلاً لامزيد عليه ولاداعي لتطويره ولا يجوز لمسلم الخروج فيها عن دائرة الشريعة الإسلامية في مصادرها الأربعة المعروفة ، الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ..."(468)

وأستخلص من هذا التقرير ما يلي :

* إن الشــيخ يتصــف بصــفات الداعــية المطلوبة : الصدق والأمانة والإخلاص والوفاء والتقوى ...

* إن همه خدمة الإسلام وصون الشريعة .

* إن الدعوة عمل اشتراكي ، يقوم على أساس الأفراد والجماعات ، كل يشارك فيه حسب قدرته .

2 ـــ الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الإسلامية

---

468 - انظر : 25سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص:60 -61 .

من الجهود التي بذلها الشيخ في الحقل الدعوي سعيه مع جمعيات أخرى لخدمة الثقافة الإسلامية في ظل الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الإسلامية بالسنغال. وقد تأسس هذا الاتحاد في أوائل الستينات بعد تعدد الجمعيات الإسلامية ، ويضم أربع عشرة جمعية أهمها : جمعية أنصار الدين التي أسسها الشيخ .

ويؤكد ذلك قول الشيخ في خطبته بمناسبة ذكرى عيد المولد النبوي ، أمام جماهير من الناس جاءوا من مختلف المناطق في إفريقيا ، سنة 1383م: " للاتحــاد الوطني للجمعيات الثقافية الإسلامية بالسنغال نشاط مبارك ، ومــا رأيــت منظمة أشهد لها بخدمة الدين والوطن إلا المنظمة الواحدة المســماة الاتحــاد الوطني للجمعيات الثقافية الإسلامية بالسنغال ، وتضم حــتى الآن أربــع عشرة جمعية أنشأها أبناؤنا للمساهمة في خدمة الدين والوطن رغم قلة الوسائل والإمكانات ..." [469]

واســتنبط مــن هذا النص أن الداعية المسلم الناجح هو الذي يمارس نشــاطاته الدعويــة بــإخلاص دون الــنظر إلــى عدم أو قلة الوسائل والإمكانات.

ثانيا : المنظمات والمؤسسات الإسلامية الدولية

الشــيخ إبراهــيم نــياس عضــو في كثير من المؤسسات والمنظمات الإسلامية العالمية [470] وأبرزها :

ـ رابطة العالم الإسلامي[471]

ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة

مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة

---

469 ـ جمع وتحقيق خطب ورسائل الشيخ إبراهيم ، المصدر السابق ، ص:140 .

470 ـ معلومة مسجلة في شريط بصوت الشيخ إبراهيم محمود جوب، المصدر السابق .

471- انظر : الملحق رقم: 37 .

ــ مؤتمر العالم الإسلامي : الأمانة العامة في كراتشي ومقر الرئاسة في بيروت

ــ جمعية الجامعات الإسلامية بالمغرب

ــ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجزائر

ونجــد أن تلمــيذه الشيخ إبراهيم صالح عضو في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية بطرابلس وعضو في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس أيضا .

وللشــيخ جهود ومشاركات دعوية كثيرة في ظل هذه المنظمات . وسأورد ثلاثة نماذج للاستشهاد :

أ ــ خطابه الدعوي لرابطة العالم الإسلامي[472]

وفيما يلي أهم ما ورد في الخطاب :

* افتــتح كلمــته بالتحــية والتهنئة والرجاء قائلا : " تحية وتهنئة لهذه الــرابطة الإســلامية ، ونــرجو ونعــتقد أنها حركة إسلامية محضة ، وأعضاؤها علماء الأمة ...فعلى هذا الأساس يمكن أن نجند أنفسنا لخدمة الدين ودعاة الخير ..."

* وممــا دعــا إليه ، عدم التفرقة العنصرية حيث يقول : " ... فالتفرقة العنصــرية تعــاكس دعوة النبي العربي صلى الله عليه وسلم الذي أعلن على رؤوس الأشهاد (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى) [473] ..."

* ودعــا إلــى حــب العرب قائلا : "... على أن الإسلام يقتضي حب العرب وتقديرهم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم عربي والقرآن عربي والحكم الإسلامي عربي ..."

472- انظر : جمع وتحقيق ودراسة الجزء الثالث من خطب ورسائل الشيخ ، المصدر السابق ، ص: 60-61 .
473- الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني، ج2 ، ص: 62 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1328 هـ .

* وذكـر الحضـور بجهـود السـلف الصالح مقارنا بين حالتهم وحالة المسـلمين في الحاضر ، وكذلك حالة أعداء الإسلام فقال : " ... ورأينا كـيف قـام سلفنا على دعم هذا الدين بالجهاد بالأموال والأنفس ، بذلوا الـنفس والنفـيس ، كمـا نـرى الأعداء الذين يقومون بجهود مستمرة وتضـحيات مدهشة لهدم أركان الحق وإقامة الباطل ، ومع الأسف نرى أن جهود المسلمين ضئيلة جدا بالنسبة إلى غيرهم ..." لذلك ينادي الشيخ بضـرورة دعم الحركات الإسلامية ثم قدم جملة من الاقتراحات تتلخص كالآتي :

* تشـكيل لجنة تقوم بجولة في إفريقيا للاطلاع على أحوال المسلمين والذيـن يمـثلون الأغلبـية ، وهم متمسكون بدينهم على الرغم من محاولات الاستعمار وإسرائيل في تحويلهم عنه ، غير أنهم في حاجة إلى دعم مادي ومعنوي ، لأن الجهل عمهم والفقر أضناهم .

* تشـكيل لجـنة من العلماء من شتى النواحي لوضع منهاج دراسي للجامعـة الإسلامية بالمدينة المنورة لأن الجامعة رحمة والخلاف في الفروع أيضا رحمة .

* قيام العلماء بإصلاح ذات البين والوقوف ضد الفساد .

ما يستفاد من توجيهات دعوية :

* الشيخ يدعو إلى إخلاص النية لخدمة الإسلام في ظل هذه الرابطة حتى يكتب الله لها النجاح في مسعاها، وفي الواقع بذلت جهودا لا يستهان بها في خدمة الإسلام والمسلمين .

وهناك بعض المنظمات التي أنشئت بعد الرابطة وقامت بجهود جبارة أيضـا فـي العمل الدعوي ، وأبرزها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطـرابلس ، التي تبذل كل غال ونفيس في مجالات عديدة كالتعليم حيث أنشـأت مـدارس في كثير من الدول الإسلامية وكلية تُخَرِج الدعاة إلى

جمـيع قـارات العالم ولها فروع ، والخدمات كإنشاء المساجد ومساعدة المحتاجين والفقراء في النفقة والكسوة والعلاج ...

* الإسلام يدعو إلى الأخوة ويحارب التفرقة والعنصرية .
* الإسلام يهدي إلى حب العرب واحترامهم.
* الإسلام يدعو إلى التعاون على البر والتقوى ويذم البخل والشح .
* تنبـيه الأغنـياء والأثرياء بأن عليهم بذل أموالهم لمساعدة إخوانهم المحتاجين.
* الدول الإفريقية النامية في حاجة إلى مساندة ودعم ، ماديا ومعنويا .
* وضع المنهج الدراسي ينبغي أن يتم على شكل جماعي .
*على العلماء أن يقوموا بالإصلاح والوعظ لمحاربة الفساد .

ب ــ كلمـة الشـيخ إبراهـيم في افتتاح المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة .

تحـدث الشيخ في هذا المؤتمر باسم الوفود الإسلامية مفتتحا كلمته بالتعبـير عن عمق سروره بالتشريف الذي ناله من الحضور ثم وصف الوفـود المشـاركين بقولـه : " ... هذه الوفود ضمت نخبة ممتازة من العلمـاء والأعـلام ومشايخ الإسلام ، ومن المفكرين من دعاة الحق ، الذين لهم سوابق في هذا الميدان المقدس ، تحسم كل جدل في إخلاصهم العمـل لله ، وتجندهم لخدمة الدين الحنيف ، ثم استمر يذكر قيمة الأزهر ومكانته العلمية العالمية :"... الأزهر الخالد الذي يعتبر بحق قمة الشريعة الإسـلامية ..." وذكـر كذلـك أهمية العرب والعربية : " ...لأن أهمية العـرب والعربـية في الدعوة الإسلامية لا يختلف عنها اثنان ..." ولفت انتباه الأعضاء بعظمة المسؤولية الملقاة على عواتقهم ، ثم تدرج واصفا المخاطـر التي تحيط بالأمة حيث يقول : "... وهذا الدين أحيط في هذا العصر بأخطار جسيمة ، وبأعداء ألداء واقفين له بالمرصاد ، لا يألوننا

خبالا ، ولا يألون جهدا في الدس والخديعة والتضليل والإغواء ، بالإضافة إلى التركة الثقيلة البغيضة التي خلفها لنا الاستعمار الغربي الكافر في مناهج تربية سقيمة ومذاهب في الحياة هدامة ، واستبعاد لشريعة الله ، واكتفاء بالقوانين الأجنبية في معظم البلاد ..." ولذلك يناشد الشيخ الحضور بضرورة تجنيد كل الطاقات والإمكانات للدفاع ثم الإصلاح ، وذكر السلاح الذي يدمر العدو ويصلح حالة الأمة فقال : " ...والسلاح الأول الكفيل بالنصر والغلبة في هذه المعركة إنما هو العودة إلى إسلامنا نقيا صافيا ، ومستقى من كتاب الله وحي السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومستقى من سنة النبي الكريم (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [474] ، فهذا هو سلاح المؤمن الذي يغلب القنابل الذرية والصواريخ المدمرة ..." ودعا العلماء إلى العناية والاهتمام البالغ بهذا المؤتمر، عسى أن يكونوا من المجددين ، كما دعاهم إلى أن يكونوا موضوعيين مخلصين جادين في أعماله ، قائلا :" ... و لا ننس الطابع العلمي الذي يجب أن يسيطر على أعمالنا جملة وتفصيلا ..." ، وبذلك يتمكنون من إصلاح المجتمع الإسلامي ودفع عجلته إلى الأمام وورد عنه أيضا : " ... فإذا وصلنا إلى نتائج علمية سليمة بفضل الله رفعنا بها عقيدتنا وأبلغناها إلى كل بيت في عالم غزته جاهلية محدثة، أو لوثه مستشرق أو زلزله انحراف ، أو دمرته ماديات أو أشقاه جمود وضيق أفق ..." ، وأنهى كلمته بالدعاء والشكر للأزهر ولوزير التعليم وللرئيس جمال عبد الناصر الذي وصفه بالمسلم الغيور ، ودعا لهم بالتوفيق والنجاح في عملهم . [475]

ما يستفاد من الكلمة :

474- المجادلة : 11.

475- _

* إنـــه ضـــروري أن يجـــتمع العلماء الأتقياء والمفكرون المخلصون من مخـــتلف الـــبلاد الإســـلامية ، في ظل منظمة أو مجلس للبحث عن طرق وحلول لمشاكل الأمة المستجدة وتطوير مناهج الدعوة ، وأن يتصف عملهم بالإخلاص والموضوعية .

* الإخلاص وصدق النية في كل عمل يؤدي إلى نتيجة مقنعة وممتازة .

* الاستعمار وعملاؤه خطر يهدد الأمة الإسلامية .

* على الدعاة التركيز على مقاومة الغزو الثقافي الغربي باستمرار .

• الـــدواء الشـــافي لمرض الأمة الإسلامية هو العودة إلى الكتاب والسنة والعمل بمقتضياتهما بلا تقصير ولا تحريف .

(ج): كلمته في المؤتمر التأسيسي لجمعية الجامعات الإسلامية الذي عقد في المغرب

افتـــتح كلمته التي ألقاها باسم الوفود قائلا : " لي الشرف العظيم بـــأن أتحدث أمامكم ، أمام هذا المؤتمر التاريخي للجامعات الإسلامية ، أمـــام العـــالم الإســـلامي في مشارق الأرض ومغاربها ، أمام إخوة من مالـــيزيا والهند وباكستان وكينيا والعالم العربي ..."، ثم قدم التهاني إلى الحضـــور بهذه المناسبة ، وأوصى الرئيس برفع شكره إلى جلالة الملك الحســـن الثانـــي الـــذي أسس هذه الجمعية ،ثم بين أهمية هذه الجمعية للمســـلمين موضحا أنها تبين لهم الأهداف والطريق الصحيح الذي يجب أن يسلكوه في دينهم ودنياهم ..." وأوصى المشاركين في المؤتمر وصية بلـــيغة قـــائلا : "... ونرجو ألا نعود إلا ونحن عاقدون العزم لمواصلة الكفـــاح والعمـــل لتحقـــيق أهداف الجمعية ، فنعمل بذلك على رفع راية الإسلام وتطهير المسجد الأقصى ، أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ونعقد العـــزم على الجهاد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا ، فنكون بذلك قد سلكنا

الطـــريق السليم للنصر . والله تبارك وتعالى يحقق نصرنا فتحرر البلاد الإسلامية من يد الأعداء ..." [476]

ما يستفاد من الكلمة :

* ضمت "جمعية الجامعات الإسلامية " ــ عند التأسيس ــ أعضاء جاءوا من ماليزيا والهند وباكستان وكينيا والعالم العربي .

* أهمـــية هـــذه الجمعية توضيح المنهج السليم الذي يجب على المسلمين اتباعه .

* الشـــيخ مهـــتم جـــدا بأحوال الأمة الإسلامية وبقضية القدس الشريف خاصـــة ، وقـــد اشـــتهر بأنـــه صـــديق العـــرب ونصـــير لقضـــية فلسطين .[477]

* إن شغل الشيخ إبراهيم الشاغل هو الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

---

476 ــ انظر: 25 سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص:87 ــ 88 .

477 ــ إنذار وإفادة ، المرجع السابق ، ص:28 .

الفصل الثاني

جهاد الشيخ إبراهيم نياس ضد الصهيونية والتنصير

مدخل :

الشيخ إبراهيم نياس من العلماء العاملين الحريصين على خدمة الإسلام والمسلمين . وهو ضد الحركات الهدامة والمعادية للإسلام ، فهو يعاديهما عداوة شديدة ، وخاصة اليهود وعملائهم فكان يكشف كيدهم ومكرهم على الإسلام والمسلمين والعرب ، ويدعو عليهم دائما وله مواقف كثيرة ضدهم وضد التنصير ، وسأتحدث عن بعض المواقف في الفقرات التالية إن شاء الله .

المبحث الأول

جهاده ضد الصهيونية

أولا : خطر اليهود على الإسلام والمسلمين

أ ــ نظرة اليهود إلى الأمم الأخرى

اليهود في عهد موسى عليه السلام وما بعده من الأنبياء لا يدعون عموم رسالتهم ،لزعمهم أنهم شعب الله المختار ، الجدير بالرسالات السماوية دون غيره ، فهم ينظرون إلى الآخرين نظرة استعلاء ، لادعائهم أنهم أبناء يهودا الذي يكرم أبناءه بالدين القويم ، فلا يسمحون لأنفسهم بالدخول في شريعة أخرى .(478)

ويعتبر اليهود بعامتهم أن الصهيونية تجديد وبعث لليهودية ، ولذلك فإن هدفهم واحد ؛ فهم جميعا يرون أن الإنسان هو اليهودي والعبري والإسرائيلي ، ومن عدا هؤلاء مجرد حيوانات خلقت في صور آدمية ، ويرون أملاك الآخرين من بني البشر مباحة لهم ، ولهم وحدهم حق التصرف فيها وفي أصحابها الحقيقيين ، ويرون ضرورة الانطلاق من فلسطين قاعدة لهم في مسيرتهم للسيطرة على العالم (479)

ب ــ خطر اليهود تحت ستار الجمعيات السرية

الجمعيات السرية الخطرة كانت ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم والوصول إلى هدفهم ، وقد ينشئ اليهود جمعيات لهذا الغرض أو يوعزون بإنشائها ، وقد يجد اليهود جمعيات قامت لهذا الغرض أو لآخر فيندسون فيها وينفثون فيها سمومهم ويوجهون أتباعهم وجهتهم التي يريدونها .

---

478 ــ انظر :الدعوة إلى الله ، حسن مسعود الطوير ،.ص:41 ، ط1 ، دار قتيبة ، بيروت ، 1413هـ ،1992م

479 ــ انظر :البحث عن الحقيقة في أفكار ومعتقدات اليهود، محمد أبو القاسم الحاج ، دار الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ص40 ــ 41 ، ط1 ، و دار اقرأ ، طرابلس ، 1990م .

ولا تكاد توجد جمعية ذات أسرار وأخطار إلا وكان اليهود يعيشون فيها خلف الستار . وهم أدركوا أن من العسير أن يرتد المسلم عن الإسلام إلى سواه من الأديان ، وأن محاربة ذلك تكلفهم جهدا كبيرا ومالا ضخما دون أمل ، ومن هنا اكتفى هؤلاء من المسلم بتضليله ودفعه إلى الانحراف والبعد عن الإسلام الصحيح ، وإن لم يعتنق دينا سواه . ومن وسائلهم لذلك أن يكلموه عن الإنسانية والعمل لخيرها ، مع الإيمان بالله وتوحيده ويجعل هؤلاء شعارهم "الله " أو "الإنسانية" ، ومن وسائلهم أن يصوروا له أن الأديان أفيون الرعاع (480) فينحدروا به إلى اللادينية ، ومنها أن يزجوا به إلى مذهب منحرف من المذاهب التي تربط نفسها بالإسلام كالأحمدية والإسماعيلية ، واليهود خلف هذه الطرق جميعا بطريق مباشر ، كأن يؤسسوا هذه الجمعيات أو ينضموا إليها ، أو بطريق غير مباشر .

هذه الجمعيات كثيرة ومختلفة الأسماء ، لكنها متّحدة الأغراض بحيث لو كشفت أسرار جمعية منها وقُدّر عليها أن تغلق أبوابها ، فإن الجمعيات الأخرى تستمر في مزاولة النشاط نفسه وأداء المهمة نفسها ، وأشهرها : الماسونية ، الروتاري ، الليونز ، اليوحا ؛ إنها جمعيات توهم بالنشاطات الاجتماعية وتجذب الشاب بواسطة المال والمرأة ، وتجذب المرأة بواسطة الجواهر والمال والمتع الرخيصة (481)

---

480 ــ أي أن الدين يخدر الشعوب ويفسدها ويجعلها لا تتقدم ولا تتطور ، وهم بهذه الطريقة يحاولون إفساد الناس وإبعادهم عن الدين ، وللأسف وجدوا عملاء من المواطنين الذين يروجون لهم هذه الفكرة الفاسدة الهدامة . فعلى المسلمين أن يتنبهوا لهذا ويأخذوا حذرهم .

481 ــ انظر : اليهودية ، د . أحمد شلبي ، ص ــ 321 ــ 323 ، ط12 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1997 م .

ثانيا: بعض مواقف الشيخ ضد اليهودية

الشيخ إبراهيم نياس له مواقف مختلفة ضد اليهودية تارة يذكر كيدهم ومكـــرهم ، وتـــارة يذكر جريمتهم ، وتارة يدعو عليهم ، وسأتحدث عن أبرز مواقفه فيما يلي :

أ ــ وصف حقيقتهم

ذكر الشيخ إبراهيم نياس أن اليهود هم مشكلة المشاكل في العالم ، ومن لم يعرف حقيقتهم وموقفهم من المسلمين ، فليبحث عنها في القرآن قال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (482) ومـــع ذلك ، فإن الشيخ واثق بأن النصرآت لاريب فيه، بدليل قوله تعـــالى:(ولا يحســـبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون)(483) وقوله عز وجـــل : (و إذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) (484) ، وفي السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله يهودي ورائي فاقتله). (485)

وذكـــر الشـــيخ أيضا ، أن :" اليهود أمة ملعونة غضب الله عليها ولعنها من فوق سبع سماوات ، ولعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم " كما في قوله تعالى :(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داو ود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (486) ، وهذه اللعنة ــ عـــند الشيخ ــ تشمل أصدقاءهم وعملاءهم ، ولذلك يوصي الشباب وأتباعه قائلا : " وكما أن الإسلام يقتضي منا معاداة إسرائيل فهو يقتضي

---

482 ــ المائدة : 82

483 ــ الأنفال : 59

484 ــ الأعراف : 167

485 ــ البخاري ، ج 6 ،ص: 103 ، دار البحوث العلمية السعودية .

486 ــ المائدة : 78

كذلك منا حب العرب لحب النبي صلى الله عليه وسلم العربي ، والقرآن العربي ، فعليكم بتعلم العربية وتاريخ الإسلام والعرب ، بدلا من تعلم تاريخ الأجانب أمثال يأجوج ومأجوج ، فعند المسلم تعاليم عالية تغني عن تلك الخزعبلات " (487).

وأرى أن هذه الوصية تنطبق على كل المسلمين وجوبا ، لأن العمل بها يجعلنا بعيدين عن شر اليهود ومكرهم كما سبق ذكره أنهم يحاولون أن يفصلوا بين المسلم ودينه وقرآنه وأخلاقه ، فيفسدون الدين وتتحقق أغراضهم ، لذلك فإن وصية الشيخ تعتبر حصانة وسلاحا ضد العدو من اليهود وأحلافهم وعملائهم .

ب ــ التحريض على محاربة إسرائيل :

لما اعتدى اليهود على المسجد الأقصى بالحريق ، كتب فيها الشيخ رسالة منشورة يندد بهذه الجريمة ويلعن بني إسرائيل ، ويحرض جميع المسلمين على محاربة إسرائيل ومقاطعتها هي وعملائها .

لقد افتتح كلمته بعد الشكر لله والصلاة على نبيه ، قائلا : " ...فإنه قد أقدم بنو إسرائيل الخبثاء ــ شر خلق الله ــ على إحراق المسجد الأقصى المبارك ، وهي جريمة كبرى تضاف إلى الجرائم التي ما فتئ اليهود يرتكبونها في كل عصر . وإن النار اشتعلت في قلوب المؤمنين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها ، وهذه الجريمة النكراء ، هي أشد ضربة تلقاها المسلمون عربا وغير العرب ، من اليهود المعتدين ..."

ثم انتقل الشيخ يعطي فكرة عن المسجد الأقصى ، فذكر أنه أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ونهاية إسراء الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبداية معراجه ، كما في قوله تعالى :(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا

---

487 ــ انظر: جمع وتحقيق خطب ورسائل الشيخ إبراهيم نياس ، المصدر السابق ، ص:136 .

حوله) (488) ، ونتيجة لهذا الإسراء والمعراج جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعاليم السامية التي بها كانت أمته خير أمة أخرجت للناس . والمسجد بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ ألف وثلاث مائة وبضع وسبعين سنة بخراج مصر مدة سبع سنوات ، وظل منذ ذلك التاريخ حرما آمنا محترما مقدسا ، رغم حروب الاستعمار والصليبية ، ولذلك — استمر الشيخ — فإن" هذه الجريمة التي ارتكبتها إسرائيل لبرهان على أنها لا يليق لها البقاء في القدس ، وليست بأهل أن ترعى المقدسات، لأنها لا تعرف إلا الرجس والخبث" .

ثم دعا الشيخ الأمة الإسلامية برمتها إلى محاربة إسرائيل ومقاطعة عملائها : " ... وإني لأهيب بكل المسلمين أن يهبوا ويشنوا على أعداء الله حربا رادعة وجهادا مقدسا لطردهم من حرم الله وأن يقاطعوا كل من له صلة بإسرائيل ، (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (489)، ثم أنهى الشيخ رسالته مبينا أن إسرائيل أعلنت الحرب على الأمة الإسلامية بل وعلى رب العزة ، ولذلك لا بد أن تعاقب ، وعقابها هي وحلفاؤها هو الهلاك والدمار(490) كما في قوله تعالى (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) (491) ، وقوله (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (492).

فالشيخ إبراهيم غيور على دينه وغيور على إخوانه ومهتم بقضاياهم، ويعادي إسرائيل وأذيالها وعملاءها عداوة شديدة .

---

488 — الإسراء : 1

489 — المجادلة : 22

490 — انظر : جواهر الرسائل ، المصدر السابق ، ج1 ، ص173 — 174 .

491 — الطارق : 11 — 17

492 — الشعراء : 227

ج ـ تحقيق صحفي لمواقف الشيخ ضد إسرائيل

مما حققه الصحفي المصري جميل عارف [493] عندما زار الشيخ إبراهيم في مدينة كولخ ، الدور الفعال الذي لعبه الشيخ في الكشف عن الكثير من مؤامرات إسرائيل وألاعيبها في منطقة غرب إفريقيا .

وإن الشيخ إبراهيم تألم كثيرا عندما لاحظ أن عددا كبيرا من الإسرائيليين قد أخذوا في التدفق على جمهورية السنغال في الأشهر التي سبقت إعلان استقلالها.

كانت فرنسا تمنحهم تأشيرات دخول بلا حساب ، وكانت تشجعهم على الحياة في الأراضي السنغالية ليكونوا عيونا لها ، ليعملوا لحسابها بعد الاستقلال ورأى الشيخ الخطر الذي يتمثل في هؤلاء المهاجرين الجدد من الإسرائيليين ؛ وكان رأيه الذي يردده كثيرا أن إسرائيل صورة أخرى للاستعمار الفرنسي ، ولكن بطريقة مختلفة . ولم يقف الشيخ صامتا أمام هذا التحدي والخطر الإسرائيلي ، بل قرر إقامة ندوات في تفسير القرآن الكريم ، في شهر رمضان . فامتلأت مدينته بألوف المسلمين الذين جاءوا لحضور هذه الندوات ، وكانت تركز على موضوع بني إسرائيل وظل الشيخ يدعو عليهم عند الاختتام ، ومما ورد في دعائه: " نسألك يا رب السماوات أن تجعل من الرئيس جمال عبد الناصر القوة التي تبعثها في هذا الزمان لتسومهم سوء العذاب " وكان يردد الحضور كلمة آمين . واهتزت الدوائر الاستعمارية وإسرائيل بعنف بسبب موقف الشيخ إبراهيم نياس ، فقد تلقى أكثر من رسالة تهديد بالقتل والاغتيال ، ولم يتأثر أو يغير من موقفه بسبب هذه التهديدات . [494]

---

[493] - انظر : الملحق رقم : 39 .

[494] ـ انظر : 25 عاما على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص125 ـ 126 ، بتصرف .

وللشيخ مواقف أخرى كثيرة للدعاء على اليهود وأذنابهم ، وتتجلى في في قصائده الشعرية التي مدح بها خير الورى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وسأذكر بعض النماذج للاستشهاد :

يقول :

سألت إلهي أن يذل بسرعة عصابات إسرائيل أهل غباء
وطهر لنا القدس الشريف وأهلكن إبانا وديانا رقاب إماء
لقد حاربوا عيسى ويحي وأحمد فهب ليهود القدس كل بلاء(495)

يقول أيضا :

عليك صلاة الله ثم سلامه وتستأصل الخبث اليهود من الأسّ
ويهلك دجال اليهود ويهلكن إبان وديان فيكمل لي أُنسي(496)

يقول أيضا :

فدمر يهود القدس مزق جموعهم ولا تبق منهم من لنار يؤجج
وتنصر قومي قوم أحمد عاجلا ليفرح كل المسلمين ويلهجوا
وتشغل من والى اليهود بشرهم وأنفسهم لو بالصواريخ دججوا(497)

فالشيخ إبراهيم نياس يعادي اليهود وعملاءهم عداوة شديدة لأنهم أعداء الإسلام والمسلمين والعرب .

---

495 ـ نزهة الأسماع والأفكار في مديح الأمين ، المصدر السابق، ورقة: 236 .

496 ـ المصدر نفسه ، ص:239 . إبان وديان : أسماء لبعض الرؤوس من اليهود .

497 ـ المصدر نفسه ، ورقة: 246

المبحث الثاني

جهوده ضد التنصير

أولا: التنصير وخطره على الإسلام والمسلمين

أ ــ مفهوم التنصير

التنصير هو المؤسسة الكنسية القائمة على نشر المسيحية في العالم، والمرتكزة على مذهب متكامل من الناحية الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .[498]

وأبرز عقيدة المسيحية التثليث : الإله الأب ــ ألوهية المسيح ــ ألوهية روح القدس وهو جبريل عليه السلام .[499]

ب ــ خطر التنصير على الإسلام :

يقول الأستاذ محمود شاكر:

إنه من الخطأ يتصور امرؤ أن التبشير بمعزل عن الغزو الحربي، والغزو الاقتصادي، والغزو الفكري والسياسي، وعن محاولة الجنس الأوربي المسيحي أن يخضع الأمم لسيطرة تدوم ما دامت له حضارة"[500]

. إن المنصرين يمثلون خطرا على الإسلام ، ذلك لأنهم تحالفوا مع اليهود لشن حرب ضده ، ويسعون إلى القضاء عليه بكل وسيلة ، ولاحظوا أنه لا يمكنهم ذلك إلا بإضعاف المسلمين وإشاعة التفكك والتفرقة بين صفوفهم ، حتى لا تكون لهم وحدة وقوة ، وحتى تنتشر الخلافات بينهم والفتنة والمنازعات بين صفوفهم .

والأخطر أنهم يحاولون انتزاع القرآن من قلوب المسلمين وصدهم عن حفظه وتعلمه ودراسته .

---

498 ــ انظر : الملتقى الثالث لدعاة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية المنعقد في كولومبو ــ سريلانكا ، ص:158 . ط1 ، طرابلس 1990م .

499 ــ انظر : المسيحية ، أحمد شلبي ، ص:131 وما بعدها ، ط10 ، مطبعة الإسراءات ، القاهرة ، 1998 م.

500– أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني– القاهرة، ص184.

ولقد اتخذوا عدة أهداف لتحقيق أهدافهم :

1 ـ من الناحية التعليمية

- إنشاء مدارس إرسالية لتنصير أولاد المسلمين

- توفير منح دراسية للطلاب لمواصلة دراساتهم في المعاهد والجامعات النصرانية المنتشرة في الغرب وفي البلاد الإسلامية ، والتي أسست خاصة لأغراض التبشير ، ولتعليم هؤلاء الطلاب العلوم التي اختارتها لهم حركة التنصير هذه ، لسلخهم عن دينهم نهائيا ، ولغرس بذور الشك في نفوسهم ، وكذلك العقيدة المسيحية.

- إقامة المؤتمرات والندوات مع تكبيل أفواه المسلمين بحجة أن ذلك سيسئ إلى ضيوفهم.

- توفير الكتب المدرسية التي دست فيها سموم النصرانية إلى المدارس

2 ـ من الناحية الثقافية :

- فتح مكتبات تضم كتبا لها طابع مسيحي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وتشجيع أولاد المسلمين على الإقبال عليها بادعاء التثقيف وذلك لإبعادهم عن القرآن الكريم والكتب الإسلامية .

- نشر وتوزيع مطبوعات مسيحية باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية

- نشر وتوزيع الكتب الإسلامية التي دست فيها معلومات زائغة فاسدة بطريقة مباشرة وذلك لتشكيك وتضليل المسلمين في دينهم .

- تنظيم مؤتمرات وندوات لتكوين الشباب وغرس بذور النصرانية في نفوسهم وغزو عقولهم .

3 ـ من الناحية الإعلامية :

- غزو الأفكار والعقول عن طريق الإعلام المرئي والمسموع وعن طريق الأقمار الصناعية والإنترنت وعن طريق الصحف والمجلات ، لإفساد العقول والأخلاق وبخاصة لدى الشباب .

4 ـــ من الناحية الاجتماعية :

- القـــيام بالخدمـــات في ظل الجمعيات والمنظمات الخيرية كحفر الآبار والإرشاد الزراعي ، وبناء المستشفيات والمستوصفات .

- تقديم المساعدات الغذائية وغيرها للمحتاجين والفقراء .[501]

- الاتصــال بالنســاء والأطفــال بــأن تُدرس أدوارُهم ومستوياتهم في المجــتمعات الإسلامية ، وتُحترم تقاليدهم فيما يخص الحشمة ، والفصل بيــن الجنســين حيثما وُجد ذلك ، وأن تُوفر نشاطات منزلية ذات أهداف بعيدة ، والإقرار بسلطة الرجال بكونهم يترأسون بيوتهم ... والهدف هو تنصير عوائل كاملة .

فهــذا الأســلوب من توصيات المؤتمر التبشيري الذي عُقد في مدينة جليــن فــي الولايــات المــتحدة الأمريكية ، سنة 1978م، لغزو العالم الإسلامي. [502]

ثانيا : بعض مواقف الشيخ إبراهيم نياس ضد التنصير

للشــيخ إبراهيم نياس مواقف مختلفة في مكافحة ومحاربة التنصير . وفيما يلي أبرزها :

أ ـــ رفضه الإغراء :

أراد المنصرون إغراء الشيخ إبراهيم نياس بالماديات فجاؤوه بخزائن مليــئة بأنواع النفقات والملابس باسم صدقات الكنيسة واقترحوا عليه أن يقــبل تولــي تقسيم تلك الصدقات على أتباعه فرفض لأجل الغيرة على دينه، وتمنى لو جاءَ الاقتراح من أخٍ مسلم أو من دولة إسلامية .[503]

---

[501] ـــ انظر : الملتقى الثالث لدعاة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، المرجع السابق ، ص:55 ـــ 78 ، بتصرف.

[502] ـــ انظر : التنصير ، الترجمة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين في الولايات المتحدة ، ص:68، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي ، لبنان ، 1978م .

[503] ـــ انظر : جمع وتحقيق رسائل وخطب الشيخ ، المصدر السابق ، ص:88 ، بتصرف .

أرى أن هذا الموقف موقف جرئ وشجاع ، وهو يدل على أن الشيخ يعـرف كـيد المنصرين ومغزاهم كما يدل على تقوى الشيخ وإخلاصه لدعوته .

وقد حاور الشيخ أحد الشخصيات في نيجيريا الذي قال له إنه لا يعتقد بالمشـايخ ، لأن شيخا كبيرا قتل . فسأله الشيخ قائلا : "أنت مسيحي ؟ " قال :" نعم " قال له الشيخ : "إلهك مقتول عيسى ، قُتل إلهُكم وتنتقد على شيخ قد قُتل" . قال : "هذا الشيخ يعرف الجواب جدا " .(504)

ب ـ الرد عليهم نثرا ونظما :

1- الرد نثرا:

رد الشـيخ إبراهيم نياس على كبير أساقفة دكار المطران لفيغر الذي كتـب منشورا مس كرامة الإسلام ، قبل استقلال السنغال ؛ إذ أنه رمى الإسـلام بالشيوعية واستعباد الناس والتبعية ، ومما ورد في قوله: " إن العـرب استعبدوا الأفارقة وإن إفريقيا لاتزال في الفقر والتخلف مادامت تتمسك بدين الإسلام... وإن المسيحية هي دين الخلاص والنجاة "[505] فرد عليه الشيخ ردا لاذعا في كتيب "إفريقيا للإفريقيين " ونُشر الكتابُ . وفيما يلي بعض ما ورد في الرد :

- إن قـول الأسـقف بأن الشيوعية توجد حيث يوجد الإسلام ، فإن ذلك بهـتان عظـيم ، فـإن الشيوعية أشد انتشارا في البلاد التي لم تعتنق الإسـلام بعد . والحق هو أن الإسلام ضد الشيوعية ، والشيوعية ضد الإسلام . والشيوعية ما طرأت في إفريقيا إلا من تلك البلاد التي أهلها غير مسلمين(506).

---

[504] ـ انظر : العقد النفيس ، المصدر السابق ، ص :88

[505] ـ الأدب السنغالي العربي ، صامب عامر ، ص: 25، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 م ، وانظر : فوتا السنغالية ودورها في نشر الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، محمد المختارجي، ص: 105 ، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة ،المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة ، 1421- 1422 هـ / 2000- 2001 م .

[506] ـ انظر : إفريقيا إلى الإفريقيين ، مصدر سابق ، ورقة: 4 .

- ثم ذكر الشيخُ بأن بلاده دخلها الإسلام – إن لم يقل نشأ فيها – عدة قـــرون قبل دخول الأوروبيين ، وما دخلتها الشيوعية بل ولا المسيحية إلا بعد تمكن الأوروبيين فيها[507].
- وأمـــا القول باستعباد الناس فيستفتح الشيخ الرد بالتساؤل قائلا : "هل بعـــض الأوروبيـــين الذين غزو إفريقيا واستعمروها هم الذين حاولوا اســـتعبادهم أم العكـــس ؟" واســـتمر الشيخ مبيِّنا أنه إن كان بعض بني الإنسان يستعبد بعضا فهذا إعلان القرآن : (قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمـــة ســـواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله)[508] ، وإن كان " بعض الامتيازات لـــبعض أبناء الجنس من ملوك وشيوخ هو المعبر عنه باستعباد الناس فإن الامتيازات في غير إفريقيا وفي غير المسلمين سواء من جهة الملك والحكم والدين ، أشد وأعظم خطرا على الضعفاء والعمال"[509] .
- ثـــم استشهد الشيخ بقول كاتب مسيحي حيث يقول : (" هل أقيم حد المســـاواة فـــي الغرب بعد الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان؟"... واستمر الكاتب المسيحي انتقاده النظام القائم على الظلم وعدم العدالة في الغرب ، وقال : " ألا يزال للملوك امتيازات ، ولرجال الدين امتيازات، ولأصحاب الرتب والألقاب امتيازات ، ولرجال الدين امتيازات ولحاشية الملـــوك والأشـــراف تفضيل وامتيازات أمام القانون العام ؟ ألا ينسج لهـــؤلاء أمـــام القـــانون العـــام أثواب غير الأثواب التي تنسج للشعب المســـكين ؟ إن هـــؤلاء لا يدفعون المكوس والضرائب ..." . وانتهى الكاتـــب بانـــتقاد رجال الكنيسة خاصة ، الذين يتمتعون بامتيازات دون غيرهم حيث يقول : " ... ألا تحسون أن تلك الدول الغربية تميز فريقا

507- المصدر نفسه ، ورقة : 4

508 - آل عمران : 64 .

509- إفريقيا إلى الإفريقيين ، المصدر السابق ، ورقة : 5 .

كبـــيرا مـــن رجـــال الدين يملكون ثلث أرض البلاد ، وثلث عقارات الوطن.. . أرضهم معفاة من مكوس الجمرك يعفون منها وتحمل إليهم مستورداتهم ضعف أضعاف ليتاجروا بالزيادة ، ويجمعوا ذهبا ") .[510]

وانطلاقا من هذا الشاهد ، يرد الشيخ على الأسقف بأن دعوى رجال الكنيســة بــالعدل والإنصــاف والمساواة باطل ، وهم الذين يستعبدون الــناس، لأن العمــال المســاكين والفلاحين البائسين يدفعون الضرائب المــتزايدة والرهــبان الكسالى البطالين توفر أموالهم لهم ، حتى أن لكل واحــد منهم أكثر مما عند ألف مواطن من أبناء الشعب . ثم هجاه الشيخ ببيت شعري قائلا :

لا تهجــونّ أســن مــنك فــربما   يهجو أباك من حيث لا تدري[511]

ثــم مــدح الحالة العكسية في الإسلام بما فيه الرحمة والعون للفقراء حيث تؤخذ الزكاة من أموال الأغنياء وترد على الفقراء .

وأضــاف الشــيخ منددا ومنتقدا ظلم الحكومات الاستعمارية المسيحية حيــث تدعــم المــدارس التنصيرية وتترك مدارس المسلمين وجوامعهم ومساجدهم بدون مساعدة ، واعتماد المسلمين في كل ذلك على الله وعلى أنفسهم . ويقول مستنكرا : "فهكذا المساواة ومراعاة حقوق الإنسان ؟"

وأمــا عــن التقليد الأعمى والتبعية الحمقاء التي رمى بها الأسقف الإســلام ، فرد عليه الشيخ بأنها وصف المسيحية لأنهم قالوا إن الدين فــوق العقل حبا منهم لانقياد الناس لهم ، ولا يبحثون عن حقائق دينهم ، بل تقليد أعمى وتبعية حمقى ، وانتهى قائلا :

وكنت إذا قوم رموني رميتهم   فهل أنا في آل همدان ظالم[512]

510- المصدر نفسه ،ورقة : 5- 6 .
511- المصدر نفسه ، ص: 6 .
512- المصدر نفسه ، ص: 7- 8 .

وإن تعـودوا نعـد ، والـبادئ أظلم وباقي خزعبلاته لا يحتاج لجواب والسـلام علـى مـن اتبع الهدى ، والعذاب على من كذب وتولى."(513)

وأرى أن الـرد يتضمن في طياته هجوما على الأسقف وأن الشيخ جريـئ لأنـه تحـرك في وقت كانت الحركة فيه معدومة ، وهو عهد الاستعمار .

2- الرد نظما :

لما قال المنصرون بأن السنغال ستتحول إلى المسيحية رد عليهم الشيخ :

فالسنغال يأوي تحت ظل محمد ويعبد ربا جل شأنا موحدا

فمن ظن شيئا غير هذا فظنه سقيم عليل باطل لن يؤيدا

رويدكمُ أهل الكنيسة لن تروا مدى الدهر أنا قد تركنا محمدا(514)

د ـ التحكيم :

كانـت دعوة الشيخ تسري سريانا شديدا ، حتى رفِع أمره إلى الحاكم العـام فـي ظل الإدارة الاستعمارية ، فسعى هذا الحاكم لملاقاة الشيخ ، فاسـتقبله فـي مكتـبه ، وقال له ـ بعد المجاملات ـ : " إن مسؤولي الكنيسـة الكاثوليكـية يشـتكون ". قال الشيخ : "ما شكواهم يا ترى ؟" قـال:"إنهـم يقولون إنهم إذا بدؤوا التبشير لا يأتون إلى المسلمين ، إنما يذهـبون إلى من لا دين لهم من الوثنيين قبائل كذا وكذا ويجتهدون فيهم علاجـا وإغـراء حتى إذا استيقظ ضميرهم ذهب إبراهيم نياس وقهرهم على دينه "

الشـيخ : "إن الإسـلام لا يبح لي أن أقهر أحدا ، ولا رغبة لي في قهر أحد، إذ ديني صريح فيه : لا إكراه لأحد ، هذا في قرآننا.

---

513 ـ انظر: إفريقيا إلى الإفريقيين ، الشيخ إبراهيم نياس ، ورقة:4 ـ 8 ، مخطوط ، نسخ برهام جوب ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي، النيجر. انظر: الملحق رقم: 39 .

514- 25 عاما على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص: 66 . وانظر: صحيفة الدعوة الإسلامية ، ص: 8 ، العدد 848 ، 2003 م

الحــاكم : " وبلغنــي أيضا أنك تمنع أتباعك من أن يدرسوا في مدارس الإرساليات التابعة للكنيسة ، ابتداء بالابتدائية وغيرها ؟"

الشيخ : " نعم هذا واقع "

الحاكم :" ألا تعلم أن مدارس الكنيسة وإن كانت كنيسة إلا أنها لا تعلم إلا البرنامج العام ، لا تعلم الدين المسيحي ؟"

الشــيخ : "يــا حضرة الحاكم ألا يعتقد هؤلاء المبشرون ، هؤلاء القسس والرهبان أنهم على حق ؟"

الحاكم : "بلى يعتقدون "

الشــيخ :"إذاً إذا ادعــوا ووعــدوا أنهم لا يعلمون أولادي وأهلي دينهم المسيحي ثم خالفوا الوعد فخادعوهم وعلموهم، ألا يرون أنهم علموهم ؟ إذا خلقيا كأنهم ارتكبوا خطيئة " .

الحاكم :" ماذا تريد أن تقول بهذا ؟"

الشــيخ :"أريــد أن أقول باختصار : إن ست سنوات قبل الحصول على الشهادة الابتدائية العادية ، لو أقامها أولادكم كافة في مدرستي لأصبحوا جميعا مسلمين ولابتعدوا أبد الآبدين عن المسيحية ، هذا الذي أخشى أن يصيب أولادي ."

الحاكم : " ــ وقد رأى أن الأمر ليس له منفذ ــ قال للراهب الذي شكى: "أرى أن الحــل الوسط أن تبقى في الكنيسة فمن أتاك فهو لك وأن يبقى إبراهيم في مسجده فمن أتاه فهو له ." وهكذا انفض المجلس من غير كسب لهم .(515) وعلق الشيخ إبراهيم محمود جوب : "إن الشيخ صلب في مواقفه الدينية والعلمية والخلقية والوطنية ، هذا الذي شهدناه ونملك عليه أدلة كثيرة ..."

[515] ــ معلومات مسجلة في شريط بصوت الشيخ إبراهيم محمود جوب .

هـ ـ الإرشاد

اهـــتدى علـــى يد الشيخ إبراهيم نياس خلق كثير من الذين كانوا في المسيحية فاعتنقوا الإسلام وأرشدوا غيرهم إليه ، بدورهم .

ونظرا لكثرتهم سأعطي مثالا واحدا للاستشهاد :

* مبشر مسيحي يعتنق الإسلام ويدعو قومه إليه : "كان نيوجي من قبيلة "ايـــبو" في نيجيريا ولد من أبوين مسيحيين ، كان يشرف على كنيسة في شرق نيجيريا ثم أراد الله له الهداية فأسلم على يد الشيخ إبراهيم نياس ، وسمى نفسه بـــ " إبراهيم نياس" تأثرا وتشبها به .

وبعد إسلامه ، كلف الشيخ إبراهيم من يعلمه القرآن الكريم ومبادئ الدين الإســـلامي ، ثم بعد ذلك أذن له بالعودة إلى وطنه لدعوة قومه إلى دين الإسلام .

وكـــان يـــرافق الشـــيخ أحيانا في سفرياته إلى الدول العربية وقدمه الشـــيخ لرئـــيس رابطـــة العالم الإسلامي وأمينها العام ولجميع أعضاء الـــرابطة، فكتب الأمين العام توصية إلى جميع الدول العربية والإسلامية يدعوهم إلى مساعدته حتى يتمكن من القيام بمهمته الدعوية على أكمل وجه واستطاع أن يبني مسجدا ومركزا إسلاميا ومستشفى للمسلمين، وبلغ عدد من أسلموا علي يديه حوالي مائة وخمسين ألفا من المسيحية .

وقـــد تعـــرض الداعـــية إبراهيم لمضايقات ومحن ، منها سجنه هو وزوجـــته ، وإغراؤه بالمال من طرف إسرائيل ، فقد عرضوا عليه مبلغ 155 ألـــف دولارا مقـــابل تحوله إلى القاديانية فأبى، كما تعرض أتباعه وتلامذتـــه للقـــتل ، قـــتل منهم كثير لأنهم لم يشاركوا في الحرب ضد

إخوانهم المسلمين ، فلم يتوقف إبراهيم عن دعوته ، ولم تزده المحن والبلايا إلا إيمانا وقوة وصلابة وعزما . (516)

وختاما أقول : إن الشيخ إبراهيم قد قاوم التنصير مقاومة شديدة ونجح في ذلك، لأنه على الرغم من بنائهم الكنيسة في كولخ بقصد تشويش أصحابه وإغرائهم بالمال حتى يصطادوا بعضا منهم إلى المسيحية ويتركوا الإسلام ، إلا أنهم لم يجدوا من يأتيها من أتباع الشيخ أو غيرهم ، واضطروا أن يتركوا مباني الكنيسة في مكانها خاوية ويرحلوا وهذا ماشهد به صحفي مصري وحققه عندما زار الشيخ في مدينته ، سنة 1961 م .

يقول الصحفي جميل عارف : " ... لفت نظري في أحد شوارع مدينته كولخ وجود كنيسة كبيرة كان لون مبانيها داكنا ، وكانت تبدو كأنها مهجورة منذ عدة سنوات ، ورأيت بابها مغلقا ، والصدأ يغطي حديد نوافذها كما يغطي الجرس الكبير المركب في برجها العالي ..." (517).

وإن المبشرين قاموا ببناء الكنائس في كل عدة أميال بالسنغال ، وجل هذه الكنائس لا يذكرها ذاكر ولا يزورها زائر . ولا شك أن هذا من جهود الشيخ وأمثاله .

---

[516] ــ انظر : رجال ونساء أسلموا ، إعداد وترجمة عرفات كامل ، الحلقة الأولى ، ص:165 ــ 169 ، ط3 ، دار القلم، الكويت . وانظر : 25 سنة على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص: 97- 98 .

[517] ــ 25 عاما على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص:122

الفصل الثالث

الدعوة إلى الله من خلال مؤلفاته

مدخل :

كـــرس الشـــيخ إبراهيم نياس حياته كلها في الدعوة إلى الله ، بماله ونفســـه ، وذلـــك امتـــثالا لقوـــله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظـــة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (518) وقوله عز وجل : (ولتكن منكم أمة يدعـــون إلـــى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون(519).

وتنقســـم وسائله الدعوية إلى قسمين : الوسائل المباشرة والوسائل غير المباشرة . ومن ثم يتكون هذا الفصل من مبحثين :

---

518 ــ النحل : 125

519 ــ آل عمران : 104

المبحث الأول

الوسائل المباشرة

ولها ثلاثة فروع : التفسير والخطبة والمقابلة الصحفية .

أولا : التفسير : أنموذج سورة العصر

قال تعالى : (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) [520].

بدأ الشيخ تفسيره السورة ببيان أن الله تعالى إذا قال شيئا علمنا أنه الحق لا سيما إذا أقسم به .

وفي كلمة العصر ذكر قولان : الدهر في قول و حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول آخر، ثم علق قائلا : "وإذا تأملت وجدت هذا واحدا . واستمر في البيان، فذكر أن الحق تعالى أقسم بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعصره أن كل إنسان مهدد بالخسران ، والخروج من هذا الخسران لا يتأتى إلا بأربعة أمور فقط : الإيمان وعمل الصالحات والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . ثم دخل في التفصيل موضحا أن من آمن فقد خرج من الخسران بالإيمان ، ومن عمل صالحا فقد خرج من الخسران بالعمل الصالح ، والتواصي بالحق كذلك ، والتواصي بالصبر كذلك فركز على هذين الأخيرين : التواصي بالحق والتواصي بالصبر مؤكدا أنهما ضروريا ن لأنهما الدعوة إلى الله تعالى ، وهذه لا بد منها ولا بد من الاجتهاد فيها .

والدعوة إلى الله ــ عند الشيخ إبراهيم ــ ليست خاصة بالمشايخ والعلماء والكبراء ، بل هي واجبة على كل فرد ؛ وعلى كل جنس من أجناس الناس أن يدعو جنسه إلى الله تعالى ، لأن ذلك أشد تأثيرا في قلوبهم كأهل الحرف والرعاة وأهل الحراثات وغيرهم .

520 - العصر: 1 -4.

ثم فصّل الشيخ فكرته بأمثلة واضحة ومقنعة فوضح أن الرعاة إن رأوا واحدا من جنسهم يصلي ويصوم مستقيما على أمور الدين اقتدوا به لأنه من جنسهم ، والنساء إن رأين امرأة منهن مستقيمة على أمور الدين أيضـا اقتديـن بها لأنها من جنسهن ، وأهل البساتين كذلك ، والصبيان كذلـك ، بخـلاف إن أتاهم شيخ كبير كامل ليس من جنسهم يقولون هذا لـيس مـن جنسـنا ، فأهل الغفلة جهلوا أنهم يجب عليهم شيء ، لأنهم يقولون عندنا عذر في ذلك ، وكذا إذا أتيت أهل البساتين يقولون بساتيننا هي التي شغلتنا عن الفرائض ويتخذون ذلك عذرا وكذلك الرعاة إذا أتاهم شيخ كبير ليس من جنسهم يقولون هذا ليس مثلنا ، ولكن إذا جاءهم راع وهو مستقيم في الدين اتبعوه . ولذلك يقول الشيخ " ... يتعين على كلنا أن يدعـو جنسه ومن أمكنه إلى الله ، هذا واجب على كل واحد لا تبرأ ذمته إلا به ..." .

وذكـر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأتي الناس في مجالسهم وبيوتهم ويدعوهم إلى الله تعالى ، والصحابة كذلك لا يتكاسلون .

ثـم ألقـى ضـوءا على مسألة الخلاف فبيّن أنه ليس بممنوع ، وأن الإنسـان خلـق للخلاف بدليل (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلـك خلقهـم) (521) ، وأخذ يُفصِّل فذكر أن اختلاف العلماء رحمة . الممنوع والمذموم هو التفرقة لا الخلاف ، لأن الإنسان يفهم فهما ويفهم الآخـر فهمـا فيخـتلفان وذلك ليس مذموما ، وإنما المذموم تأثيره في القلوب ، وإذا اختلف الفهمان، لا يحكم أحد بأن ما عليه هو الصواب وما عليه الآخر خطأ ، إن أمكن الاتفاق فهو أحسن وإلا فلا يضر الخلاف إن لـم يؤثـر ، وقد وقع الخلاف في الصحابة . والخلافات كلها عند التأمل أصلها خفيف ، لكن يدخل الشيطان والنفس فيجعلانه خلافا شديدا ويفرق

---

[521] ـ هود : 118 ـ 119 .

بيـــن الـــناس وغالـــبا مـــا يجد أعداء الدين جماعة من المسلمين مختلفة اختلافا خفيفا فيفرقون بينهم . (522)

والذي أستنتجه من هذا التفسير هو :

ـ إن الشيخ إبراهيم نياس موهوب في استنباط المعاني من النصوص .

ـ إنـــه مجـــاهد في الدعوة إلى الله وفي تحريض الناس على أن يكونوا دعاة إلى الله .

ـ إن الدعوة عمل مشترك ، لا يتوقف عند مجموعة أو فئة معينة بل كل فرد بدوره يستطيع أن يساهم فيه بقدر استطاعته قولا أو فعلا أو حالا أو سلوكا .

ثانيا :الخطبة[523]

لا توجد مناسبة يجتمع فيها الناس إلا وألقى الشيخ إبراهيم نياس خطبة تناســب المقـــام ؛ فكـــان خطيبا في صلاة الجمعة والعيدين وعيد المولد النـــبوي ، وكـــان يخطـــب في اللقاءات وفي الأفراح ، والأحزان ، ... وسأستشـــهد هـــنا بالخطبة التي ألقاها في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ، سنة 1380 هـــ ، وفيما يلي ملخص ما تضمنته من توجيهات دعوية :

ـ دعى إلى تصحيح الإيمان بالله وإتقان العبادة لله تعالى بالإخلاص كما أمرنا جل وعلا بقوله: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (524) وبيـــن أن الإيمـــان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ويزيد ويـــنقص ، ومن علاماته أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ، والحب في الله والبغض فيه .

---

522 ـ انظر: جواهر الرسائل ، المصدر السابق ، ج2 ، ص:109 ـ 111.

523 ـ انظر: أنموذج لخطبة الشيخ في ملحق رقم: 40 .

524 ـ البينة : 5

ـ دعـــى إلى المنافسة في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه حبيب الله ولأن مـــن أحـــب الله حقـــا أحب عبده وحبيبه ، وكذلك معرفة حياته وسيرته وأخلاقه للتأسي به والاقتداء به ففي ذلك سعادة الدارين.

ـ نـــبه إلى المسؤولية الكبرىعلى الآباء والدعاة وهي الاهتمام بالنشء بتعلـــيمهم القرآن الكريم واللغة العربية وغرس محبة المسلمين في قلوبهم ومحـــبة العـــرب وخصوصا الشرفاء من أهل البيت النبوي فمحبتهم هي محبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبغضهم بغض له . ولا بد من تحمل هـــذه المســـؤولية بجد وثبات وصبر وإخلاص لتكوينهم وتربيتهم تربية إسلامية حتى يكونوا غدا رجالا صالحين متعلمين وأصحاب أخلاق حميدة نبيلة .

ـ ثـــم أوصـــى بـــالجد والاجـــتهاد في المحافظة على الفروض والسنن والآداب وذكر الله وخاصة تلاوة القرآن الكريم .

ـ كما أوصى بالعمل والكسب للمعاش والكد من أجله لأن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وأن الله لا يقبل إلا طيبا .[525]

والـــذي يســـتنبط مـــن خلال هذه التوجيهات ـ كما أرى ـ هو أن الشـــيخ إبراهيم نياس ليس من العلماء المتطرفين فهو يهتم بالإنسان من حيـــث تربيته والعبادة والعمل لكسب المعاش وهو وسيلة للآخرة مصداقا لقولـــه تعـــالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) [526].

ثالثا : المقابلات الصحفية

اهـــتم الصـــحفيون الوطنـــيون والدوليون بإجراء مقابلات مع الشيخ إبراهـــيم نياس فيما يخص قضايا الأمة الإسلامية ، ومن هذه المقابلات ،

---

525 ـ انظر :الخطبة الحاوية على النصح القيمة ، إبراهيم نياس ، ورقة: 2 ـ 9 ، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي النيجر ، 1380 هـ ، بتصرف.

526 ـ القصص : 77

المقابلة التي أجراها مندوب الإذاعة المصرية معه، في16 مارس1961م.
والتوجيهات الدعوية المستخلصة من هذه المقابلة الإذاعية هي :

ـ الوصية بتقوى الله في السر والجهر وذلك بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات .

ـ الإكثار من الخير دائما ، وخاصة في يوم العيد بإخراج الصدقات وذكر الله .

ـ كرر الوصية بتقوى الله مؤكدا أن العبد جميع ما عنده من المطالب في الدنيا والآخرة إنما ينالها بتقوى الله ، وفصّل القول في ذلك مع أدلة قرآنية .

قال في إجابته للمذيع فيما يتعلق بإمكانية توحيد الأعياد في البلاد الإسلامية أن ثبوت هلال رمضان في القاهرة لا يتناول المسلمين في غرب إفريقيا ، لا يصومون بصيامهم شرعا ولا يفطرون بفطرهم شرعا لأن لكل رؤيتهم فكل إقليم لا يلزمهم الصوم إلا إذا رأوا الهلال في ذلك الإقليم ، وهذا هو المقرر في الشريعة المحمدية من عصر الصحابة وهلم جرا .

وأضاف الشيخ ذاكرا أنه مع كل ما يدعو إلى توحيد كلمة المسلمين على كل حال ؛ إلا أن الشريعة الإسلامية لا تقبل تغييرا ولا تبديلا والواجب اتباع ما شرعه لنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه ثبت في زمن الصحابة أن الهلال رؤي في الشام وامتنع أهل المدينة من الصيام لرؤية أهل الشام . لذلك ، المسلمون لا يصومون إلا إذا ظهر الهلال في إقليمهم ولا يفطرون إلا إذا ظهر الهلال في إقليمهم ؛ ومثّل بالتوقيت بين مصر وغرب إفريقيا : الظهر في مصر ضحى في السنغال فيفطر المصريون والسنغاليون في صيام .[527]

---

[527] ـ انظر: 25 عاما على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص:104 ـ 108 .

والـــذي استخلصـــه هو أن الشيخ متقيد بالشريعة الإسلامية ومتعمق فيها وداع إلى التمسك بها وتطبيق جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مع تقوى الله .

المبحث الثاني

الوسائل غير المباشرة

وهي الرسالة والوصية والفتوى والتأليف .

أولا :الرسالة

من الوسائل التي يوجه بها الشيخ تلامذته وأتباعه، الرسالة. ولتوضيح ذلك نأخذ رسالته الموجهة إلى جميع المنتسبين إليه ، وأمرهم بحفظها ضروريا بتاريخ 1349 هـ ، وسأورد خلاصة ما تضمنته هذه الرسالة :

ـ من أراد أن يكون معه في حاله فعليه بامتثال الأوامر واجتناب النواهي في الظاهر والباطن والتعطش والتشوق إلى الوصول إلى مرضاة الله ورسوله .

ـ إنه برئ أمام الله من كل من ينتسب إليه ويرتكب شيئا من مخالفة الشريعة المطهرة باقتحام المحرمات وترك المأمورات .

ـ ضرورة الرجوع إلى الله بالتوبة والامتثال والاجتناب والورع والتعلم وصحبة الصالحين ومواصلة الزيارة وتطبيق الشريعة تطبيقا صحيحا ، والإكثار من ذكر الله وكتم الأسرار قولا وفعلا وعدم الدعاوى والقيام بالدعوة إلى الله قولا وفعلا وحالا ، وتقوى الله ورضى بحكم الله ورسوله رضاء تاما [528].

أرى أن هذه الرسالة تثبت على أن الشيخ إبراهيم نياس من العلماء المصلحين المخلصين ، وأنه يربي الناس تربية إسلامية أصيلة .

ثانيا : الوصية

كانت حياة الشيخ إبراهيم نياس مع تلامذته وأصحابه مليئة بالوصايا والتوجيهات . وتميز بأنه لا يوصي بشيء إلا وكان يطبقه عمليا . ومما ورد في وصاياه ما يلي :

---

[528]ـ انظر: الملحق السابق، رقم : 23

الأخص ، وبالسعي في كسب الحلال ، وبإخلاص النية في جميع الأعمال والاجتهاد في تصفية النفس ، وبعدم التظاهر بالمقامات والمناصب والكرامات ، وبالتواضع ، وبالعمل على نفع المسلمين حسب القدرة والاستطاعة إلى غير ذلك من الوصايا ...(530)

ثالثا : الفتوى

الشيخ إبراهيم نياس مرجع من المراجع التي يرجع إليها في الفتوى . وكانت له مواقف على مستوى فردي وإقليمي ودولي .

أ ـ المستوى الفردي :

وله فرعان : عام وخاص .

العـام : وأقصد به إجابته على أسئلة العامة الذين لم يتعمقوا في العلم أو الطلاب الذين هم في طريق العلم ، كإجابته لأحد التلاميذ الذي سأله عن الحكمة في تعليق الأشياء على بعض الشروط ، وملخص ما أجاب به الشيخ هو أن الأشياء كلها صادرة عن المشيئة بالقدرة الإلهية وحدها ، والله تعالى ستر القدرة بحجاب الحكمة لتتفاوت الناس في اليقين والإيمان بالغيب ، وهو منزه عن الفعل لغرض بل لحكمة ، فكونه جعل أسباب المعيشة الحراثة والإمارة والتجارة والصناعة لنفع بعضنا ببعض فكل هذه الأشياء لا تقوم إلا مع غيرها فالتجارة لا تقوم بدون الحراثة ، والحراثة لا تقوم إلا بها ، والحراثة لا تقوم إلا بهما ، وكذلك الصناعات في مكابدة هذه الأشياء لطلب الحلال ولنفع الخلق به-مرضاةً للخالق وهو الفاعل القادر الذي لقدرته يستند كل شيء وهو لا يستند لشيء سبحانه وتعالى عما يصفون .

---

530 ـ انظر: جواهر الرسائل ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص:21 ـ 23 ، بتصرف.

فـــإذا أراد أن ينفع عبدا بعبد حوّج هذا إلى ما عند هذا وأحوجه أيضا إلى ما عنده فتقع المعاملة والمؤالفة والتحابب وينتج من ذلك خير الدارين ما لا يعلمه إلا خالق العباد .(531)

الخاص : والمراد به إجابته لأسئلة بعض العلماء . ومن ذلك جوابه عن سؤال العلامة علي سيسي في امرأة تطلب الخلع من زوجها فمكّنت المال من أهلها وأرسلوه إلى الزوج فامتنع ولم يأخذه ولم يقبل شيئا من المال ، وجُعِل رأس المال بيد خاله ليداريه حتى يأخذه ، ولم يقبل حتى مات على ذلـــك الحـــال . وبعـــد وفاته أرسل أقارب المرأة يطلبون المال حيث إن الـــزوج ما أخذه وعليها الإحداد فامتنعوا . وكان السؤال : "ما حكم هذه المرأة ، هل ترث أم لا ، وهل عليها الإحداد أم لا ؟"

الجـــواب :" لا إرث لهـــا ، فهي ناشز على أقل أحوالها والناشز ليس لها إنفاق،كلا ، ولا إرث لها ولا صداق، وعليهاالإحداد، ومالها مردود ."(532)

ب ــ المستوى الإقليمي

ويتمثل في إحيائه لسنة القبض بغرب إفريقيا بعد أن كانت ميتة ، وقد كتب كتابا سماه "رفع الملام عمن قبض اقتداء بسيد الأنام "

يقـــول في حديثه مع أحد الصحفيين بهذه المناسبة :" ... وأنا أتحدى أي واحد يستطيع أن يأتيني بحديث واحد ولو كان ضعيفا يبين لنا أن الرسول صـــلى الله علـــيه وســـلم أسدل في الصلاة ، فمن يستطيع إعطائي هذا الحديـــث سوف أعطيه جميع ما أملك من الكتب ، لأننا قرأنا في القبض أربعمائـــة حديثا وكثيرا من الروايات ولا توجد رواية تتحدث عن السدل إلا رواية ابن القاسم... "(533)

[531] ــ انظر : نزهة الأذهان ، المصدر السابق ، ورقة: 35 .

[532] ــ العقد النفيس ، المصدر السابق ، ص:18 ــ 19

[533] ــ 25 عاما على رحيل الشيخ ، المرجع السابق ، ص:102

ج ــ المستوى الدولي (العالمي)

ومـــثال ذلك مشاركة الشيخ إبراهيم نياس وإسهامه للدفاع عن إعادة النظر عن مسألة تنحية مقام إبراهيم باسم توسعة المكان . وقد أفتى بذلك مفتـــي المملكـــة العربـــية السعودية ، سنة 1383هـــ ، ودار النقاش بين العلماء في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بخصوص هذه القضية ، وكان الشـــيخ إبراهيم نياس المدافع الأول لعدم نقل المقام من مكانه (534). وفي الـــنهاية طُلِب منه ومن الآخرين إعداد بحث عن ذلك فكتب الشيخ بحثه وسَـــماه بـــ "سبيل السلام في إبقاء المقام " (535)، وقد أُخِذَ برأيه فلم ينقل المقام من مكانه .

رابعا : التأليف (الكتاب)

وأبـــرز مـــا يتمـــثل به كتابه في النظم الذي سماه بـــ "روح الأدب" ويحتوي على نصائح قيمة مفيدة للإنسان في دينه ودنياه وآخرته . ويمكن أن أستشهد ببعض ما ورد فيه :

إرشاده إلى التوحيد والعبادة :

من لم ينل معرفة الرحمن أعماره ضاعت مدى الأزمان

خلقت ذا الخلق ليعبدوني يعني بيعبدوني يعرفوني (536)

والمراد بالبيتين هو التنبيه بالعبادة الخالصة مع العلم والمعرفة ، ذلك أن الإنسان خلق لعبادة الله عبادة عارف به ليس فيها تقليد ولا تبعية حمقى ، وعليه فيجب على العبد التعلم ليعرف الله حق المعرفة ، وليعرف التكاليف الشرعية حتى يعطي كل ذي حق حقه ، يعطي حق الله وحق رسوله وحق بني جنسه من المسلمين وغيرهم من المخلوقات ، كل ذلك

---

534 ــ معلومة مسجلة في شريط بصوت الشيخ إبراهيم محمود جوب ، وكان الشيخ معه وقت النقاش في قاعة المؤتمر.

535 ــ انظر: الملحق السابق، رقم : 3 .

536 ــ روح الأدب ، إبراهيم نياس ،ص9 ، ط1 ، دار المدينة المنورة ، 1409هـــ - 1988م .

بإخلاص . ومن عاش دون العبادة خسر الدنيا والآخرة ، لذلك يذّكر الشيخ بذلك تنهيضا وتنشيطا للهمم وتحذيرا من الغفلة .

- الصبر على المحن :

لا تتألمـــــن إذا رأيـــــتا	إذايـــة الخلـــق لـــذا خلقـــتا
أجـــرىالأذى منهمُ لئلا تركنا	إلـــيهمُ بـــل الإلـــه فاركـــنا
وإن بليـــت باشـــتداد وشرور	فاصبرسيأتيك انفراج وسرور
فكـــل لـــيل بعـــده نهـــار	وكـــل عســـر بعـــده يســـار
إذا علمـــت ذا تكـــون راضيا	حكـــم الإله كل وقت باقيا[537]

يوصي الشيخ إبراهيم نياس في البيتين الأولين تلاميذه وغيرهم بتحمل إذايـــة الخلق بصبر جميل وعدم رد فعل لأن الإنسان خلق في كبد ويظل في امتحان إلى أن يلقى ربه كما في قوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)[538] . وإذا رأى الإنسان هذه الإذاية التي اشتدت عليه من طرف بني جنسه ، فذلك مؤشر على أن الله سبحانه وتعالى ينبّه على ألا يركن إليهم ويـــبقى معهم في لهوهم وانشغالهم عن الله ، بل عليه أن يزداد تقربه إلى الله بذكـــره دائمـــا ،بـــتلاوة القـــرآن مـــع التدبر والترتيل والخشوع ، وبالاســـتغفار والصلاة على سيد الأنام ، وبالأعمالِ الخيرية التي ترضي الله كالصدقات والإنفاق على الفقراء والمنكوبين ، كل ذلك يجعل الإنسان قوي الإيمان وحسن السلوك وكريم الأخلاق .

أمـــا فـــي الأبيات الأخيرة ، ففيها يوصي الشيخ عباد الله بالصبر عند المحـــن كمصيبة الفقر أو الفشل أو غير ذلك ، والفرار إلى الله بالدعاء ،

537 ــ المصدر نفسه ، ص:6 ــ 7

538 ــ البلد:4

فـلا شـك أن الفـرج آت عاجلا أو آجلا كما أن الليل يأتي بعد النهار والعكـس صحيح ، كذلك اليسر يأتي بعد العسر والفرج يأتي بعد الشدة والمحـنة ، وعلـى الإنسان أن يتيقن بذلك ويتقبل قضاء الله وقدره بقلب سليم راض .

- النصيحة بالتعلم :

لا بـد أن تقـدم الـتعلما   فكـن لشـرعة الإلـه محكمـا
فـالعلم عمـري هو إمام العمل   كمـا أتى عن طه خير الرسل[539]

يحـرض علـى التعلم والتبحر في العلوم ابتداء بالعلوم الشرعية ثم غـيرها من العلوم النافعة في الدين والدنيا والآخرة لأن العلم هو الإمام في كل شيء ، ولا بد أن يعمل الإنسان بما علم .

وقد ألف الشيخ إبراهيم نياس كتابا سماه " تبصرة الأنام في أن العلم هو الإمام " يقول في مقدمته :" إني لما رأيت جل أبناء الزمان غرهم سلم الدهـر والأوان ، فاشـتغلوا بطاعة الهوى والنفس والشيطان،عن العلم والعمل والقرآن ، قيدت هذه الرسالة تنبيها للأبناء والإخوان ، وبالأخص مـن كان آباؤهم وأجدادهم أهل العلم والعرفان، نصيحة لهم " [540]. فالعلم ضـروري وواجب على كل مسلم ومسلمة على الأقل معرفة ما يقيم به فـرض عينه كالصلاة ، وهو نور يهتدي به الإنسان فيؤدي ما عليه من الواجبات خير أداء وبإخلاص ، ويجتنب الرياء الذي هو الشرك الأخفى والكـبر والحسـد والنفاق وجميع آفات النفس ، فيصلح قلبه وبإصلاحه يصـلح الجسـد كله ، وإذا صلح القلب والجسد وجد الإنسان الاستقامة والتقوى ، وبها يفوز فوزا عظيما .

---

539 ــ المصدر نفسه ، ص: 7

540 ــ تبصرة الأنام في أن العلم هو الإمام ، إبراهيم نياس ، ص:2 ، نشر الحاج محمد ثاني يعقوب ،كانو ــ نيجيريا ، بدون باقي معلومات النشر.

لكن لكل علم متخصصوه ، فعلم الشريعة للفقهاء وعلم اللغة للغويين وعلم تزكية النفس للصوفيين ... ومن أراد تعلم فن ما ، فلا بد أن يتصل بأهله ومتخصصيه إذا رغب في الاستفادة .

والشيخ إبراهيم لاحظ غرور أبناء أهل النسب بنسبهم وبمفاخر آبائهم وأجدادهــم ، لذلك ينبه هؤلاء بأن "فضيلة الشخص التي توجب له التقدم فــي الديــن تُنال بالاكتساب لا بمجرد الانتساب ، فطلب التقدم في الدين بالإمامة أو المشيخة بمجرد الانتساب قليلة لا يقبلها أولو الألباب ..." [541]

541 ــ المصدر نفسه ، ص:3 .

الخاتمة

الحمد لله القائل في كتابه العزيز (خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُون) [542]، والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين.

وبعد ،،،

فقد وصلت ـ بعون الله ومشيئته ـ إلى ختام هذه الرسالة المتواضعة ، وفيما يلي أهم النتائج :

*إن الشيخ إبراهيم نياس سليل أسرة عربية أصيلة ومتدينة ، لها أصل مبرز في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

*إنه موفق وموهوب منذ بداية نشأته ، إذ أنه لم يدرس إلا على والده وفي ظروف صعبة ، إلا أنه باجتهاده وكثرة اطلاعه للكتب وبعناية الله له ، استطاع أن يتبحر في العلوم الشرعية واللغوية والثقافية ، وأن يكسب شهرة عالمية وينال محبة بني جنسه وتقديرهم له ، فاهتم به العامة والخاصة والقادة في مختلف البلاد الإسلامية ، وعُدَّ من نخبة العلماء الذين يرجع إليهم في النوازل والفتاوى .

*إن التصوف الإسلامي من حيث أصوله وحقيقته متَّفَق على أنه روح الشريعة وثمرتها المرجوة ، وهدفه تزكية النفوس والقلوب وتطبيق الشريعة تطبيقا صحيحا وسليما ، أما ما خرج عن هذه الدائرة وعن هذا المفهوم مثل غلو المغالين في الدين وانحراف المنحرفين ، فلا يعد من التصوف بل ادعاء له وانحراف عنه .

*أقر التجانيون بأن الشيخ إبراهيم نياس هو صاحب الفيضة التجانية ، وأبرز الأدلة التي تثبت ذلك تبحره في علوم الشرعية والحقيقة وغيرها وتمسكه الشديد بالسنة المحمدية الشريفة ، وانتشار الطريقة التجانية في جميع قارات العالم على يديه ، وتركيزه على تربية

---

542 ـ المطففين:26

تلامذته تربية روحية سامية، وقيامه بتصحيح بعض الأخطاء في الفكر الصوفي .

*إن الشيخ إبراهيم نياس شديد العناية بأحوال المسلمين في العالم لذلك أسهم كثيرا في البحث عن إيجاد حلول لمشاكل الأمة الإسلامية ودفع عجلة الإسلام إلى الأمام .

*إنه ملم بخطر أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وسعيهم لهدم الإسلام جادين ، وبكل وسيلة ، لذلك قاومهم مقاومة شديدة ، ودعا إلى شن الحرب ضد إسرائيل ، ومقاطعة كل من له صلة بها ودعا إلى مقاطعة ثقافتهم ، وغرس محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته والعرب ، في نفوس أبناء المسلمين ، وتعليمهم اللغة العربية والعلوم الشرعية وتاريخ الإسلام بدلا من خزعبلات ثقافة الأجانب .

*قدم توجيهات وإرشادات قيمة ، من شأنها تزكية النفوس وبناء وتكوين شخصية إيمانية مسلمة خلوقة صالحة وتقية .

*كل هذه الشمائل والخصائص والأعمال جديرة بأن تجعل من الشيخ إبراهيم نياس مثلا يُحتذى ، وأنموذجا يُقتدي به ، لذلك يجدر البحث في هذه الشخصية وتقديمها للناس ، وهذا ما حاول الباحث تحقيقه .

(رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.) [543]

(إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْأِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.) [544].

---

[543] ـ البقرة : 286

[544] ـ هود: من الآية88

اللهــم اجعــل هــذا العمل خالصا لوجهك الكريم واجعله مقبولا ومباركا ونافعا للأمة الإسلامية وتقبله مني بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين يا أرحم الراحمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهارس العامة

فهرس الآيات

(ك)

(ل)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الشعر

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ح)

(س)

(ش)

فهرس الأعلام

الاسم الصفحة

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(ي)

فهرس البلدان

(أ)

(ب)

(ش)

(ص)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم ، برواية حفص عن نافع

ثانيا: الحديث

- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار البحوث العلمية ، السعودية ، د- ب م ن .

ثالثا:المصادر المخطوطة

(أ)

- آبائي في الدين ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ إبراهيم محمود جوب ، مدينة باي، السنغال، د- ب م .
- إرشاد السارين إلى عدم وجوب زكاة هارين ، نسخ الشيخ التجاني سيسي ، مكتبة الناسخ ، مدينة باي ، السنغال ، د- ت
- إفـــادة المـــريد في الإجابة عن أسئلة محمد بن العيد ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ، السنغال ، د- ت .
- إفريقـــيا إلـــى الإفريقيين ، إبراهيم نياس مخطوط ، نسخ الشيخ إبراهيم محمود جوب ، مكتبة الناسخ ، مدينة باي ، البسنغال ، د- ب م
- الأنوار السطع ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ، السنغال ، د- ت .

(ت)

- تبصرة الأنام في أن العلم هوالإمام ، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيجر ، د- ب م .
- تحفة الأطفال في حقائق الأفعال ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ عبد الله بن الحاج العلوي ، معط مولانا ، موريتانيا ، د- ت .
- تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ التجاني ولد السيد ، تنبيعل ، موريتانيا ، د- ت .

– ترجمة شيخ الإسلام ، أ. محمد سالم الموريتاني ، مخطوط ، نسخ محمد الأمين طاهرانجاي ، مكتبة الشيخ محمد الأمين، مدينة باي،السنغال ، د– ب م

(ج)

– الجواب الشافي عن حلق المرأة رأسها ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ التجاني ولد السيد ، تنبيعل ، موريتانيا ، د– ت .

– الجـواب الموسـع عـن نازلة السلم ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ التجاني ولد السيد ، تنبيعل ، موريتانيا ، د– ت .

– جواهـر الفرد في مدح قطب الفرد ، الشيخ عبد الرزاق مخطوظ ، مكتبة المؤلف، مدينة كوس، النيجر ، د– ب م .

(ر)

– رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ، السنغال ، د– ت .

روح الأدب ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، نسخ عبد الله الصديق ، مدرسة حزب الرحيم ، غسو ، نيجيريا ، 1349 هـ .

(س)

– سير القلب ، الحاج إبراهيم نياس ، مخطوط ، نسخ محمد الأمين طاهر انجاي ، مكتبة الشيخ محمد الأمين ، مدينة باي ، السنغال ، د– ب م .

(ش)

– شخصية الشيخ إبراهيم نياس ودعوته ، النعمة بن عبد الله، مخطوط، مكتبة المؤلف ، انواكشوط ، مورتانيا ، 1982م .

(ص)

– الصارم الأحمدي في قطع تلبيسات ابن أحمدي ، مخطوط ، نسخ الشيخ علي سيسي ، مكتبة الناسخ ، مدينة باي ، السنغال ، د– ت .

(ع)

– علم قريش محمد بن إدريس الشافعي ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ إبراهيم محمود جوب ، مدينة باي ، السنغال ، د– ت .

(ق)

– قـدم الرسـوخ ، الشيخ أحمد سكيرج ، مخطوط ، مكتبة الشيخ إبراهيم محمود جوب ، مدينة باي ، السنغال، د– ب م .

– قصيدة في ذكر إمام وصاحب الفيضة، الحاج إبراهيم بلاربي ، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيجر.

(ك)

– كشف الغمة في رفع مراء علماء الأمة ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ، السنغال ، د– ت .

(م)

– مجموع قصائد المولد النبوي ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيجر ، د– ب م

– مذكرة كدونية في حياة الشيخ إبراهيم نياس ، الشيخ نذير ، مخطوط ، نسخ يوسف أبي بكر محمد البكوي ، مكتبة المؤلف ، مدينة باي، السنغال .

– مسرة المجامع في مسائل الجامع ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ، السنغال ، د– ت .

– مطرب السامعين والناظرين في مناقب الحاج عبد الله محمد بن عبد الله العلوي التشيتشي ، تلخيص الشيخ إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ ماحي سيسي، مدينة باي، السنغال ، د– ب م

- مفتاح الأرب ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ عبد الله نياس ، مدينة باي، السنغال ، د- ب م .

- من أخبار شيخ إبراهيم ، محمد عبد الله بن السيد ، مخطوط ، مكتبة المؤلف انواكشوط ، موريتانيا، د- ت

(ن)

- نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعى إلى الله ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، مكتبة الشيخ علي سيسي ، مدينة باي ، السنغال ، د- ت .

- نزهة الآذان ، محمد الهيبة ، مخطوط ، مكتبة المؤلف انواكشوط ، موريتانيا ، د- ب م.

رابعا : الوثائق المخطوطة

(ت)

- تقرير بخط الشيخ علي سيسي ، مخطوط ، مكتبة لجنة البحث والإحصاء في مدينة باي، السنغال، 1371 هـ .

(ج)

- الجوهر النظيم في المجلس الرائق مع الشيخ إبراهيم ، علي سيسي ، مخطوط ، مكتبة الشيخ سرن علي بن الشيخ أبي بكر المثنى ، مدينة باي ، السنغال ، 1355 هـ

(خ)

- خطبة الشيخ إبراهيم نياس في مهرجان طلبة المدارس ، مخطوط ، نسخ إسماعيل إبراهيم ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيج ، 1382 هـ .

- الخطبة المسماة بتوسعة العلم والعرفان ، الشيخ إبراهيم نياس ، مخطوط، نسخ إبراهيم بن الحاج عبد الله عمر، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي النيجر ، 1391 هـ .

- خطــبة تدشين المعهد بخط الشيخ إبراهيم نياس ، مخطوط ملف وثائق المعهد، مدينة باي ، السنغال ، 1970 م .

(ر)

- رسالة الشيخ إبراهيم نياس إلى أخيه الخليفة الحاج محمد يفيده فيها ببداية تفسيره ، لجنة البحث والإحصاء ، مدينة باي ، السنغال ، د- ت

- رسالة الشيخ إبراهيم إلى الشيخ سكيرج ، مخطوط ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيجر ، 1347 هـ .

- رسالة الشيخ إبراهيم إلى السيدة أم سليم ، مخطوط ، مكتبة لجنة البحث والإحصاء ، مدينة باي ، السنغال ، د- ت .

- رسالة الشيخ إبراهيم نياس إلي الطلبة الموجهين إلي مصر ، مخطوط ، لجنة البحث والإحصاء ، مدينة باي، السنغال ، 1964 م .

- رسالة الشيخ إبراهيم نياس ، إلى العقل (في موريتانيا) ، مكتبة النعمة بن عبد الله ، انواكشوط .

- رسالة الشيخ إبراهيم نياس إلى طلبة العلم لامتحانهم وإيقاظ هممهم ، لجنة البحث والإحصاء ، مدينة باي ، السنغال ، 1951 م .

- رسالة نيامي ، إبراهيم نياس ، مخطوط ، نسخ ثاني آدم أغيغي النيجيري ، مكتبة الشيخ حسن دودو ، مراقي ، النيجر ، د- ت

خامسا : المصادر والمراجع المطبوعة

(أ)

- إتحـــاف الإخـــوان بمآثــــر غوث الزمان ، يعقوب أبو بكر ، ط1، مكتبة الشمال، كنو ، نيجيريا ، د- ت.

- الشـــيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية، د.عبد الرحمن طالب ،الجزائر ، 1999م ، د- ب م ن

- أرجـــوزة روح الأدب، الشيخ إبراهيم نياس، ط 1، دار المدينة المنورة، 1409 هـــ - 1988 م.

- الإسلام في نيجيريا ، آدم عبد الله الإلوري، ط 3 ، د- ب م.

- الإصـــابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلانـي ، مطبعة السعادة ، مصر 1328 هـــ

- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط6 ، دار العلم للملايين، لبنان، 1984 م.

- أعـــلام الصـــوفية أ.د جودة محمد ، ط1 ، دار غريب ، القاهرة ، 1418 هـــ-1998م .

- إنذار وإفادة إلى بائع دينه بشهادة ، الحاج عبد الله المشري ، ط2، 1980 م د- ب م ن .

- إيقـــاظ الهمم في شرح الحكم ، ابن عجيبة ، المطبعة الجمالية ، 1441 هـــ، د- ب م ن.

- الإنتصار لطريق الصوفية ، أحمد صديق الغماري ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، د- ب م ن.

(ب)

- البحث عن الحقيقة في أفكار ومعتقدات اليهود ، محمد أبوالقاسم الحاج، ط، دار اقرأ طرابلس، 1990م .

- بحث في ثبوت رؤية الهلال ، إبراهيم نياس ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، 1996 م .
- البيان والتبين عن التجانية والتجانيين ، إبراهيم نياس ،"مطبعةعن قسا" كانو، د – ب م ن .

(ت)

- تاريخ التصوف الإسلامي، عبدالرحمن بدوي، ط2 ، وكالة المطبوعة ، الكويت ، 1978 م
- تأييد الحقيقة العلية ، جلال الدين السيوطي ، المطبعة الإسلامية، مصر ، 1352هـ .
- تحفة أهل الحاضر بما ينفع الحاج سيما في الطائرة ، إبراهيم نياس ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1996 م .
-التصوف الإسلامي وتاريخه، نيكلسون، تحقيق أبوالعلاءالعفيفي، د-ب م ن.
- التصوف بين الإفراط والتفريط ، عمر عبد الله كامل ، ط1 ، دارابن حزم، بيروت ، 2001 م .
- تعليم اللغة العربية في المجالس السنغالية ، مصطفى جوف ، المعهد العالي، جامعة دكار:السنغال، 1987 م.
- تنوير القلوب ، أمين الكردي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1358 هـ.
- تهذيب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، حافظ إبراهيم ، الأصبهاني ، إعداد صالح أحمد الشامي، ط1 المكتبة الإسلامية، بيروت ، 1419 هـ .

(ج)

-جامع جوامع الدواوين ، الشيخ إبراهيم نياس ، المكتبة الشعبية ، بيروت ، د- ب م ن .

- جواهر الرسائل ، الشيخ إبراهيم نياس ، جمع وتحقيق أحمد أبي الفتح ، مطبوع، د- م ن .

- جواهر المعاني ، علي حرازم، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1417هـ .

(ح)

- حاشية ابن عابدين ، مطبعة بولاق ، مصر، 1323هـ.

- الحجة البالغة في كون إذاعة القرآن سائغة ، إبراهيم نياس ، ط1 ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، مصر ، 1375 هـ - 1956 م .

- حضارة الإسلام وحضارة أروبا في إفريقيا الغربية ، نعيم قداح ، نشر مكتبة أطلس ، دمشق ،1965 م.

- حقائق التصوف ، عبد القادر عيسى ، ط11 ، دار العرفان سوريا ، 2001 م .

- حقيقة الطريقة التجانية ، إبراهيم صالح ، ط1، مصر ، 2000 م ، د- ب .

(خ)

- خلاصة التصانيف في التصوف، الإمام الغزالي، مطبعة السعادة ، مصر، 1327هـ

(د)

- الدعوة الإسلامية اليوم ، إبراهيم نياس ، مطبوع ، مكتبة الشيخ إبراهيم محمود جوب ، مدينة باي ، السنغال ، د- م ن .

- الدعوة إلى الله ، حسن مسعود الطويري ، ط1 ، دار القتيبة ، بيروت ، 1413 هـ -1992م

- الدواوين الست ، الحاج إبراهيم نياس ، دار الفكر ، بيروت ، 1998 م

(ر)

- رجـــال ونساء أسلموا ، ترجمة عرفات كامل ، الحلقة الأولى ، ط3 ، دار القلم ، الكويت ، 1398 هـــ .

- الرسالة القشيرية ، الإمام القشيري ، تحقيق هاني الحاج ، د ب م ن .

(ز)

- زيـــادة الجواهـــر مـــن يواقيت ألفاظ ودرر حكم في فنون علوم شتي ، إبراهيم نياس ، جمع وترتيب أحمد أبي الفتح بن علي ، ط1، 1990 م ، د- ب م ن .

(س)

- سبيل السلام في إبقاء المقام، إبراهيم نياس، مطبعة northern maktabat ltd
كانو ، نيجيريا ، د- ت .

- 25 ســـنة علـــى رحيل الشيخ ، إبراهيم تيام ، ط1، النهار للطبع والنشر والتوزيع ، مصر، 2002 م .

(ش)

- شطحات الصوفية عبد الرحمن البدوي ، د- ب م ن.

(ط)

- طبقات الصوفية، السلمي، مطبعة دار الكتاب العربي ، مصر، 1372 هـــ.

- الطبقات الكبرى ، الشعراني ، المكتبة التوفقية ، د-ب م ن .

(ع)

- الشيخ سيدي عبد الله وحياته الصوفية ، محمد بن الشيخ عبد الله ، ط1 ، مطبعة النجاح ، مغرب . 2002 م.

- علمـــاء تزكية النفس ، الشيخ محمد الحافظ المصري ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، د- ب م ن .

(ف)

- الفتح الرباني ، محمد بن عبد الله الطصفاوي ، المكتبة الشعبية، بيروت، د- ت .

- الفتوحات المكية ، ابن عربي ، مطبعة الميمنية، مصر ، 1329هـ.

- الفرق الصوفية في الإسلام ، سبنسر ترمنجهام ، ترجمة وتعليق د.عبد القادر البحراوي ، ط1، دار النهضة، بيروت ، د- ت.

(ق)

- قواعد التصوف ، أحمد زروق ، مطبعة مصر ، 1318 هـ .

(ك)

- كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس ، إبراهيم نياس ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 1371 هـ- 1952 م

(ل)

- لطائف المنن والأخلاق ، الشعراني ، المطبعة الميمنية، مصر، 1321 هـ

- اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي ، ضبط و تصحيح كامل مصطفى الهنداوي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1421هـ-2001 م .

- لمحات من التصوف وتاريخه ، السائح علي حسين ، ط2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1426هـ-1997 م .

(م)

- مجموع رحلات الشيخ إبراهيم نياس ، ط1، دار النهار، د- ب م ن .

- مجموع فتاوى أحمد بن تيمية ، مطابع الرياض ، السعودية ، 1382هـ

- مجموعة الرسائل والمسائل ، ابن تيمية ، مطبعة العامرة الشرقية ، مصر،1323 هـ.

- المـد الإسـلامي في إفريقيا ، محمد جلال عباس ، المختار الإسلامي ، القاهرة ، 1987 م .
- المسـلمون في السنغال ، عبد القادر محمد سيلا ، ط1 ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ، 1406 هـ .
- المسـلمون والاسـتعمار الأوربـي في إفريقيا ، د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، نشر المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، 1989م.
- معارف إسلامية ، محمد فتح الله الزيادي وأساتذة مختصون ، إشراف د. فـاتح زقـلام ود. عـبد الحمـيد الهرامة ، ط1 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، 2002 م .
- مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوف ، د - م ن .
- مقدمـة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون، مطبعة البهية ، مصر، د- ت
- المنقذ من الضلال ، الغزالي ، مطبعة صبيح وأولاده ، مصر ، 1329هـ.
- المنقذ من الضلال مع أبحاث في التصوف ، د.عبد الحليم محمود ، ط6 ، دار النصر للطباعة ، القاهرة ، 1388هـ-1968م .
-الموسوعة الفلسفية ، لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين ، ترجمة سمير كرم ، دار الطباعة، بيروت ، 1987 م .
- موسـوعة الـتاريخ الإسـلامي ، أحمـد شلبي ، ط 4 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1983 م .
- موسـوعة تربية الأجيال المسلمة ، نصر بن محمد ، تقديم الشيخ أحمد فريد، ط1 ، دار الإيمان ، إسكندرية ، 2001 م
- مـيزاب الـرحمة الربانـية في التربية بالطريقة التجانية ، سيدي محمد الصغير بن أنبوجة ، طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر ، د - ت.

(ن)

- النصـــرة النــبوية ، الشيخ مصطفى المدني ، مطبعة العامرية ، مصر ، 1316 هـــ .

- نور التحقيق ، حامد صقر ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، 1369 هـــ .

(ي)

- الــيهودية ، د. أحمد شلبي ، ط12، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1997م .

- اليواقيت والجواهر،الإمام الشعراني المطبعة الأزهرية ، مصر،1305 هــ.

سادسا :الوثائق المطبوعة

- السيرة الذاتية للشيخ إبراهيم محمود جوب ، مكتبة أمانة رابطة علماء المغرب والسنغال ، دكار

- ملــف خـــاص بالشيخ إبراهيم ، وثيقة رقم 1581 إدارة الوثائق الوطنية بالسنغال، الأربعاء 30 يوليو 1975 م

سابعا :الرسائل والبحوث العلمية

- الشيخ إبراهيم نياس ، المدرس ، معاذ أحمد بطي ، بحث التخرج لنيل شهادة الميتريز جامعة الشيخ أنتا جوب ، دكار ، السنغال 1998.

- مذكرة طلاب المعهد العالي التربوي بجامعة ساي في النيجر ، محمد الأمين الجابي ، العام الجامعي 2002/2001م

- جمــع وتحقــيق ودراسة الجزء الثالث من كتب ورسائل الشيخ إبراهيم ، محمــد بــن ســيد بــن دحــان المدرســة العلــيا للأساتذة والمفتشين، انواكشوط،موريتا ، 1982 م .

ثامنا :الدوريات

- التنصير، الترجمة لأعمال المؤتمر التيشيري الذي عقد في جلين في الولايات المتحدة ، منشورات مركز الدراسات العالم الإسلامي ، لبنان ، 1978 م .

- صحيفة الدعوة الإسلامية :

العدد 636 ، طرابلس، 1429 م، ر

والعدد 848 ، طرابلس ، ليبيا ، 2003م

- مجلة آخر الساعة المصرية العدد 128 ، 15 أغسطس 1975 م

- مجلة المسلم ، العدد 6 غرة المحرم ، مصر ، 1378هـ

- مجلة المولد النبوي الشريف ، العدد 1 مدينة جوتا ، النيجر ، 2002 م

- الملتقى الثالث لدعاة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية المنعقد في كولومبو ، سريلانكا ، ط1 ، طرابلس ، 1990 هـ .

تاسعا:الكتب الأجنبية

- L`Islam Noir,VincentMonteil,Paris,1964.

- The Developpement of Islamin West Africa ,HISKET, -New-york.

-La confrerie senegalaise des mourid,CHECK Tidjani Sy, P:35

-Essai sur la contribution du Senegal a la litterature d`expression arabe,Amar Samb,IFAN,Dakar,1972

-Les atlas de l`Afrique ,direction scientifique Mamoudou JA.57 bis Paris . Moustapha Sale et autres,eds

-Les Temps de Marabouts ,eds David Robinson et Jean Luis Triand,IFAN,Dakar.

-Histoire generale de l`Afrique noire , Hubert Des Champs,eds PDF Bordas

-Islamique and Imperialism, Klein, Archives Nationales du Senegal,non classe.

-Etude sur l`Islam au Senegal, Marty

بسم الله الرحمن الرحيم

موجز سيرة ذاتية

الاسم الكامل: محمد الصغير حسن

من مواليد مدينة مرادي بجمهورية النيجر، درس القرآن وبعض الكتب الدينية على يد والده، ثم انخرط في سلك المدارس النظامية، وتلقى التعليم الابتدائي في مرادي، والإعدادي في زندر، والثانوي في نيامي، ثم الجامعي في الجامعة الإسلامية بالنيجر ، فالدراسات العليا في كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية العظمى.

مؤهلاته العلمية

- الشهادة الابتدائية سنة 1981 م.
- الشهادة الإعدادية سنة 1996م.
- الشهادة الثانوية سنة 1989م.
- الليسانس (الميتريز) سنة 1998م.
- شهادة الكفاءة التربوية سنة 1999 م
- الماجستير سنة 2004م.

الوظائف

- عمل في التدريس لمدة 4 سنوات (من 1990 م إلى 1994 م)
- تولى منصب مدير المدرسة الابتدائية لمدة 3 سنوات (من 1991 م إلى 1994م)
- عين أميناً للتعليم الأساسي والثانوي لمنطقة ديفا سنة 2000 م ، لكنه ترك منصبه لصالح مواصلة الدراسات العليا بالجماهيرية العظمى.

بعض نشاطاته:

في الأعمال الطلابية بالجماهيرية العظمى

- أمين اللجنة الاجتماعية للجنة طلبة الدراسات العليا سنة 2001 م.
- أمين اللجنة الاجتماعية لأمانة المؤتمر الطلابي سنة 2002 م.
- أمين عام للجنة طلبة الدراسات العليا في كلية الدعوة الإسلامية عام 2004 م

في ظل الجمعيات الإسلامية

- أمين الشؤون الخارجية لجمعية إحياء الثقافة الإسلامية في النيجر (أرسي).

مشاركته في الدورات والملتقيات:

- دورة تكوين الدعاة والأئمة التي نظمتها السعودية في النيجر عام 1992 م.
- دورة تكوين الأساتذة التي نظلمتها السعودية عام 1993م في النيجر
- دورة تكوين واختيار المدرسين للتدريس تحت رعاية جمعية الدعوة الإسلامية العالمية عام 1997 في النيجر.
- الملتقى الشبابي لتفعيل الاتحاد الإفريقي الذي أقيم في خمس بالجماهيرية العظمى عام 2001 م.

بعض البحوث التي أعدها:

- بحث بعنوان " المربي المسلم ومسئولياته الأسرية" عام 1997 م
- بحث بعنوان " اللغة العربية في النيجر بين المدارس التقليدية والمدارس النظامية بعد الاستقلال" عام 1998 م.
- بحث بعنوان :" النمو المعرفي لدى طفل المرحلة الابتدائية عام 1999 م
- الرسالة بعنوان: " الشيخ إبراهيم نياس ومنهجه في التصوف والدعوة إلى الله" عام 2004 م.